



الجزء الحادى عشر

---



دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الحادي عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٥ هـ  
م ١٩١٧





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## الفصل الثاني<sup>(١)</sup>

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

( فيما يُكْتَب من الِوَلَايَات عن الملوك ، وفيه [ثلاثة] أطراف )

### الطَّرَف الأول

( في مصطلح كُتِّبَ الشَّرق )

قد تقدّم في الكلام على ما كان يُكْتَب عن الخلفاء أنَّ الِوَلَايَات في الخلافة العباسية ببغداد كانت تَصْدُر عن الخُلَفَاء دُونَ الملوك المُساهمين لهم في الأمر ، لا يُشارِكونهم في شيء من الِوَلَايَات أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الِوَلَايَات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَب عن ملوك بني جَنْكِرْخان من البيت الهُولاكو هي فَمَنْ بعدهم . ولم أَقِفْ على شيء من مصطلحاتهم في ذلك فأوردته هنا .

---

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أول الجزء الحادى عشر ”الفصل الثالث“ وصوابه ”الثانى“

## الطرف الثانى

( فى مصطلح كُتَاب الغُرب والأَنْدُلُس فيما يُكْتَب من الِوَلَايَات عن المُلُوك )  
 وأَعْلَم أَنَّهُمْ يَعْبَرُونَ عَمَّا يُكْتَب فى جَمِيع ولَايَاتِهِم بِالظُّهَائِرِ: جَمْع ظُهَيْرٍ <sup>(١)</sup>، يَفْتَتِحُونَهُ  
 بِلَفْظ «هَذَا ظُهَيْرٌ» كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فى الْكَلَامِ عَلَى مَا كَانَ يُكْتَب عَنْ خُلَفَاءِ الْمَغْرِبِ .  
 ثُمَّ هِى عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبَ :

## الضرب الأول

( مَا يُكْتَب لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ )  
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ ظُهَيْرٍ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
 الْخَطِيبِ ، وَهِيَ :

هَذَا ظُهَيْرٌ كَرِيمٌ ، مُنْزَلُهُ فى الظُّهَائِرِ مُنْزَلُ الْمُعْتَمِدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ  
 الصُّكُوكِ ، الصَّادِرَةِ عَنْ أَعَاضِمِ الْمُلُوكِ ، مَحَلُّ أُولَى الرَايَاتِ ، الْخَافِقَةِ الْعَدَابَاتِ ،  
 وَالْآرَاءِ . فَتَحَّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، مِنْ بَعْدِ الْإِبْهَامِ ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ ، وَرَاقَ طِرَازًا مُدْهَبًا  
 عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فى طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، شَارِعَةً لِأَهْلِ  
 الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ .

أَمْرٌ بِهِ فَلَانٌ لَصْدَرٍ صُدُورِ أَوْدَائِهِ ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَوَلِيَّهُ الَّذِى  
 خَبَرَ صِدْقَ وَفَائِهِ ، وَجَلَّى فى مِضْمَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُغْبَرًّا فى وَجْهِهِ أَكْفَائِهِ . شَيْخُ شُيُوخِ  
 الْمَجَاهِدِينَ ، وَقَائِدِ كِتَابِهِ الْمَنْصُورَةِ لَغْزَوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، وَعُدَّتِهِ الَّتِى يُدَافِعُ بِهَا  
 عَنِ الدِّينِ ، وَسَائِقِ وَرْدِهِ الْمُبَرِّزِ فى الْمِيَادِينِ ، الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَعَزِّ الْأَسْنَى ، الْأَمْجِدِ ،

(١) فى اللسان وغيره "الظهير العون يستوى فيه الواحد والجمع" . وقد جمعه الفقهاء على ظهراء . وفى شرح  
 الأشتونى عن بعض النحويين أنه يشترط فى جمع فعيل على فاعل أن يكون علما مؤنث . تأمل .

الأُسْعِدِ ، الأَصْعَدِ ، الأعْنَى ، الأَحْمَى ، الأَحَبِ ، الأَوْصَلِ ، الأَفْضَلِ ، المَجَاهِدِ ،  
الأَقْضَى ، الأَرْضَى ، الأَمْضَى ، الشَّهِيدِ ، المَقْدَسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِدْرِ الدِّينِ  
أَبْنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَعِلْمِ الْأَعْلَامِ ، المَدَافِعِ عَنْ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ ، البَعِيدِ الْغَارَةِ فِي نُحُومِ  
عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ ، الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، الْجَلِيلِ الْخَطِيرِ ، الرَّفِيعِ ، الصَّدْرِ ، الْمَعْظَمِ ، الْمَوْقَرِ ،  
صَاحِبِ الْجِهَادِ الْأَرْضَى ، وَالْعَزْمِ الْأَمْضَى ، المَقْدَسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عِمْرَانَ (مُوسَى)  
أَبْنِ أَبِي زَيْدٍ رَحُومِ بْنِ مَحْيُومِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ مَحْيُومٍ ، وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ ،  
وَبَلَّغَهُ مِنْ مَظَاهِرِ دَوْلَتِهِ وَمُؤَازِرَةِ خِلَافَتِهِ قَصْدَهُ . رَفَعَ قُبَّةَ الْعَنَاءِ وَالْإِخْتِيَارِ  
عَلَى عِمَادٍ ، وَأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّعْظِيمِ [ مُسْمِعًا <sup>(١)</sup> ] كُلَّ حَيٍّ وَجَمَادٍ ، وَقَابَلَ السَّعَى الْكَرِيمَ  
بِإِحْسَادٍ ، وَأُورِدَ مِنَ الْبِرِّ غَيْرَ ثِمَادٍ ، وَاسْتَظْهَرَ بِالْوَفَاءِ الَّذِي لَمْ تَسْتَرِ نَارُهُ بَرْمَادٍ ،  
وَلَا قَصَّرَتْ جِيَادُهُ عَنْ بُلُوغِ آمَادٍ ، وَقَلَّدَ سَيْفَ الْجِهَادِ عَاتِقَ الْحَسَبِ اللَّبَابِ ، وَأَعْلَقَ  
يَدَيْ الْأَسْتَظْهَارِ بِأَوْتَقِ الْأَسْبَابِ ، وَاسْتَغْلَظَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِأَحَبِّ الْأَحْبَابِ .  
لَمَّا قَامَتْ لَهُ الْبَرَاهِينُ الصَّادِقَةُ عَلَى كَرَمِ شَيْمِهِ ، وَرُسُوخَ قَدَمِهِ ، وَجَنَى مِنْهُ عِنْدَ  
الشَّدَّةِ وَالْتِمَاحِصِ ثَمَرَةَ مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمِهِ ، قَابَلَ بِالرَّغَى كِرَائِمَ ذِمِّهِ ، وَعِظَائِمَ خِدْمِهِ ،  
وَشَدَّ الْيَدَ عَلَى عَهْدِهِ الَّذِي عَرَفَهُ حِينَ أَنْتَكُتِ الْعُقْدَ وَأَخْلَقَ الْمَعْتَقَدَ ، وَأَسَاسَدَ  
النَّقْدَ <sup>(٢)</sup> ، وَتَنَكَّرَ الصَّدِيقَ ، وَفَرَّقَ الْفَرِيقَ ، وَسُدَّتْ عَلَى النَّظَرَةِ الطَّرِيقَ ، وَتَمَيَّزَ الْمَغْرُوقَ  
وَالْغَرِيقَ ، فَأَثْقَلَ لَهُ مِيزَانَ الْمُكَافَاتِ ، وَسَجَّلَ لَهُ رَسْمَ الْمُصَافَاتِ ، وَجَعَلَهُ يَمِينَ الْمُلْكَ  
الَّذِي بِهِ يُنَاضِلُ ، وَيُقَاطِعُ وَيُؤَاصِلُ ، وَسَيْفَ الْجِهَادِ ، الَّذِي يَحْمِي بِمَضَائِهِ حَوْزَةَ  
الْبِلَادِ ، وَمِرْآةَ النُّصْحِ الَّتِي تُتَجَلَّى بِهَا وَجْهُ الرَّشَادِ . فَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفلى من الناس ، وضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من

النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَهُ ، وَأَسْعَدَهُ فِيمَا يَمْنَحُهُ ، وَنَشَرَ بِالنَّصْرِ عِلْمَهُ - شَيْخُ الْغَزَاةِ بِحَضْرَتِهِ عَلَيْهِ ، وَسَائِرُ  
بِلَادِهِ النَّصْرِيَّةِ : تَرْجِعُ الْقِبَائِلُ وَالْأَشْيَاحُ إِلَى نَظَرِهِ فِي السَّكَنَاتِ ، وَتَسْتَدِرُّ عَلَى يَدِهِ  
مِنْ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ غُيُومَ الْبَرَكَاتِ ، وَتُقَرَّرُ وَسَائِلُهَا بِوَسَاطَةِ خُطْوَتِهِ ، وَتَقْصُرُ خُطَاها  
اعْتِرَافًا بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ عَنْ خُطْوَتِهِ . فَعَلَيْهِ تَدُورُ أَفْلاكُ جَمَاعَتِهِمْ كُلِّهَا اجْتَمَعُوا  
وَأَتْلَفُوا ، وَبِحُجَّةِ فَضْلِهِ يَزُولُ إِشْكَالُهُمْ مَهْمَا اخْتَلَفُوا ، وَبِلِسَانِهِ الْمُبِينِ يَقَرَّرُ لَهُمْ  
مَا سَلَفُوا ، وَفِي كَنْفِ رَعِيهِ يَنْشَأُ مَنْ أَعْقَبُوا مِنَ النَّشْأَةِ وَخَلَفُوا ، وَبِإِقْدَامِهِ تَنْهَضُ  
أَقْدَامُهُمْ مَهْمَا تَوَقَّفُوا . فَهُوَ يَعْسُوبُ كِتَابِهِمِ الْمُلْتَفَّةَ ، وَفِرْزَانُ قِطْعِهِمِ الْمُصْطَفَّةَ ،  
وَشَهْمُ جَوَارِحِهِمِ الْفَارِهَةَ ، وَعَيْنُ عِيُونِهِمِ النَّابِيَةَ ، وَتَأْوِيلُ أُمُورِهِمِ الْمُتَشَابِهَةَ ، عَنْ  
نَظَرِهِ يَرِدُونَ وَيَصْدُرُونَ ، وَبِإِشَارَتِهِ يَرِيشُونَ وَيَبْرُونَ وَآثَارُهُ يَقْتَفُونَ ، وَبِتَلْعَةِ  
دَوَارِهِ الْمَرِيئِيَّ فِي خِدْمَةِ مَقَامِهِ النَّصْرِيِّ يَقْتَفُونَ . فَهُوَ الَّذِي لَا تَأْنِفُ أَشْرَافُ الْقِبَائِلِ  
مِنْ أَقْتِفَاءِ آثَارِهِ ، وَلَا تَجْهَلُ رِفْعَةَ مِقْدَارِهِ ، فَلَبِيَّتُهُ الْمَزِيَّةُ بِالْحَقِّ ، الْمُسْتَوْجِبَةُ لِلْفَخْرِ  
بِسَابِقَةِ السَّعَادَةِ لِعَبْدِ الْحَقِّ ، وَلِذَاتِهِ قَصَبُ السَّبْقِ ، وَلَوْفَاتُهُ الشُّهْرَةُ فِي الْغَرْبِ  
وَالشَّرْقِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ - تَوَلَّاهُ اللَّهُ - مَنْشِرِحًا بِالْعَزِصَةِ صَدْرُهُ ، مُسْتَمِدًّا مِنْ شَمْسِ سَعَادَتِهِ بِدُرِّهِ ،  
مَعْرُوفًا حَقَّهُ مَعْظَمًا قَدْرُهُ ، فَهِيَ خُطَّةُ قَوْمِهِ ، وَفَرِيْسَةُ حَوْمِهِ ، وَطِيَّةُ أَمْسِهِ وَيَوْمِهِ ،  
وَكُفُّ خُطْبَتِهِ ، وَمَرْمَى رُتْبَتِهِ ، وَحَلَى جِيدِهِ ، وَمَظْهَرُ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ . مُطْلَقًا مِنْ  
عِنَانِ الثَّنَاءِ ، عَلَى أَهْلِ الْغَنَاءِ ، مُعَامِلًا بِصَادِقِ الْإِطْرَاءِ ، لِدَوَى الْآرَاءِ ، مُتَعَمِّدًا بِالْإِغْضَاءِ ،  
هَفَوَاتِ أَهْلِ الْمَضَاءِ ، مُعَرِّفًا بِالْقِبَائِلِ ، وَالْعَشَائِرِ وَالْفَصَائِلِ ، كُلِّهَا وَفَدُوا مِنْ الْآفَاقِ  
لِلْإِسْتِلْحَاقِ ، مِنْهَا عَلَى مَظَانِّ الْأَسْتِحْقَاقِ ، مُطَبِّقًا لِلطَّبَاقِ ، مُمَيِّزًا لِحَيَادَتِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ ،  
حَرِيصًا عَلَى إِنْمَاءِ الْأَعْدَادِ ، مُطَبِّقًا مَفَاصِلَ الشَّرَادِ ، مُحْتَاطًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمْتَرِي

بها أكف الجباية ضروع العباد، واضعاً مال الله حيث وضعه ألحق من الورع والاستداد، [لا] سيما في هذه البلاد؛ حتى تعظم المزايا والمزاين، وتتوفر الكتاب والخزائن ويتهيج السامع ويسر المعان؛ ويظهر الفضل على من تقدم، وأن الظهراء كم غادرت من مترد، ويتحسر من قصر ويتندم، وعند الله يجد كل ما قدم. فهي قلادة الله التي يضيع من أضعائها، ويرضى<sup>(١)</sup> عمن أعمل فيها أوامره وأطاعها. وهو، - وصل الله سعادته! وحرس مجادته! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من شأيا التوكل على الله بشأرها: نسباً وحسباً، وجداً وأباً، وحداً وشباً، ونجدة وصحت مذهباً.

وعلى الغزاة - وقر الله جموعهم! وأنجد تابعهم ومتبوعهم! - أن يعرفوا قدر هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووصحت أحكامه، والاختصاص الذي لطف محله، والاعتناء الكريم الذي ضفا ظله؛ فيكونوا من إيجاب حقه حيث حد ورسم، وميز ووسم؛ لا يتخلف أحد منهم [في خدمته]<sup>(٢)</sup> أيده الله عن إشارته الموفقه، ولا يشد عن رياسته المطلقة؛ بحول الله تعالى وقوته.



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي:

هذا ظهير كريم، مضممه استجلاء لأمر الرعايا واستطلاع، ورعاية كرمت منها أجناس وأنواع؛ وعدل بهر منه شعاع، ووصايا يجب لها إقطاع.

أصدرناه للفقير أبي فلان. لما تقرر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحق من نقله المهم الأكيد، ونرمي [به]<sup>(٢)</sup> من أغراض البر الغرض البعيد؛ ونستكشف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعائها، ويوفى صاعها.

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شئ من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،  
وينهى إلينا الحوادث التى تنشأ فيها إنهاءً يتكفل بحياطة أبنائها وأموالها .  
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس فى مساجدهم، ويندبهم  
من مشاهدهم . ويبدأ بتقرير غرضنا فى صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،  
ومكابدتنا المشقة فى مداراة عدوهم الذى يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله  
بقدرته، ووقى نفوسهم وحريمهم من معذته - وبما رأينا من آئيات الأسباب التى  
فيك تؤمل، وعجز الحيل التى كانت تعمل . ويستدعى إنقاذهم بالدعاء، وإخلاصهم  
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاة الأحكام بالبلاد : فمن نالته  
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليبلغها إلينا، ويوفدها مقررة الموجبات علينا .  
ويختبر ما أقرض صدقة للجبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء  
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم فى إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،  
وغيره مما أقرض إعانة للسافرين، وإنجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقداره،  
ويتولى اختباره؛ حتى لا يجعل منه شئ على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف  
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا مخادعة غير المراقب لله . ومتى  
تحقق أن غنياً قصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير  
من الغنى، ويجرى من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة  
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛  
ليست مما يلزم، ولا من معاون التى بتكريرها يجزم - وينظر فى عهود المتوفين  
فيصرفها فى مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقداً يكسو

عاريها ، ويُتَمِّمُ منها المآربَ [ نتميا ] يُرضى باريها - ويندُبُ الناس إلى تعليم  
القرءان لصبيانهم ، فذلك أصلُ أديانهم . ويحذّرهم المغيّب عن كل شيء من  
أعشارهم فالزكاة أختُ الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد آخَرْنَا لهنّ بأقصى الحدِّ  
والاعتزام ، ورفعنا عنهنّ رسمَ التعريف نظراً إليهنّ بعين الأهتمام ؛ وقدّمنا الثّقات  
لهذه الأحكام ، وجعلنا الحرصَ شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله  
من الأعوام .

ومن أهمّ ما أسندناه إليه ، وعولنا فيه عليه ، البحثُ بتلك الأحواز عن أهل  
البدع والأهواء ، والسائرين من السبيل على غير السواء ؛ ومن يُنَبِّهُ بفساد العقْد ،  
وتحريف القصد ؛ والتلبّس بالصوفيّة وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهبين  
إلى الإباحة وتأويل المعاد ؛ والمؤلّفين بين النساء والرجال ، والمتتبعين لمذاهب  
الضلال . فمهما عثر على مُطَوَّقٍ بالتهمة ، منبّه بشيء من ذلك من هذه الأمة ؛ فليشدَّ  
وثاقه شداً ، وليشدَّ عليه سبيلَ الخلاص سداً ؛ ويستترع في شأنه المُوجِبَات ،  
ويستوعب الشهادات ، حتّى ننظر في حَسْمِ دائه ، ونعالج المرض بدوائه ؛

فليتولّ ما ذكرنا نائباً بأحسن المناب ، ويقتصد وجهَ الله راجياً منه جزيل الثواب ،  
ويعملَ عملَ مَنْ لا يخاف في الله لومة لائم ليجدَ ذلك في مواقف الحساب ؛

وعلى من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكّام أن يكونوا معه يداً واحدة على  
ماقرّناه في هذه الفصول : من العمل المقبول والعدل المبذول . ومن قصّر عن غاية  
من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقابُ من عصى أمر الله  
وأمرنا فلا يلومنّ إلا نفسه التي غرّته ، وإلى مَصْرَعِ النكير جرّته ، والله المستعان .





وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار<sup>(١)</sup>، الى أقصى الغاية، وجمع له الوفاق، الذى خدّمه البخت والاتفاق، والأهلية التى شهدت بها الآفاق، بين نُجْحِ الرأى ونَصْرِ الرايه، وأنتجت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية العلاء والولاية. وأستظهر من المعتمد به، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه، بليث من ليوث أوليائه شديد الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرع من فروع الملك الأصيل معروف الأبهة والإبائه، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة المتين محكمة الآيه، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيدة فى الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهايه.

أصدر حكيمته وأبرز حكمه، وقرر حده الماضى ورسمه، عبد الله، الغنى بالله [محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]<sup>(٢)</sup> - عضد الله كتابه وشد عضده، ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليّه المستولى على ميادين حظوته وإثاره، الفائز بالقدح المعلى من إجلاله وإكباره، ظهير استنصاره، وسيف جهاده المعّد لصدق ضريته ويوم افتخاره، ويعسوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره، الأمير أبى عبد الرحمن، ابن الأمير أبى على، ابن السلطان أمير المسلمين أبى سعيد، ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده، وأنجز للمسلمين بمظاهرة إيّاه على الكافرين سابق وعده، لما وفد على بابهِ الكريم

(١) فى ربحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار النهايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريحانة" .



(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بجملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رغب أوطانه وأقطاره، شمية من أسرع إلى خير الآخرة ببداره، قبل آكتمال هلاله وإبداره، وعلى أنبعاث أمه وترامى هممه وأستقامة مداره - قابل أيده الله وفادته بالقبول الممدوح، والصدر المشروح، والعناية العالية المظاهر والصروح، وجعل له الشرب المهنى في مناهل الصنائع التي صنع الله لملكه والفتوح، ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك وامتداه، إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يداه، ثم أستظهر به على أعداء الله وعداه، فوق النصح لله وأداه، وأضمره وأبداه، وتحلى بالبسالة والجلالة والطهارة، اللاتقية بمنصب الإمارة، في رواجه ومغده، حتى آتفتت الأهواء على فضله وعفافه، وكال أوصافه وظهرت عليه مخايل أسلافه. ثم رأى الآن - سدد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يؤفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه، ويضاعف بولائه الصادق اهتمامه، ويقيم في قود عسا كره لجهاد البر مقامه، فأضفى ملابس وده عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه، وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في المجال، وسيفه الذي يفرج به مضايق الأهوال، ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه، وراية سعيدة في مظاهرة متبوعه، وعقد له الولاية الجهادية التي لا تعدل بولايه، ولا توازن عناية المعتمد بها بعنايه، يشهد بصراحة نسبها الدين، وتتجلى بحلى غررتها الميادين. فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمه، ومن بعده من الأمه، لاسيما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأولى الدين والهمة.

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره"، تأمل.

فليتول ذلك تولى مثله وإن قل وجود مثله ، جارياً على سنن مجده وفضله ، سائراً من رضا الله على أوضح سبيله ، معتمداً عليه فى الأمر كله .

وليعلم أن الذى يخلق ما يشاء ويختار قد هياً له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً سديداً ، واستعمله اليوم فيما يحظيه غداً ، وجعل حظّه الذى عوضه نوراً وهدى ، وأبعد له فى الصالحات مدى - ولينظر فيما لديه من القبائل الموفوره ، والجموع المؤيدة المنصوره ؛ نظراً يزيح العليل ، ويباغ الأمل ، ويرعى الحمل ، ويحسن القول ويخرج العمل ؛ منها على أهل الغناء والاستحقاق ، مستديراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً بالغرباء الواردين من الآفاق ، مطبقاً منهم للطباق ، متعمداً للهفوات بحسن الأخلاق ؛ مستجيذاً للأسلحة والكراع ، مبادراً هيئات الصريح بالإسراع ؛ مسترعياً للشورة التى يقع الحكم فيها عن حصول الإجماع ، رفيقاً بمن ضعف عن طول الباع ؛ محتاطاً على الإسلام فى مواقف الدفاع ، مقدماً عند اتجاه الأطماع ؛ صابراً فى المضايق على القراع ، متقدماً للأبطال بالأصطناع ، مقابلاً نصائح أولى الخبرة بحسن الاستماع ، مستعملاً فى الحروب ما أجازته الشرع من وجوه الحداع ؛ حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار ، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً فى الأقطار ، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ؛ بقوة الله وحوله ، وعزته وطوله .

وعلى الغزاة بالحضرة عليه ، وسائر البلاد النصيرية ؛ من بنى مرين ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ، ويمثلوا فى مرضاتنا أمره ؛ ويكونوا معه روحاً ويدا

(١) السدد القصد والاستقامة والسدد أيضاً مقصور من السداد . انظر اللسان .

(٢) الحمل أسم جمع لهامل لأن فاعلاً لا يكسر على فعل ونظيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كغراب جماع الخيل . والهيعة الصوت تفرع منه وتحافه من عدو . انظر القاموس .

وجسداً، وساعداً وعضداً؛ فبذلك يشملُه من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعزُّ الموصول؛ ويُمضى في عدو الله النُّصُول، ويتأثى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول، إن شاء الله . ومن وقف عليه، فليعرف مآلديه؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،

وهى :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الألوية والبنود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال فى ميدان الوجود، جِياد البأس والجُود؛ وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهايم والنُّجود، على الطائفين والعاكفين والرُّكع السُّجود - عقد للعتمد به عقد التشریف والقدر المُنيف زاكى الشُّهود؛ وأوجب المناقصة بين مجالس السُّروج ومَصْاجِع المُهُود، وبشّر السيوف فى الغُمود، وأنشأ ریح النصر آمنةً من الخُود - أمضى أحكامه، وأنهد العزَّ أمامه، وفَتَح عن زهر السُّرور والحبور أكامه، أميرُ المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلد ذكره - لكبير ولده، وسابق أمده، ورِيحانة خَلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى، واسطة السلك، وهلال سماء الملوك، ومِصباح الظلم الحُلك، ومِظَنَّة العناية الإلهية من مدبر الفلك ومُجرى الفلك؛ عنوان سعيده، وحُسام نصره وعَضده؛ وسمى جدّه، وسلالة فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم، العادل، العامل، الأرضى، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبى الحجاج يوسف - ألبسه الله من رضاه عنه حللاً لا تُخلق جدَّتْها الأيام، ولا تبلغ كُنْهها الأفهام؛ وبلغه فى خدمه المبالغ التى يُسرُّها الإسلام، وتسبَّح فى بحار صنائعها الأقلام، وحرس

معاليه الباهرة بعينه التى لا تنام ، وكنفه بركنه الذى لا يضم - فهو الفرع الذى جرى بحضله على أصله ، وأرسم نصره فى نصره ، واشتمل جدّه على فضله ، وشهدت ألسن خلاله ، برفعة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته ، فى بدء كل أمر وإعادته .

ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لأقتراع هضاب المجد البعيد المدى ، وتوشيح به بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا ، وأطلعه فى سماء الملك بذر هدى ، لمن راح وغدا ، وأخذ به بالآداب التى تُقيم من النفوس أودا ، وتُبذر فى اليوم فتُجنى غدا ، ورقاه فى رتب المعالى طورا فطورا ، ترقى النبات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه ، ولسانا مجيباً عند ندائه ، وطراراً على حلة عليائه ، وغماماً من غمام آلائه ، وكوكباً وهاجاً بسماؤه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل من مهده ، وظلله بجناح رايته ، وهو على كند دايته <sup>(١)</sup> ، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتنوياً بمجادته ، وأثبت فى غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيده من عنايته ضروباً واجناساً ، ويُنْبِع أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا لساناً ولباساً ، واتفقوا بآبغاء لمرضاة الله والتماساً ، ممن كرم أنماؤه ، وأزانت بالحسب الغرسماؤه <sup>(٢)</sup> ، وعُرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه إليه ، ولا مقادة نخر إلا جعلها فى يديه ، ولا حلة عن إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام فى هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلاها ، وسكن زلزالها ، وصدق فى رحمة الله التى وسعت كل شيء آمالها - كلف همته ، ومرعى

(١) الكند بفتح الناء وكسرهما أعلى الكتف والذاية الظئر ، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفى ريحانة الكتاب « الخالص » .

أذمته ، وميدان جياته ، ومتعلق أمد جهاده ، ومِعراج إرادته ، إلى تحصيل  
سعادته ، وسبيل خلاله ، إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أزاحها ، ولا طلبة  
إلا أجال قداحها ، ولا عزيمة إلا أورى أفتداحها ، ولا رغبة إلا فسح ساحها ،  
أخذا مروءته بالتهذيب ، ومصافه بالترتيب ، وآماله بالتقريب ، وتأنييس المريب ،  
مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر من  
حكم الأغراض في حماته ، وأستشعر عروق الحسائف لشريف كلماته ، واشتغل  
عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباته ، وتثير ماله وتوفير أقواته ،  
ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فأنفرج الضيق ، وخلص إلى حسن نظره  
الطريق ، وساغ الرقيق ، ورضى الفريق .

رأى - والله الكفيل بفتح رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يُحمد  
لهم اختياره ، ويُحسن لديهم آثاره ، ويستنب فيا بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال  
جلاده ، وحماة أحواره ، وآلات اعتزازه ، من يجرى مجرى نفسه النفيسة في كل  
معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية وله - أيده الله - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى  
كبرى الكئاب ، ومقاد الجنائب ، وأجمة الأبطال ، ومزنة الودق الهطال ، المشتملة  
من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ، وسائر  
قبائل بني مَرين ، ليوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولى الوسائل ،  
ليحوط جماعتهم ، ويرفع بتفقد إضاعتهم ، ويستخلص لله ولأبيه - أيده الله -  
طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبرار ، على فلك  
سعادة الأقدار ، كواكبهم ، تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس  
باقتراب ما أمل ، فليخيل آختيال ومراح ، ولأسل السمر أهتزاز وأرتياح ، وللصدور  
النشراح ، وللأمل مغدى في فضل الله ومراح .

فليتول ذلك - أسعده الله - تولى مثله ممن أسيرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والمَلِكُ الكريم أصل لفرعه ، والنسب العربى مفخر لطيب<sup>(١)</sup> طبعه ، أخذًا أشرافهم بترفيح المجالس بنسبة أقدارهم ، مقربًا حسن اللقاء بایشارهم ، شاكرًا غنائهم ، مستديمًا ثنائهم ، مستدرا لأرزاقهم ، موجبًا للزينة بحسب استحقاقهم ، شافعًا لديه فى رغباتهم المؤمّلة ، ووسائلهم المتحمّلة ، مسهلًا الإذن لوُفودهم المتلاحقة ، مُنفقًا لبضائعهم النافقة ، مؤنسًا لغربائهم ، مستجلبًا أحوال أهلهم وآبائهم ، مميزًا بين أغفاهم ونُبَاهئهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يدًا واحدة على دِفَاعِ أعدى الله وأعاديه ، ويشدّوا فى المواقف الكريهة أزره ، ويمثلوا نهية وأمره ، حتى يعظم الانتفاع ، ويثمر الدِّفاع ، ويخلص القصد لله والمطاع ، فلو وجد - أيده الله - غاية فى تشريفهم لبلّغها ، أو موهبة لسوّغها ، لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ، والله منجح الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظَّهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمرٍ مُطاع ، وفخر مستند إلى إجماع ، ووجوب آتباع ، وليكن خير مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعه - أيده الله - ليكون بعض المدد لأزواد سفره ، وسماط فقره ، فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوّغه من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان : وهى المحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ، تنطلق عليها أيدى خدامه ورجاله ،

(١) فى الريحانة « منجد لطيب » الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مألقة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جود الوجود ، من بعد الركون ، رياحا ، وأوسع العيون قرة <sup>(١)</sup> [وإبصارا] والصدور أنشراحا ، وهيا للتعتمد به مغدى في السعادة ومرآحا ، وهز منه سيف عتيقا يفوق اختيارا ويروق التياحا ، وولاه رئاسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وأزداد فخراً صراحاً ، وكان <sup>(١)</sup> [له] ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحجاج <sup>(١)</sup> [يوسف] ابن مولانا أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حلاً ، وأورده من عذب رضاه منلاً ، وعرفه عوارف قبوله مفصلاً خطابها ومجلاً ، الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي <sup>(٢)</sup> مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه علي [أحمد] عادة سلفه <sup>(١)</sup> [وعادته] .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ريحانة الكتاب «أكتاف» .

ولمّا كان له القَدْرُ الجليل ، والمجدُّ الأثيل ، والذكرُ الجميل ، والفضائلُ التي كُرِّمَ منها الإجمال والتفصيل ، وأحرَزَ قَصَبَ السَّبْقِ بذاته وسلفه إذا ذُكِرَ المجدُّ العريض الطويل ، وكان قد أعملَ الرَّحْلَةَ إليه يَحْدُوهُ إلى خدمته التأميل ، ويَهْوَى به الحبُّ الذي وَضَعَ منه السبيل ، وعاق عنه الواقعُ الذي تبيّن فيه عُذْرُهُ الجميل ، ثم خلّصه الله من ملكة الكفر الخلاص الذي قام به على عنايته الدليل - قابله بالقبول والإقبال ، وفَسَّحَ له مِيدَانِ الرضا رَحْبَ المَجَال ، وصَرَفَ إليه وَجَهَ الأعداد بمضائه رائق الجمال ، سافرًا عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة الظلال ، وقطَعَ عنه الأطماع بمقتضى هِمَّتِهِ البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنَجِّحُ رأيهِ ، ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه عَوَارِفَ آلائهِ ، ويعمُرُ به رُتَبَ آبائِهِ . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [ آلاءه ]<sup>(١)</sup> ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أُولَى الدِّفاع عن الدين ، بمدينة ( مالقة ) حرسها الله أختِ حضرة [ دار ] ملكه ، وثانية الدُّرَّة الثمينة من سلّكه ، ودارِ سلفه وقرارة مجده ، والأفق الذي تألّق منه نور سعده ، راجعًا إليه نظر القواعد الغربية رُندة وركوان (؟) وما إليه رجوعُ الاستغلال والاستيراد ، والعزّ الفسيح المجال البعيد الآماد ، يقودُ جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد ، حتّى يظهر على تلك الجهات المباركة آثارُ الحماية والبسالة ، ويعود لها عهدُ المجادة والجلالة ، وتترنّ ملابس الإياله . وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد الكريم ، والحسب الصميم ، حتّى ينمو عددُ الحمّاه ، ويكفّ البأسُ أكَفَّ الغزاة ويعظم أثرُ الأبطال الكُماه ، وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمنُ جميعَ الأقطار ، وتحسّم عنه أطماع الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .



## الضرب الثاني

من أصحاب الأقدام)

هذا ظهيرٌ كريم أنتج مطلوبَ الاختيار قياسيَّه ، ودلَّ على ما يُرضى الله عز وجل  
آلتماسه ، وأطلع نورَ العناية يجلو الظلامَ نبراسه ، وأَعتمدَ بمَثابةِ العدل من عُرف  
بافتراع هَضْبَتها بأَسسه ، وألقى بيدَ المعتمد به زِمَامَ الاعتقاد الجميل تُروق أنواعه  
وأجناسه ، وشيّد مَبْنَى العز الرفيع في قُنَّةِ الحَسَب المنيع وكيف لا والله بانيه  
والمحمدُ أساسه .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا  
 أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نخره - لقاضى حضرته عليه ،  
 وخطيب حمراء السنيّة ، المخصوص لديه بترفيح المزيّة ، المصروف إليه خطاب  
 القضاة بإيالاته النصريّة ، قاضى الجماعه ، ومصرف الأحكام الشرعيّة المطاعه ،  
 الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعادتّه ،

وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ ، وَسَنَّى مِنْ فَضْلِهِ إِرَادَتَهُ . عَصَّبَ مِنْهُ جَبِينَ الْمَجْدِ بِتَاجِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَالَ قِدَاحَ الْأَخْتِيَارِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ ، فَأَلْقَى مِنْهُ بِيَمِينِ عَرَابَةِ الرَّايَةِ ، وَأَحْلَاهُ مِنْهُ مَحَلَّ الْفِظِّ مِنَ الْمَعْنَى وَالْإِعْجَازِ مِنَ الْآيَةِ ، وَحَشَرَ إِلَى مِرَاعَاةِ تَرْفِيعِهِ وَجُوهَ الْبِرِّ وَأَعْيَانَ الْعَنَاءِ ، وَأَنْطَقَ بِتَبْجِيلِهِ ، أَلْسُنَ أَهْلِ جِيلِهِ ، بَيْنَ الْإِفْصَاحِ وَالْكِتَابَةِ .

وَلَمَّا كَانَ لَهُ الْحَسَبُ الَّذِى شَهِدَتْ بِهِ وَرَقَاتُ الدَّوَاوِينِ ، وَالْأَصَالَةُ الَّتِى قَامَتْ عَلَيْهَا صِحَاحُ الْبِرَاهِينِ ، وَالْآبَاءُ الَّذِينَ أَعْتَرَتْ بِمَضَاءِ قُضَاتِهِمُ الدِّينَ ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَ الْحُكْمِ بِسُيُوفِهِمُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَأَزْدَانِ بِمَجَالِسَةِ وَزَرَائِهِمُ السُّلَاطِينِ : فَمِنْ فَارِسِ حُكْمٍ أَوْ حَكِيمِ تَدْبِيرٍ ، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرٍ ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمَعَ سَلَامَةً لِاجْتِمَاعِ تَكْسِيرٍ ، تَعَدَّدَ ذَلِكَ وَأَطْرَدَ ، وَوَجَدَ مَشْرَعَ الْمَجْدِ عَذْبًا فَوْرَدَ ، وَقَصَّصَتْ النَّظْرَاءُ عَنْ مَدَاهِ فَانْفَرَدَ ، وَفَرَى الْفِرَى فِي يَدِ الشَّرْعِ فَأَشْبَهَ السَّيْفَ الْفَرْنَدَ ، وَجَاءَ فِي أَعْقَابِهِمْ مُحْيِيًا لِمَا دَرَسَ ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَسَ ، جَانِيًا لِمَا بَذَرَ السَّلَفُ الْمُبَارَكُ ، وَأَغْتَرَسَ ، طَاهِرَ النَّشْأَةِ وَقُورَهَا ، مُحْمَدَ السَّجِيَّةِ مَشْكُورَهَا ، مُتَحَلِّيًا بِالسَّكِينَةِ ، حَالًا مِنَ النَّزَاهَةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ ، سَاحِبًا أَذْيَالَ الصَّوْنِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالْفُسَادِ مِنَ لَدُنِ الْكَوْنِ ، نَخْطَبْتُهُ الْخُطَطَ الْعَلِيَّةَ ، وَأَغْتَبَطْتُ بِهِ الْمَجَادَةَ الْأَوَّلِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَلْتُهُ دَوْلَتَهُ الَّتِى تَرْتَادُ أَهْلَ الْفَضَائِلِ لِلرُّتَبِ ، وَتَسْتَظْهَرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ التَّقَى وَالْحَسَبِ ، وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْأَدَبِ ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ وَالْإِرْثِ وَالْمَكْتَسَبِ ، فَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ عُدُولِ قُضَاتِهَا وَصُدُورِ نُبَاهِئِهَا ، وَأَعْيَانَ وَزَرَائِهَا ، وَأُولَى آرَائِهَا .

فَلَمَّا زَانَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ بِالتَّمْجِيسِ ، الْمَتَجَلَّى عَنْ التَّخْصِيسِ ، وَخَلَصَ مُلْكُهُ الْأَصِيلَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ مِنْ بَعْدِ التَّخْلِيسِ ، كَانَ مِنْ صَحْبِ رِكَابِهِ الطَّالِبَ لِلْحَقِّ

(١) يُقَالُ طَبَّقَ السَّيْفَ إِذَا أَصَابَ الْمَقْصِلَ فَأَبَانَ الْعَضْوُ . انْظُرِ اللِّسَانَ .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ، وَسَلَكِ فِي مَظَاهِرَتِهِ أَوْضَحَ الطُّرُقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ  
الْحِدَادِ الذُّلْقِ ، وَاشْتَهَرَ خَيْرُ وَفَائِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،  
وَالْأَمْنِ وَالْحَذَرِ ، وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَذْرِ اللَّهِ عَهْدُهَا ، وَخَاطَبَ  
عَنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ - الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ، حَتَّى اسْتَقْلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،  
وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السَّيْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ إِيَالَتِهِ  
وَيُمْنِ تَدْيِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمَحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوَرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ،  
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْبِكَارِ ، مَزِينَ الْمَجْلِسِ  
السُّلْطَانِيِّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَحِفَ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ، وَخَطِيبَ مِنْبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،  
وَقَارِيَّ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدِي اللَّهِ - أَنْ يُشْرِكَ رِعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوءَةِ  
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَهُ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِيضَاحِ شَرْعِهِ ،  
وَأَصْلِهِ الْوُثِيقِ وَفِرْعِهِ ، وَقَدَّمَ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ  
الشَّرْعِيَةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ، بِحَضْرَةِ غُرْنَاطَةِ [الْعَلِيَّةِ] حَرَمِهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ  
الْأَخْتِيَارِ وَالْإِتْقَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَافِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يُمَتِّعُهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ، مُسَوِّيًا بَيْنَ الْخُصُومِ حَتَّى  
فِي لَحْظِهِ وَآلَتَفَاتِهِ ، مُتَصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ، مُهَيِّبًا بِالدِّينِ ، رَءُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ،  
مَسْجَلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرُ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ، جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،  
مُجْتَهِدًا فِي الْفُضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًّا  
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوْثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ  
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَقْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثَبُّتِ

حتى يُبلَجَ قِياسُ التحقيق ؛ وصِيَّةٌ أصدرها له مَصْدَرُ الذِّكْرِ التى تنفع ، ويُعَلِي اللهُ بها الدَّرَجَاتِ ويرفع ، وإلا فهو عن الوَصَاة غَنِيٌّ ، وقصده قصدٌ سَنِيٌّ ؛ والله عز وجل ولىُّ إعانتِهِ ، والكفيلُ بحِفْظِهِ من الشُّبُهَاتِ وصِيَّانَتِهِ .

[ وأمره - أيدِه اللهُ - أن ينظر فى الأحباس على اختلافِها ، والأوقاف على شَتَّى أصنافِها<sup>(١)</sup> ] واليتامى التى أنسدت كِفَالَةُ القُضَاةِ على ضِعَافِها . فيذودُ عنها طوارقَ الخلل ، ويُجْرِى أمورَها بما يتكفَّلُ لها بالأَمَلِ .

وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فَلَائِكَ الحُكْمِ تُعاوِذُهُ المراجعة فى أُنْحرَاه ، فيُدْرِعُ جُنَّةً تقواه ، فسبحان من يقول : ﴿ إِنَّ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ .

فعلى مَنْ يَقِفُ عليه أن يعرف حقَّ هذا الإجلال ، صائناً منصبه عن الإخلال ، مبادِراً أمره الواجب بالامْتِثَالِ ؛ بحول الله .

وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبعمائة ، عرَّفَ اللهُ فيه هذا المَقَامَ العَلِيَّ عوارفَ النصر المبين والفتح القريب ، بِمَنِّهِ وكرمه ، فهو المستعان لارب غيره .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضاً ، وهو :

هذا ظهيرٌ كريمٌ عَلى رتبة الاحتفاء [والاحتفال]<sup>(١)</sup> اختياراً واختياراً ، وأظهر معاني الكرامة والتخصيص انتقاءً وأصطفاءً وإيثارة ، ورفع لواءَ الجلالة على مَنْ أَشْتَمَلَ عليها حقيقةً واعتباراً ، ورقى فى درجات العز من طاولها علاءَ بهر أنوارا ، ودينًا كرم فى الصالحات آثاراً وزكا فى الأصالة نَجَاراً ، وخُلُوصاً إلى هذا المَقَامِ العَلِيِّ السعيد

(١) الزيادة عن ريحانة الكتاب ، ونفح الطيب ص ٧٣ ج ٣ .

راق إظهاراً وإظهاراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ  
القاضي، العدل، الأرضي، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص  
لدى المقام العلى بالخطوة السنية والمكانة الحفية، الفاضل، الحافل، الكامل،  
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعز، المساجد،  
الأسنى، المرفع، الأخفل، الأصالح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم  
أبي محمد بن الحسن - وصل الله عزته، ووالى رفعتة ومبرته، ووهب له من صلة  
العناية الربانية أمله وبغيته - لما أصبح في صدور القضاة العلماء مشاراً إلى جلاله،  
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بكمله، مطرّزا على الإفادة العلمية والأدبية بحاسنه  
البدعية وخصاله، محفوفاً مقعداً الحكم النبوي ببركة عدالته وفضل جلاله، وحلّ  
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذي لا يرقاه إلا عين الأعيان، ولا يتبوء مهاده إلا مثله  
من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية  
في الحُسْن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة  
الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والعيان، والمقاصد التي وفّت بالغاية التي لا تُستطاع  
في هذا الميدان، فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمه فتح بإدراكه  
مقفليها، ومسألة مهملة عرف نكرتها وقرّر مهمليها، حتى قرت بعدالته وجزالته  
العيون، وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون، وكان في تصديده لهذه الولاية  
العظمى من الخير والخيرة ماعسى أن يكون - كان أحق بالتشفيع لولاياته وأولى،  
وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكداً  
للاحتفاء الوجيه، وقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

(١) [من حضرته] - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء، وكبار العلماء، وخيار الفقهاء الصّالحاء، فليتلّ ذلك في جمعاته، مظهرًا في الخطبة أثر بركته وحسناته، عاملاً على ما يقرب به عند الله من مرضاته، ويظفره بجزيل مَثُوباته، بحول الله وقوته .

### الضرب الثالث

( ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية )

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر، وهى :

هذا ظهير كريم نصب للمعتمد به الإنافة الكبرى ببابه فرّعه، وأفرد له متلّو العز (٢) جمعه ووثره وشفّعه، وقربه فى بساط الملك تقريباً [ أرغم به أنف عداه ووضعـه ] (٣)، وفتح له باب السعادة وشرّعه، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته، من أولى صنّعه، أن يتّبعه، ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما آتته الله من يد الغاصب وأنترعه، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شىء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادته، وحرس مجادته - أطلع له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم، وأقطعه جناب الإنعام الجسيم، وأنشقه أرج الحظوة عاطر النسيم، ونقله من كرسى التدريس والتعليم، إلى مرقى التنويه والتكريم، والرتبة التى لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وجعل أقلامه جياذا لإجالة أمره العلى، وخطابه السنّى، فى ميادين الأقاليم، ووضع فى يده أمانة القلم الأعلى، جارياً من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) فى الريحانة «نصب المعتمد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب" .

الطريقة المثلى، على النهج القويم، واختصه بمزية الشُّفوفِ على كُتَّابِ بابه الكريم .  
 لما كان ناهض الوكر في طلبة حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التميز  
 فحائل هذه العناية : فإن حضر حلق العلم جلّ في حلبة الحُفَاطِ إلى الغايه ؛ وإن نظم  
 أو ثرأتى بالقصائد المصقوله ، والمخاطبات المنقوله ، فاشتهر في بلده وغير بلده ،  
 وصارت أزمّة العناية طوعَ يده ، بما أوجب له المزية في يومه وغده .

وحين ردّ الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالى  
 والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ؛ وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك  
 عود خلوصه وخبره ؛ فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ؛ وأستصحب على ريكابه  
 الذى صحب اليمن سفره ، وأخلصت الحقيقة نَفَره ، وكفل الله ورده وصدره ؛  
 ميمون التقيبه ، حسن الضريبه ؛ خالصاً في الأحوال المريبه ، ناطقاً عن مقامه  
 بالمخاطبات العجيبه ؛ واصلاً إلى المعانى البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزاً بالخدم  
 الغريبه ، حتى استقام العباد ، ونطق بصديق الطاعة الحى والجماد ، ودخلت  
 في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد ، وآلائه المتواليه  
 الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكر له الخدم  
 المشكور مسعاها ؛ فقصر عليه الرتبة الشماء التى خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب  
 أعتنايه ، وفسح له مجال آلائه ؛ وقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر نعمه - كاتب السر ،  
 وأمير النهى والأمر ؛ تقديم الاختبار ، والأعتباط بخدمته الحسنة الآثار ، والتمن  
 باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفاً بمقداره ، مقتفياً لآثاره ، مستعيناً بالكتم لأسراره ، والأضطلاع  
 بعظام أموره وكراره ، متصفاً بما يجمل من أمانته وعفافه ووقاره ؛ معطياً هذا الرسم

حقه من الرئاسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاغتياب بتقريبه وإدناؤه ، وتوفر أسباب الزيادة فى إعلائه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهماً ثاقباً ، وأدباً لعيون الكمال مراقباً ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأقلام ، والكتّاب الأعلام ، وغيرهم من الكفاة والخدام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ، والتقديم الراشح الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

### الطرف الثالث

( فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين  
وفى بعدهم إلى زماننا )

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تنصرف الهمم لتدوينه مع تناول الأيام وتوالي الليالى .



الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيديّة .

وقد تقدّم أن أحمد بن طولون أوّل من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصريّة . ولما شَمَخَ سلطانه ، وارتفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ، وكان يفتّح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحقّ كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة تُرشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إنّ أحقّ من أثر الحقّ وعمل به ، وراقب الله في سرّ أمره وجهه ، واحترس من الزّيف والزّلل في قوله وفعله ، وعمل لمعاده ورجعته ، إلى دار فاقته وفقره ومسكته ، من جعل بين المسلمين حاكماً ، وفي أمورهم ناظراً : [فأراق] <sup>(١)</sup> الدماء وحقنها ، وأحلّ الفروج وحرّمها ، وأعطى الحقوق وأخذها ، ومن علم أنّ الله تبارك وتعالى سائله عن مثقال الدّرة من عمله ، وأنه إنما يتقلب في قبضته ، أيام مدته ، ثم يخرج من دنياه نكروجه من بطن أمّه ، إما سعيداً بعمله وإما شقيّاً بسعيه .

وإنّا لما وقفنا عليه من سديد مذهبك وقويم طريقتك ، وجميل هديك وحسن سيرتك ، ورجوانه فيك ، وقترناه عندك : من سلوك الطريقة المشلى ، واقتفاء آثار أئمة الهدى ، والعمل بالحق لا بالهوى — رأينا تقليدك القضاء بين أهل نغر برقة ، وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب — وبطاعته التي من أثرها

(١) بياض في الاصل والتصحيح من المقام .

سعيد، ومن عمل بها حيد، ومن لزمها نجا، ومن فارقها هوى - وأن تواصل  
الجلوس لمن بحضرتك من الخصوم : صابرا بنفسك على تنازعهم فى الحقوق،  
وتدافعهم فى الأمور، غير برىء بالمراجعات ، ولا صجير بالمحاكمات : فإن من حاول  
إصابة فصل القضاء ، وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم ، ولا معونة من  
صبر ، ولا سهمة من كظم ، لم يكن خليقا بالظفر بهما ، ولا حقيقا بالدرك لهما -  
وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما إليك ، وجلسا بين يديك ، فى لحظك ولفظك ،  
وتوفى كل واحد منهما قسمه من إنصافك وعدلك ، حتى يئأس القوى من ميلك ،  
ويأمن الضعيف من حيفك : فإن فى إقبالك بنظرك وإصغائك بسمعك إلى أحد  
الخصمين دون صاحبه ما أضل الآخر عن حجته ، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -  
وأن تحضر مجلس قضائك من يستظهر برأيه ، ومن يرجع إلى دين وحج وتقى :  
فإن أصبت أيديك ، وإن نسيت ذكرك - وأن تقضى فى كل ما تعمل فيه  
رويتك ، وتمضى عليه حكمك وقضيتك ، بكتاب الله الذى جعله صراطا مستقيما ،  
ونورا مستبيننا ، فشرع فيه أحكامه ، وبين حلاله وحرامه ، وأوضح به مشكلات  
الأمر ، فهو شفاء لما فى الصدور . وما لم يكن فى كتاب الله جل وعز نصه  
فإن فيما يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم حكمه ، وما لم يكن فى حديث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله  
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا ، ولا أدخروهم نصيحة واجتهادا ، عالم أنك  
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق ممن تصيبه فيه : لما تتعجله  
من جميل أحوالته وذكره ، ويُدخلك من عظيم ثوابه وأجره ، ويصرف عنك من  
حوب ما تنقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من] أهل الثقة فى أديانهم ،  
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم ، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم ، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [ كل ] كلام تُصدِّره، وحكم تُبرِّمه، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو الصدق، وأنت قد أبلت عُذرَكَ في تخيُّرهم، فإنه بعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك، والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ويحضركَ التوفيق في جميع أقضيتك - وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم، وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة، والصدق والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضيه، ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب في مثله، واستعمال الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك، إشرافاً يمنعهم من الظلم للرعيه، ويقبض أيديهم عن المآكل الرديه، ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد في بصيرة ذوي الثقة والأمانة منهم، فمن وقفت منه على آمثال لمذهبك، وقبول لأدبك، واقتصار فيما يتقلده لك، أقررتَه وأحسنَت مكافأته ومثوبته، ومن شمت منه حيفاً في حكمه، وتعدّياً في سيرته، وبسطاً ليدِه إلى ما لا يجب له، تقدمت في صرْفه، وألزمته في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكتابك من تعرف سداد مذهبه، وأستقلاله بما يتقلده، وإشاراً لرس (١) من صحته، ومن تقدّر عنده تقدماً (٢) في نصيحتك فيما يجري على يديه، وتوخياً لصدقك فيما يحضره وتغيّب عن مشاهدته، فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتَفوّض إليه من حُجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوّض إلا لذي العفاف والدين - وأن نتفقد

(١) لعله « وإشاره للتأكد من صحته » . تأمل .

(٢) لعله « تحرياً » تأمل .

مع ذلك أمره ، وتصفح عمله ، وتُشرف على ماتحت يديه بما يؤدّيك إلى إحكامه وضبطه ، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لحجّابتك من لا يتجهم الخُصوم ، ولا يختصّ بعضها دون بعض بالوصول ، وتوعز إليه فى بسط الوجه ، ولين الكنف ، وحسن اللفظ ، ورفع المؤنة ، وكفّ الأذى .

فتقلّد ماقلّدناك من ذلك عاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره ، ومستعيناً به فى أمرك كلّ : فإنّا قلّدناك جسيماً ، وحملناك عظيماً ، وتبرّأنا إليك من وزره وإضره ، واعتمدنا عليك فى توحى الحقّ وإصابته ، وبسط العدل وإفاضته ، وأقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجّبك ولثمن قراطيسك وسائر مؤنك فى كل شهر أربعين ديناراً ، فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك ، أوقات استحقاقك إياه ووجوبه لك ، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك ، والتقوية لأمرك ، وضمّ العِدّة التى كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان ذلك إن شاء الله تعالى .

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيّوب .

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام «تقاليد» و «تواقيع» و «مراسيم» وربما عبّروا عن بعضها بـ «لمنّاشير»

وهى فى الافتتاحات على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - أن تفتتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى بالبعدية ، ويذكر ما سنع من حال الولاية والمولى ، ويوصى المولى بما يليق بولايته ، ثم يقال : «وسبيل كلّ واقف عليه من النّواب العمل به» أو نحو ذلك .

وهى على ثلاثة أصناف :

## الصف الأول — أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهى :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ، ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومُنير الدين ومُدِيله ، ومُبِير الكُفْر ومُذِيله ، وشادّ أزر أوليائه وسادّ ثغرىهم ، وناصر مُعزّهم ومُعزّ نصيرهم ، الذى أضفى علينا مَدَارِعَ نِعَمه ، وأضفى لدينا مَشارِعَ كَرَمه ، وأعلق أَيْدِينَا من العدل بأَوْكِدِ الأسباب والأمراس ، وصَرَفَ بنا صَرَفَ العَسْفِ وكَفَّ بكفائتنا كَفَّ البُؤْسِ عن الرعيّة واللبّاس ، وجَلَبَ إلى استجلاب الشكر من الناس هِمَّتِنَا ، وطَوَّى على حُبِّ البرِّ وإبرار الحُبِّ طَوَيَّتِنَا ، وحَسَمَ بما أولانا من أَيْدٍ مَادَّةَ كُلِّ يَدٍ تَمْتَدُّ إلى محظور ، ويسرنا ببساط العدل المطوى لِمَا طَوَّى بعدلنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهبها لكافر ، أو ندع شكر منّة أو نُودِعَها عند غير شاكر .

ولمّا كان الأمير فلان مِمَّنْ سَبَقَتْ لِحْدَه ولأبيه - تعاهد الله بالعهاد مثواهما ، وخص بثرار الرحمة ثراهما - الحُرْمَ الأكيد ، والحِدْمَ الطريفة والتَّليد ، ولم يزل مجتهدَيْنِ فى تعمير هذا البيت وتشديد أُسْسه ، ملازمي الإِدَابِ فى إنمائه وتشديد غرسه ، مُفَضِّلِينَ بالموالاة إلى مَوَالِيه ، مُفَصِّحِينَ بالمعاداة لمُعَادِيه ، رأينا - لا زال الإقبال لآرائنا مقابلا ومُرافقًا ، والسعدُ مساعدًا والتوفيقُ موافقًا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا موردَ جدّه وأبيه ، ونثني إليه عِنانَ عِنايتنا ، ونزعه بعين رعايتنا ، ونلحقه جَنَاحَ لُطْفنا ، ونبوءه مَقْعَدَ شرف تحت ظِلِّنا ، ونحرّس حُدّه من الفُلُولِ ، وجَدّه من الخُمُولِ ، وعُودَه من الحُورِ ، وورْدَه من الكدَرِ ، وأن نُقرّره

على ما يؤأنا فيه والدّه من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت أسمه من المعاقل والبُلدان، وسيُوضّح ذلك بقلم الدّيان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويواز هذا الإفضال من حُسن القبول بعِده ، وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيد من أطرح حلّة الشاكي وأدرع حلّة الشاكر ، وليدمن التحدّث بها فالتحدّث بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادّها بإيضاح سُبُل البر ، ويعمل التقوى شعاره ودثاره ، ويُخلص الطاعة لله إرادته وإصداره .

وليكن العدل ربيئته ورائده ، والأمر بالمعروف دليله وقائده ، وليقم فيما نيّط به حقّ القيام ، ويشمر في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبته لدينا أبهج المراتب وأبهاها ، ومحله عندنا السامى الذى لأضاهيه سامى ، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفترع علمه سامى ، فسبيله علم ذلك وتحقيقه ، وتيقنه وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [ أن ] يقابله بالامتثال ، من سائر العَمال ، وأرباب الولايات والأعمال ، والاعتماد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها ، والتحدّث على أوقافها وسائر تعلّقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ، القاهر سلطانه ، المتظاهر آمنتانه ، نجمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وازديانه ،

ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد نبيه الشارع الشارح بيانه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاد شرعه وأركانها .

أما بعد ، فإننا لما نراه من تشييد بيوت ذوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة فى أهل المروءات ، وإرعاء موات ذوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم الشامل عمومها لأولى الخصوص والخلوص فى الموالات ، ما نزال نلحق درجات الأخلاف منهم فى الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا فى الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ونجنيهم من مغارس الرجاء ، ومجارى التماء ، فى الإدناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القطاف ، ونفيض عليهم من مدارع البهجة والبهاء ، وحلل الثناء والثناء ، فى الأكرام ، بالأحترام ، ما يصفو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجلى الجليل ، والمحتد الأكيد الأصيل ، والفضل الموروث والمكتسب ، والزكاء فى المتمى والمنسب ، والذكاء الذى أنارت فى أفق التوفيق ذكأؤه ، والولاء الذى بان فى شريعة الإخلاص صفأؤه ، والدين الذى علا سناسنته ، فى منار التحميد ، والخلوص الذى حلا جنى جنته ، فى مذاق التوحيد ، والرياسة التى توضع رياء رياضها المونقه ، والسماحة التى تنوح حيا حياضها المغدقه ، والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى تجحى بها عندنا وسائله - رأينا إجراءه على عادة والده فى تولي المدرسة المعمورة التى أنشأها جده للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستناية من يراه ويختاره فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلق بها كثره وقلة ، وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكميل وتقسيم ، وحفظ الوقوف بالأحتياط  
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبستها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالابتداء  
 بالعمارات ، التى تؤذن بتوفير الارتفاعات ، وتكثير المغلات ، وتنمية الثمرات ،  
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والجنة  
 الواقية عند النابات . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من  
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ، ورفعاً لمكانتهم المكيه ،  
 وحفظاً لمرتبتهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،  
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنواب والشوايب ،  
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤن والسخر ، والتبن والخطب ،  
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنفال ، وإعفاء فلاحيها  
 ومزارعيها من جميع ذلك ، وإطلاق كل ما يصل من مغلات الأوقاف والأملاك  
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤن على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من  
 البضاعات والبياعات والتجارات معلقة مطلقاً لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى  
 شئ منها يد ذى يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ، بنظر  
 كاف شاف ، وكريم وافر وافر ، وورع من الشوايب صاف ، وعزوف عن الدنيات  
 بالدينيات متجاف ، وسداد لركن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المناسج رائد ،  
 ورأى فى ذمة الصواب راجح ، وسعى بربة الرشاد ناجح ، وهمة عالية فى نشر العلم  
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ،  
 ومروءة تامة فى الاشتغال على إخوته ومخلفى أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به  
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آبائه الرمم ، ويقوى لهم من معاهد مكارمه العصم . وسبيل  
 الولاية والنواب وكل واقف على هذا المثال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستمرار ،



وتصمّم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ؛ وحفظه فيهم  
وفي أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،  
من فسح ينقض مبرم معاقده ، أو نسخ يقوض محكم مقاعده ؛ أو تبديل يكدر صفى  
موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضافى ملابسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة  
في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه  
في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالى و بمقتضاه ، والاعتماد على التوقيع الأشرف  
به إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بنى الأثير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزياده ،  
وجعلنا ممن استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إيراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفصح مجالا ، وإذا اختلفت خواطر الحامدين  
روية كثرها أرتجالا ، ونسأله أن يوفّقنا لتلقى أوامره ونواهيه بالاتباع ، وأن يصغى  
بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير داع ، وينقذنا من تبعات ما استرعانا  
يوم يسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرّن استخارته برشده ، وجعلها نورا يهتدى به فى سلوك جده ،  
ويستمد من يمين صوابه ما يغنى عن رأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدّب بأداب الله  
فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ،  
فمن عنوان ذلك أنا مصطفىنا لوزارتنا من تحمّدا الأيام من أجله ، وتحسّدا الملوك  
على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيد الصدر الكبير؛ جلال الدين، شرف الإسلام، مجتبي الإمام نحر الأنام؛  
 وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عرفاً، ولا تستوفى من أوصافه وصفاً؛  
 وإن عدها قوم جل ما يدحرونه من الأحساب، ومعظم ما يخلفونه من التراث  
 للأعقاب؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شرفه، ورضى من الجوهر  
 بصدفه؛ وأنت فغير فاحر به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أضحيت الأيام به  
 شهوداً، والحدود له جدوداً، وغدا وكان عليه من شمس الضحى نورا ومن الصباح  
 عموداً؛ وقد علمت أنه كان إليه نسب المكارم وسيمها، وكان ما بلغه منها أعظم  
 ما بلغه من دنياه على عظيمها؛ أنك خلقت لنفسك مجداً منك ميلاده، وعنك  
 إيجاداً؛ وإذا اقترن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه،  
 وتلاقى طرفاه، وغض الزمان عنه طرفه كما فتح بمدحه فاه؛ وإذا استطرفت سادة  
 قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد، ولقد صدق الله لهجة المثنى عليك إذ يقول:  
 إنك الرجل الذى تضرب به الأمثال، والمهدب الذى لا يقال معه: أى الرجال؛  
 وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها، وسد ثغرها، وأصبحت وأنت  
 صدر لقلبها وقلب لصدرها؛ فهى مزدانة منك بالفضل المبين، معانة بالقوى  
 الأمين؛ فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك فى ولأها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفايتك  
 فى تمهيدها وإعلائها .

ومن صفاتك أنك الواحد فى عدم النظير، والمعدود بألف فى صواب التدبير،  
 والمؤازر عند ذكر الخير على الإعانة وعند نسيانه على التذكير؛ ولم ترق إلى هذه  
 الدرجة حتى نكحت عقبات المعالى فقضيت أجلها، وأنست من طور السعادة نارا  
 فهديت لها؛ ولم تبلغ من العمر أشده، ولا نزع عنك الشباب برده؛ بل أنت  
 فى ريعان عمرك المتجمل بريعان سؤدده، المتقمص من سيم الخلال ما أبرز وقار

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ؛ فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه منار ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فينفحها خفراً ، وسيف يجادل عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أبيك مكرها على إجابة خاطبه ، والتزوي إليه عن مراتبه ؛ فلما جئناه استقر في مكانه ، ورضى بعلو شأنكما لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بأنك نزلته نزول الليث في أجحه ، واستقلت به استقلال الرمح بأحدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشغول بالسعى للسيادة وآدابها ، عن السعى للسعادة وطلابها . نفذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكب .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حفلها ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، وودها مستملاً لك لأمعاراً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة توءمان ، وإنه لا يتم إلا باجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تُمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجيدك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حمت مآهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنه تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونُيذرت له حصاها ، فانت مستغن عن استماعها ، مكتفٍ بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرِك يُسرّا ومن عَزَمِك نَفَاذاً ، وقد أجبنا لسانَ حالِك بأنك تأخذ بتقوى الله  
التي ضمنَ لها العاقبة ، وجعلَ شيعَتها الغالبة ، وأنك تجعلُها بينك وبينه سبباً ممدوداً ،  
وبينك وبين الناس خُلُقاً معهوداً ، حتّى تُصبح وقد أمنتَ من دهرِك عِثاراً ، ومن  
أبنائه أسماعاً وأبصاراً — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذي سلم الناسُ  
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشَّيم ، التي تُحفظ بها سياساتُ  
الأمم : فإنَّ العدل هو الميزان الذي جعله الله ثانيَ الكتاب ، والإحسان الذي هو  
الطينة التي شاركتها القلوبُ في جيلاتها مشاركةَ الأحباب .

وأما ما سوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أصوله ، وتدير محصُوله ، كالبلاد  
وأستعمارها ، والأموال وأستثمارها ، وولاية الأعمال واختبارها ، وتجنيد الجنود  
واختيارها ، فكلُّ ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يُمشَى فيه إلا على  
أثرك ، وأنت فيه الفقيهُ ابنُ الفقيه الذي سرى إليك علمه نفساً ودرسا ، وثمرَةً  
وغرساً ، فهذا كتابُ عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبتِ السموات والأرض  
حملها ، وما أطاقَتْ ثِقَلها ، والله يسئلك بك سدداً ، ويتحرى بك رشداً ، ويلزمك  
التوفيق قلباً ولساناً ويداً ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بشعر الإسكندرية لأبن بصاصة في شهر  
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهى :

الحمد لله الذى أضحك الشُّغور بعد غُوسها ، وردَّ لها جمالها وأنار أفقها بطلوع  
شُموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُسْرِف على دُروسها ، وأقامَ  
لمصالح الأمة من يُشرق وجهُ الحق ببياض آرائه ، وتلتدُّ الأسماعُ بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبائه ، حمد من أُسِغَتْ عليه النعماء ، وتهاذت إليه الآلاء ، وخطبته  
لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحق من ماس في أندية الرياسة عطفاً ، وأستجلى وجوه السعادة من  
حُجِبَ عزها فأبدت له جمالاً ولطفاً ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهماتٍ لمَّا رآته  
خير كافل ، وتنقل في مراتبها السنية تنقل النيرات في المنازل <sup>(١)</sup> .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ،  
الكامل ، المجتبى ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نحر الأنام ، شرف  
الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأمناء ، ذخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ،  
الحسين بن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتَه - ممن أشارت إليه  
المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سُؤْل نِعَم الوَسِيله - رُسم بالأمر العالى ،  
الموآوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاءه ونفاذه -  
أن يفوض إليه نظرُ ثغر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر  
صادره ، ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويأشر هذا المنصب المبارك ،  
بعزماته الماضيه ، وهممه العالیه ، برأى لا يساهم فيه ولا يُشارك ، ليُصبح هذا الثغر  
بمباشرة باسمٍ حاليًا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانياً . وينتصب لتدبير أحواله على  
عادته ، ويقرر قواعده بعالى همته ، ويجتهد في تحصيل أمواله وتحصيل ذخائره ،  
وأستخراج زكاته وتنمية متاجره ، ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا  
ألفوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ، فإنهم هدايا البحور ، ودوالة

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناسخ وأصله « من اشتهر بحاسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسعيه الناجح ، ولما » الخ أو نحو ذلك فتنبه .

الثَّغُورُ، ومن أَلَسَّتْهُمْ يُطَّلَعُ عَلَى مَا يُجْنُهُ الصُّدُورُ، وَإِذَا بَذَرُ لَهُمْ حَبُّ الْإِحْسَانِ  
نَشَرُوا لَهُ أَجْنَحَةَ مَرَاكِبِهِمْ وَحَافُوا عَلَيْهِ كَالطُّيُورِ . وَلِيَعْتَمِدُ مَعَهُمْ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْمَرَاسِمُ  
الْكَرِيمَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ الْحُكْمُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، وَلَا يَسْلُكُ بِهِمْ حَالَةً تُوجِبُ لَهُمُ الْقَلَقَ وَالتَّظَلُّمَ  
وَالْمَقْتَ، وَلِيُوَاصِلَ بِالْحُمُولِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ، وَيُمَلَأَ الْخَزَائِنَ السُّلْطَانِيَّةَ  
مِنْ مُسْتَعْمَلَاتِ الثَّغْرِ وَأَمْتَعَتِهِ وَأَصْنَافِهِ بِكُلِّ مَا يُسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الْوَاصِلِ فِي الْبُرُورِ  
وَالْبُحُورِ، وَلِيَصْرِفَ هِمَّتَهُ الْعَالِيَةَ إِلَى تَدْيِيرِ أَحْوَالِ الْمَتَاجِرِ بِهَذَا الثَّغْرِ بِحَيْثُ تَرْتَفِعُ  
رُءُوسُ أَمْوَالِهَا وَتَنْمَى، وَتَجُودُ سَحَابُ فَوَائِدِهَا وَتَهْمَى، وَلِيَرَاعَ أَحْوَالِ الْمُسْتَخْدَمِينَ  
فِي مَبَاشَرَاتِهِمْ، وَيُكْشِفَ عَنْ بَاطِنِ سَيْرِهِمْ فِي جِهَاتِهِمْ، لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ مَهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ،  
وَنَاطِرٌ بَعِينَ الرَّأْفَةِ إِلَيْهِمْ، فَتُنْكَفَى يَدُ الْخَائِنِ مِنْهُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ، وَتُتَحَلَّى أُنَامِلُ الْأَمِينِ  
بِحَاسَنِ الصِّيَانَةِ، وَلِيَتَّفِقَ فِيمَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ، وَيَقْدِمَهُ مِنَ الْمُهَمَّاتِ وَيُؤَخِّرُهُ، مَعَ الْمَجْلِسِ  
السَّامِيِّ، الْأَمِيرِ، الْأَجَلِّ، الْكَبِيرِ، الْمَجَاهِدِ، الْمَقْدَّمِ، الْأَوْحِدِ، النَّصِيرِ، شَمْسِ الدِّينِ،  
مَتَوَلَّى الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فَإِنَّهُ نِعْمَ الْمُعِينُ عَلَى تَدْيِيرِ الْمُهَمَّاتِ، وَنِعْمَتِ  
الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ فِي ظُلَمِ الْمَشْكَالَاتِ . وَلِيُطَالِعَ بِالْمُتَجَدِّدَاتِ فِي الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ، لِيَرِدَ  
الْجَوَابُ عَلَيْهِ عَنْهَا بِمَا يُشْرَحُ الصُّدُورَ وَيُطَيِّبُ النُّفُوسَ، وَلِيَتَنَاوَلَ مِنَ الْجَامِكِيَّةِ  
وَالْجِرَافِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ فِي غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ آسْتِقْبَالِ مَبَاشَرَتِهِ مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ  
لِمَنْ تَقْدِمُهُ مِنَ النُّظَارِ بِهَذِهِ الْجِهَاتِ، وَهِيَ نَظَرُ الثَّغْرِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ عَلَى مَا شَرَحَ  
أَعْلَاهُ .

## المرتبة الثانية

( أن تفتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه » )

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهى :

أما بعد ، فإننا لما منحن الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،  
وآتانه من نظرحمى ناضرعيش الأئمة من التصويح ، وألبسنه من ثياب العظمة  
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من نُقبل عليه بوجه  
التأهيل للهمات والترشيح ، وقواه من عزائنا التى تُرج بها أرض الكفر وتدوخ ،  
ووسعه لنا من الفتوح التى أنباؤها خير ما تُصدر به السير وتؤرخ - لا نزال نبالغ فيما  
صان الحوزة وحاطها ، ومدد رواق الأمانة ومهد بساطها ، وقرب نوازح المصالح  
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام حبال اختلال الأمور واقتضى أنبتاتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء ومولاته ، وإعراق كرم التعهد  
فما يحفظ نظامها بمغالاته ، وأحقها بأن تُصرف إلى صونها وجوه الهمم الطوامح ،  
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعى تذليل الجاح ، إذ كانت أجدر الأعمال  
بِكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذى لا يجب أن يدخله إلا من  
أذن له فى القدوم إليها والأصول ، ويتعين التحرز على الطرقات التى منها إليها  
الإفضاء ، ويؤكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرء باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا،  
وأكثرهم لمهيج الأعداء اختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلغة ضروبا وأجناسا، وقد  
تناصرت على قُصودك الحسنة وإصحات الدلائل، وتحلَّت أجسادُ خلائك من جواهر  
المفآخر بقلائد غير قلائل، وأستطار لك أجملُ سُمعه، وفطمتُ سيوفك أبناء الكُفر  
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية ندى طمعه، ولا استبهمت طرق السياسة  
إلا هديت إلى مجاهلها، ولا حلاَّ التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غدوت بكفائتك  
وارد مناهلها، وكَم شهدت مقام جلاله، وموقف جهاده، فمزقت ثوب مارقته نسجا،  
وأدلت في ليل قسطله عوادي صوارمك شرعا، وقُمت فيما وكل إليك من أمور  
الفاقوسية وقلعتي صدر وأيلة حرسهما الله تعالى قياما أحظاك بالثناء والثواب،  
وأستنبت في كل منها من أجرى أمورها على الصواب — خرج أمر الملك الناصر بكتب  
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملا بتقوى الله التي مَغْنَمها خير ما آقتاده مستشعروها لأنفسهم  
وأستاقوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ﴾  
وأبسط العدل على أهل هذه الولاية ، وأخصص أهل السلامة بما يُسبِّل عليهم  
سِر الحياطة والحماية ، وتطلب المفسدين أتم تطلب ، وأحظر عليهم التنقل في هذه  
البلاد والتقلب ، ومن ظفرت به منهم فقايله بما يُوجب حكم جريته ، ويقتضيه  
موقع جريمته ، ويجعله مُزدجرا لسالكى طريقته . وشد من المستخلف على الحكم  
العزیز شدا ينصر جانب الشرع ويعزه ، ويكتر به على الباطل ترويع الحق وأزه ،  
وأعين المستخدمين في المال على استيفائه من وجوهه عند وجوبه ، وبلغ كلاً منهم  
من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه ، وقوا أيديهم في تخضير البلاد وتعميرها ،



وَأَبْعَثِ الْمُزَارِعِينَ عَلَى مَبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الزَّرَاعَةِ وَتَقْرِيرِ أُمُورِهَا ، وَفِيهَا يُسْتَرْعَوْنَ مِنْ مَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُعُودُ عَلَيْهِمْ فِي مَوْجِبَاتِ الرِّجَاءِ بِمَنَاجِحِ الْأَمَالِ . وَرَاعِ أَمْرَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَاجْعَلِ احْتِرَاسَكَ عَلَيْهَا الْآنَ مُوفِيًا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ مِنْ سَالِفِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَا تَنْ فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ إِلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ ، وَتَحْدِيهِمْ فِي الرُّوَاحِ وَالْغُدُوِّ ، بِمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْهُدُوِّ ، وَكَشْفِ أَخْبَارِهِمْ ، وَتَتَّبِعْ آثَارَهُمْ ، وَتَسِيرِ الْجَوَاسِيسَ إِلَى دِيَارِهِمْ ، حَتَّى لَا تَخْفَى عَنْكَ مِنْ شُؤْنِهِمْ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَجِدُوا سَبِيلَ غِرَّةٍ يَهْتَلُونَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ . وَطَالِعْ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ وَمَا يَرِدُ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَلَيْكَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمَا تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ خِدْمَتِكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهى :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مِنْ سَعَادَةٍ لُطُرُقِ الْإِرَادَاتِ فِيهَا تَعْيِيدٌ ، وَأَسْبَغَهُ بِنَا مِنْ نِعَمٍ لَا يَعُدُّهَا التَّحْدِيدُ ، وَلَا يَحُدُّهَا التَّعْيِيدُ ، وَأَهْبَجْنَا بِهِ مِنْ أَكْتِنَافِ الْمَطَالِبِ بِنَجَاحٍ لَا يُعَقَّبُهُ تَعْسِيرٌ وَلَا يَعْسُرُهُ تَعْقِيدٌ ، وَأَمْضَاهُ مِنْ عِزَائِنَا الَّتِي مَا فَتَكَتْ قَطُّ بِالْأَعْدَاءِ فَقَيْدَ مِنْهُمْ فَقَيْدٌ ، وَلَقَّاهُ الْأَمْنَةُ بِنَظَرِنَا مِنْ نَضْرَةِ عَيْشٍ جَانِبِ الْجَفَافِ دَوَّحَهُ الْمُخْضَلِّ ، وَأَهْدَاهُ بِتَبْصِيرِنَا مِنْ أَنْوَارِ الْهَدَى الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّ ذِي جَهْلٍ ظَلَّ مِنْ مِمَّنْ ضَلَّ - لَا تَزَالُ نَسْتَوْضِحُ أُمُورَ أَمْرَاءِ دَوْلَتِنَا مُتَصَفِّحِينَ ، وَنُبْلُو أَخْبَارَ الْمُؤَهَّلِينَ مِنْهُمْ لِسِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ الْمُرَشَّحِينَ ، وَنَكْشِفُ شُؤْنَهُمْ غَيْرَ مُتَجَوِّزِينَ وَلَا مُتَسَمِّحِينَ ، وَنُظْهِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ آثَارَ الْإِثَارِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَأَمَارَاتِ الرِّفْعِ مِنْهُمْ مُقَابِلَةً عَلَى حَيَاطَةِ أَمْوَالٍ مَنْ نَكُونُ عَلَيْهِ وَصُونَ مِنْحَاتِهِمْ ، وَنُبَوِّئُهُمْ مُبَوَّأَ صَدَقٍ مِنْ تَصْدِيقِ آمَالِهِمْ وَتَحْقِيقِهَا ، وَنَزْفُ إِلَيْهِمْ

عقائل المنح المانع شكرهم من تسبب سببها وتطرق تطليقها، ونحمل لكل منهم ما يؤمله من اجتهاده ويؤثره؛ ولا نلغى الاهتمام بما يوطئ لهم مهاد الطول الجزيل ويؤثره؛ عملاً بأداب الله سبحانه في إجمال حظوظ المحسنين من إحسان المجازاه، وإيلائهم المزيد الحاكم بنقص اعتدادهم عن الموازنة له والموازاه، كما قال سبحانه وقوله هدى ونور وشفاء لما فى الصدور : ﴿ وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

ولما كان الأمير (والنعوت والدعاء) من أنجحهم فالأ، وأرجحهم مصالاً، وأصلحهم أعمالاً، وأوضحهم كمالاً؛ وما زالت أغصان نهاه متتابعة في بسوقها، وضرائب نافقة أعلاق المحامد بسوقها؛ وعزائم في إذلال الفرق المبالغة في فسوقها، مشمرة عن سوقها؛ وما برح في شوط الفخر راكضاً، ولعقود مكروه الأمور التي تزيغ الأمانة رافضاً، وبأعباء القيام بفرائض الآلاء ناهضاً؛ وما أنفكت مناقبه تعي بيان الواصف وبنان العاد، ومساعيه مدركة وهي وادعة ما يعجز عن أقله جد الجاد؛ ورأيه [ يرتق ] كل متفتق ومنبثق من الأمور المهمة بسداد الراق الساد، وجميل ذكره يفوح بما يفوق المسك فيثوب إليه من الثواب بالنأي الناد؛ وما فتى دأب شيمته الإعراض، عن الموبق من الأعراض؛ واختيار الرفق، والإغراق فيما يديمه إلى فك أعناق أسرى المسلمين من سرى العتق - نخرج أمر الملك الناصر بكتب هذا السجل له بتقليده ولاية الأعمال الغربية .

فليتقلد ما قلده معتمداً على تقوى الله التي صرف عن معتمدها شرب التكدير، ومنحه من المكارم عنده ما يؤفى على التقدير؛ وليجزع على عادته في بسط ظل المعدلة ومد رواقها، وصون مساحى الرعايا عن إملاقها منها وإخفاقها؛ والمساواة بها بين

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادى والحضر، والمناوين والأنصار؛ والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والذمام: لينام المستورون على مهاد الأمن، ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. وليعامل المستخلف على الحكم العزيز بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام « ووكّل إليه أمر الأمراء<sup>(١)</sup> لمن آثرها والإحكام » والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدره. وليتوخ المستخدمين في الأموال بما يكون لعلّهم مُزيحاً، ليصل إليهم ما يرومونه نجحاً. ويلزم من جرت عادته بلزوم الحدود واجتناب تعديها، والتوفّر على حفظ مسالكها والمترددين فيها؛ وليطالع بما يتجدد قبله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثلها جاريه؛ إن شاء الله تعالى.

### المرتبة الثالثة

( أن تفتّح الولاية بلفظ «رسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح، ثم يقال «وسبيل كل واقف عليه» )

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشد ناحية، وهى: رسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالإينعام على الأمير فلان بما يُفيض عليه ملابس الأصطفاء ويضيفها، ويسمى لقدمه فى الشبات مدارج الارتقاء ويسنيها، ويعرب عن اختصاصه بالمنزلة التى يفضل بها على مباريه، واستخلاصه للرتبة التى يفوت بها شأو مجاريه؛ ويؤهلّه لشغل حريم المحروس وشده، وتوليّه أموره بكفايته ونهضته وحرّامته وجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص بها ويضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل فى ولايتها وتعميرها وتثميرها

(١) كذا فى غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصَّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،  
وسبيلُ أهلِ الديوان - أيدهم الله - العملُ بالأمرِ العالى و بمقتضاه ، والاعتمادُ على  
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بشد وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتعويل على الأمير فلان فى تولية  
الوقوف بالجامع المعمور بحلب المحروسة ، والبيارستان ، والمساجد ، والمشاهد  
بالأماكن والمواقع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد  
فى جميعها عليه ؛ سكوناً إلى نهضته وكفايته ، ووثوقاً بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،  
وسداده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسة .

فليتول ذلك بكفاية كافيه ، ونهضة وافيه ، وهمة لأدواء الأحوال شافيه ؛ ونظر  
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتدبير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعامه ؛  
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويضح بالاستقامة على سننها جدد ، ناظراً  
فى الوقوف ومصاريفها ، وتتبع شروط واقفيها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتثوير  
أموالها ، وتدبير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكميلاً وإضافة ،  
واحتساباً وسياقه ؛ ويطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعده ، وليتمس ما يصح  
من بواقه من جهاتها ، وليكشف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ؛ وقد أذن  
له فى استخدام من يراه من النواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛  
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل النواب - أيدهم الله - العملُ بالأمر  
العالى و بمقتضاه ؛ والاعتمادُ على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

## المرتبة الرابعة

( أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت صفته كذا» وما أشبه ذلك )

فمن ذلك نسخة منشور بنقابة الأشراف ، وهى :

من كانت أوصافه شائعة بين الأنام ، وصُحِف فضائله منشورة لدى الخاص والعام ، مع شرف نسب شاخ الأعلام ، وتُتَقَّى فخربه على الأنام ، وعلم يُجَلِّى به صدأ الأفهام ، وعِفَّة مرائرها محكمة الإبرام - كان جديرا بإفاضة سِجَال النعم عليه ، وقمينا بإرسال سِئَل المَوَاهِب إليه .

ولما كان الشيخ فلان متصفا بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصّصا بمزاياها الجليلة ، وضاربا فيها بالسهم المَعْلَى ، ونازلا منها فى الشرف الأعلى ، ومتقمّصا ثوب الإخلاص والصّفاء ، ومتّشحا بوشاح العِفَّة والولاء - اختصصناه بزيادة التقديم والاجتباء ، وحبّونا بوفور الكرامة والإصطفاء ، وأجرينا على مستمِر رسمه بالرعاية على ذُرِّيَّة أهل العباء ، حسب عادته المستقرّة إلى آخر عهد من كانت الإيالة إليه وإلى رحمة الله مضى : ليسير فيهم بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ، ويسلك جدد الحق الذى يوصله من الزلْفَى إلى أقصى مناه وسوله ، ويحضهم على تلاوة القرآن ، ومعرفة ما يصلح للأديان . وليسوّى الحكم بين الضعيف فيهم والقوى ، ويعمّ بالإنصاف الفقير والغنى . وليُحسِن إلى مُحسِنهم ، وليَجْرِ على فضله لمُسِيئهم ، بعد أن يقدم إليه زجرا ووعيدا ، ويوسعه إنذارا وتهديدا ، فإن وعى وأزعوى وإلا سلط عليه أسباب الأذى ، وتولاه بما يستحقّه من الجزاء ، ويعيده إلى حالة الاستقامة والاستواء ، ويكفّه عن دواعى الهوى . ومن وجب عليه حدّ أقامه فيه ، وبادر إلى اعتاده وتوحيه ، حسب ما يوجبّه حكم الشرع ويقتضيه .

وليكن رُؤوفاً بهم ما استقاموا ، ومتّقاً منهم ما أعوجّوا ومالوا ؛ وإن وجب على  
أحدهم حقٌّ لمليّ أو ديني ، استخلصه منه ولم يمنعه تعلّقه بنسبٍ شريفٍ عليّ ، وإن  
آفترى منهم مفترٍ على أحد من الملل ، قابله عليه بما يزجره عن قبّيح العمل : فإنّ  
الناس في دار الإسلام ومن هو تحت الدّمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من  
كانت سيرته في الإسلام رضيّه ، وطويته في الإيمان خالصةً نقيّه ، ومن حكم عليه  
حاكمٌ من الحكماء ، بحقٍّ ثبت عنده بالبيّنة العادلة أو الإعلام ، آتّزعه منه أو سجنه  
عليه ، إلى أن يرضى خصمه أو يردّ أمره إلى الحاكم ويفوضه إليه .

وليحرّس أنسابهم بإثبات أصولها ، وتحقيق فروعها ؛ ومن رام دخولاً فيه بدعوى  
يُبطل فيها نقب عن كشف حاله ، وإظهار محاله ؛ وجازاه بما يستحقّه أمثاله ،  
ويرتدّع فيما بعد مثاله : ليخلص هذا النسب الكريم ، من دعوى المجهول ، وأندماجه  
في أسرة الرسول ؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة  
إلى عامي ، ولا يفسّح أن يعقد عليها عقد إلا لكفء مليّ : ليبرأ هذا المجد الشريف  
من التكدير ، ولا تزيّفه شوائب التغير .

وليُنظر في الوقوف على المشاهد والذّريّه ، نظراً يحجّده عليه من يعلمه من البريه ،  
ويُحظيه بالثواب عند مالك المشيه . ويتدبّر بعارة أصولها وأستكمال فروعها ، وقسمة  
مغلّها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النذور ، وينفقها على عاداتها  
في المصالح والجمهور ؛ عالمًا أنّ الله تعالى سائله عمّا توخاه في جميع الأمور ، وأنه  
لا يخفى عليه كل خفيّ مستور . قال الله سبحانه : ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ  
مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وَأَذِنَّا لَهُ أَنْ يَسْتَنْيِبَ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - فَسَّحَ اللَّهُ لَهُ فِي الْمُهْلِ ،  
وَحَوَّلَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ - الْأَرْشَدَ مِنْ بَنِيهِ ، وَمَنْ يَخْتَارُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَلَهُ يَرْتَضِيهِ . وَقَدْ  
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِجْرَاءِ مَا كَانَ بِاسْمِهِ مُسْتَمِرًّا إِلَى الْآنَ ، وَأَضْفَنَّا إِلَيْهِ مَا يُعِينُهُ عَلَى النَّظَرِ  
فِي مَصَالِحِ الْأُسْرَةِ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عُلُوَّ الشَّانِ ، مِنْ تَمْلِيكِ وَإِذْرَارٍ وَتَيْسِيرٍ ، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ  
مُسْتَمِرًّا ، وَعَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا ، وَلَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَسْلِهِ وَالْأَعْقَابِ ، عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ  
وَالْأَحْقَابِ ، وَحَظَرْنَا تَغْيِيرَهُ وَفُسْخَهُ ، وَتَبْدِيلَهُ وَنَسْخَهُ : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ  
فَأَنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وَهُوَ مُعَيَّنٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَسْتِيفَاءِ  
الْمَعْمُورِ ، بِهَذَا الْمُنْشُورِ الْمُسْطُورِ ، بِالْأَمْرِ الْعَالِي أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَمْضَاهُ ، عَمَّا كَانَ قَدِيمًا ،  
وَمَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِهِ آخَرًا ، وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ لَهُ وَشَهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ ، وَهُوَ  
الْإِقْطَاعُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا ، وَيُجْرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي إِطْلَاقِ مَا قُرِّرَ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا  
بِشَهَادَةِ الدِّيْوَانِ الْفُلَانِي ، وَالْمَجْدَّدِ الَّذِي أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَسْتِقْبَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ  
وَمَا بَعْدَهَا . وَسَبِيلُ كَافَّةِ الْأُسْرَةِ الطَّالِبِيْنَ بِمَدِينَةِ كَذَا الْاِتْقِيَادُ إِلَى تَبَاعَتِهِ ، وَالْاِمْتِثَالُ  
لِإِشَارَتِهِ ، وَالتَّوَقُّرُ عَلَى إِجْلَالِهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَإِنَّهُ زَعِيمُهُمْ ، وَمَقْدَّمُهُمْ وَرَأْسُهُمْ ، وَمَنْ  
خَالَفَهُ مِنْهُمْ قَابَلْنَاهُ ، وَبِأَلِيمِ الْعِقَابِ جَازَيْنَاهُ ، وَالْاِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ عَلَى التَّوْقِيعِ  
الْأَشْرَفِ الْعَالِي أَعْلَاهُ اللَّهُ ، وَالْعَلَائِمُ الدِّيْوَانِيَّةُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

لَمَّا كَانَتْ الْأَعْمَالُ الشَّرْقِيَّةُ أَجْدَرَ الْبِلَادِ بِأَكِيدِ الْأَهْتَامِ وَأَخْلَقَ ، وَأَوَّلَاهَا بِإِضْفَاءِ  
سِرِّبَالِ الْأَهْتِبَالِ الَّذِي لَا يُخْلَقُ إِذَا رَثَ سِوَاهُ وَأَخْلَقَ ، وَأَقْمَنَهَا بِحُسْنِ نَظَرٍ يُرْسِلُ  
لِرَسُولٍ عَلَى الرَّسْمِ الْأَعْنَةِ فِي إِدَامَةِ نَضْرَةِ الْعِمَارَةِ عَلَيْهَا وَيُطْلَقُ ، وَأَحَقَّهَا بِأَنْ يُبْرَمَ لَهَا

سَبَبُ تَفْقُدٍ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَغْلَقُ ، وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءٍ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،  
وَأَوَّلَاهَا بِتَعَهُّدٍ يَجْمَلُ مَصَالِحَ الشُّعُونَ آفَةً لَشَوَاءِ بِهَا وَالْمُقَامِ عَائِفَةً لِلنَّشُوزِ عَنْهَا  
وَالشَّرَادِ ، لِأَنَّهَا بِأَبِ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرِدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةِ الْيَّامِ ، وَمِنْهَا  
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفَقُّدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالُ  
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ، فَتَجِبُ الْمِبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ  
الْهِمَمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَنْقَابِهَا وَأَتَّجَاهِهَا ، وَيُوضَعُ بِنَاءُ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ  
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسَّسُ ، وَيَسَالَعُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ  
لِلْعَدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ، وَكَانَتْ أَيْهَا الْأَمِيرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،  
وَذَوِي الْكَفَايَةِ الْمُوفِي تَرَاوُهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتَ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ  
الْأَتْرَاكِ الْأَعْيَانِ لِسَمِهِمْ (؟) ، الْمَقْصَرِ مَجَارَوْهُمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنْ التَّلَاقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ  
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ فَقَصَّدَتْ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقَتْ الرِّعَايَا  
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَحْرَجُ الْأَمْرَ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمَنْشُورِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ  
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي اسْتِيفَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَنِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ،  
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُلْمُ سِنَةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بَوَصْفِهَا ،  
وَتَابِعٍ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَذِيرِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى  
شَهْمِهَا وَنَذِيرِهَا ، وَاجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرُقَاتِ وَالْمَسَافِلِ ، وَاسْتَنْهَضَ لِلتَّحْرُزِ عَلَيْهَا  
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ، وَتَحَفَّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ  
وَحَلَّلَ يَتَخَلَّلُهَا ، وَأَنْتَضَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بَصَارِمَ حَدٍّ تَسْلَمُ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزٍ يَفْلُلُهَا ،  
وَلَا تُبْقِي مَمَكًا فِي إِنْقِذَاذِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغِيرُ عَلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ مِنَ الْخَبِيرِينَ ،  
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ الْمُتَدَرِّبِينَ ، وَالزِّمُّ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ حِرَاسَةَ  
حُدُودِهِمْ ، وَخُذَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَاسْتِفْرَاغِ مَجْهُودِهِمْ ، وَطَالِعُ



بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزِيح بِسُرْعَةٍ إجابتك عنه في الخدمة عليك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المُرْتَاحية ، وهى :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جواهره السُّبُك ، وأرتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يَنَحُلُّ وعقد لا يَنفَك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلاءتهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند نحر عزمه ، وتجريب نصلي حزمه ؛ واعتبار فصل مقالته ، واختبار أصل أصالته ؛ وشكر استمراره على الاتصاف بمحض الولاء ، واستدراؤه أخلاف غرر الآلاء ، واستثماره أصناف جنى الثناء ، واستقراره أكاف وهبى الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما برح جميل الرأي يديم بعثا لتحف الإحسان نحوك وتوجيها ؛ وما أنفكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويرها ، وشجاعتك مائة على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوماً كريهاً - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المُرْتَاحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التى تقوى بها أسباب توفيقك وتناله ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك ويتكد . واعتمد العدل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحويه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى لسرهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدى المفسدين مكفوفة عن كافتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتتبع الدُّعَار ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ مِنْهُمْ فَلَا تَكُنْ عَنِ التَّنْكِيلِ بِهِ نَاكِلا ، وَلَا تُقَصِّرْ فِي الْحَوَاطَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَعَةِ بِهِ عَاجِلا . وعامل النَّائِبِ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزُ بِإِنهَاضِهِ ، وَصَوْنُ مَدِيدِ بَاعِهِ فِي تَنْفِيزِ الْأَحْكَامِ عَنْ أَنْقِبَاضِهِ ؛ وَأَعْضُدَّهُ فِي إِنْفَازِ قَضَايَاهُ ، وَاخْتِصَاصِهِ بِإِكْرَامٍ يُقْبَلُ عَلَيْهِ مُطَاقُ حَيَّاهُ . وَشُدَّ مِنَ الضَّامِنِ فِي آسِتِدَاءِ حُقُوقِ الدِّيَوَانِ وَآسِتِنْطَافِهَا عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ عَنِ الضَّرَائِبِ الْمُسْتَقَرَّةِ ، وَعَوَائِدِ الْعَدْلِ الْمُسْتَمَرَّةِ . وَتَحَرَّزْ أَنْ يَكُونَ لِمُنَاهِضَةِ الْعَدُوِّ طُرُوقٌ إِلَى نَاحِيَتِكَ أَوْ أُنْتِيَابٍ ، وَشَمِّرْ لِلتَّحَفُّظِ مِنْ مَكَايِدِهِمْ تَشْمِيرًا يَزُولُ عَنْ حَقِيقَتِهِ عَارِضُ الْإِرْتِيَابِ ؛ وَلَا تُبْقِ شَيْئًا يُمْكِنُ لِأَدْلٍ وَلَا يَتَكُ قَوَاعِدَ الْأَمْنَةِ مِنْهُمْ ، وَتَبْتَلِ لِيُوقَايَتِهِمْ أَذَاهُ تَبْتَلِ مِنْ لَا يَنَامُ عَنْهُمْ . وَطَالِعْ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ جِهَتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية السَّمنوديةَّة ، وهى :

إِنَّ أَوْلَى مَنْ وَلَى الْأَعْمَالِ ، وَتَعَلَّقَتْ بِكَفَايَتِهِ الْآمَالِ ، وَعُدِقَتْ بِهِ الْمُهِمَّاتِ ، وَأُسْنِدَتْ إِلَيْهِ الْوَلَايَاتِ ، مَنْ نَطَقَتْ بِمَعْدَلَتِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَأَنْتَفَتْ عَنْ عَيْنِ خَبْرَتِهِ السِّنَّةُ ؛ وَكَانَ حَسَنَ السِّيَاسَةِ لِرِعِيَّتِهِ ، كَثِيرَ الْعِمَارَةِ مَدَّةَ تَوَلِيَّتِهِ ؛ شَهْمًا فِي آسِتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ مِنْ جِهَاتِهَا ، صَارِمًا فِي رَدِّعِ الْمَجْرِمِينَ عَنْ زَلَّاتِ النَّفْسِ وَهَفَوَاتِهَا ؛ حَسَنَةً سِيرَتُهُ ، خَالِصَةً مَنَاصِحَتُهُ وَسَرِيرَتُهُ .

وَلَمَّا كُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فُلَانُ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكَ وَتَسْدِيدَكَ ، وَحِرَاسَتَكَ وَتَمْهِيدَكَ - أَنْتَ الْمَتَوَشِّحُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَاتِ ، الْمُتَّصِفُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْحِ وَالْبَيَانِ ؛ الَّذِي نَطَقَتْ شِمَائِلُكَ بِشَهَامَتِكَ ، وَشَهِدَتْ مَخَايِلُكَ بِنَبَاهَتِكَ - خَرَجَ الْأَمْرُ الْفُلَانِي بِأَنْ تَتَوَلَّى مَدِينَةَ سَمْنُودٍ وَضَوَاحِيهَا ، وَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهَا وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ؛ بِشَرَطِ بَسْطِ

العدل ونشره، وإعباق عَرَف الحق ونشره؛ وأن تُخَفَّف الوطأة عنهم وتُفَعَّل ما هو أولى، وتَعْلَم أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومِنَّا في الأولى؛ وأن تصون الرعايا وتجتلب لنا أدعيتهم، وتعاملهم بما يُطِيب نفوسهم ويبلغهم بُغيتهم؛ حتى يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم وذنيهم؛ وأن لا تُقيم الحدود على مَنْ وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعدل المنيف؛ وأن تُسَدِّد من ثواب الحكم العزيز، وتُفَعَّل في ذلك فعل المهدب ذى التميز؛ وأن تُحَسِّر عن ساعد الاجتهاد في الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعمارة، وتجعل تقوى الله هى البطانة لك والظاهرة؛ وأن تبدل النهضة فى استخراج الأموال، وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأخر منها الدرهم الفرد ولا القَدَح الواحد، وتُفَعَّل في ذلك فعل المُشْفِق المشمر الجاهد؛ وأن تُدِيم مباشرتك للأقصاب فى حال برشها وزراعتها وتربيتها وحملها، واعتصارها وطبخها، وتركية أثمارها؛ بحيث لا تكل الأمر فى شىء من ذلك إلى غير ذى ذمّة بمفرده، ولا إلى من ليس بذى خبرة لا يعلم مُشَقِي التصرف من مُسَعِّده. وقد جعلنا لك النظر على جميع النواحي الجارية فى ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتنظر فى أمرها، وتزجر أهل الجنايات بها، وتُفَعَّل فيها كل ما يحمّد به الأثر، ويُطِيب بسماعه الخبر.

فتقلّد ما قلّدت، وقمّ حق القيام بما إليه نُدبت؛ وأعمل فيه بتقوى الله فى سرك وجهرك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتیه أو تذرّه من أمرك؛ وتسألّمه شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكًا بما أوجبناه عليك؛ فإنّ الشكر يُوجب مزيدك، ويكثر عديدك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية ، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشيئنا ، وسنننا فى السياسة وسيرتنا ، إسباغ المَوَاهِب والنعم ، وتنقيل عبيدنا فى مراتب الخدم ، استرشادا بأسلافنا الملوك وأقتداء ، واستضاءة بانوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أيها الأمير من عُرِفَتْ بسالته ، واشتهرت شجاعته وصرامته ، وأستحق أن يُلاحظ بعين الرأيه ، وأن يشرف بالإرتضاء للتعويل عليه فى ولايه ، - رأينا - وبالله توفيقنا - استخدأنا فى ولاية الأعمال النستراوية ، وخرج أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك ، وتضمنيه ماتعتمد عليه ، وتنتهى إلى المثل لك فيه .

فتقلد ما قلده حاملا بتقوى الله فيما تُسرّه وتعلنه ، معتمدا فيها غاية ما يستطيعه المكلف ونهاية ما يمكنه ، فالله تعالى يقول إرشادا للمؤمنين وتفهيما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف ، ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف ، وأمدد على كافيتهم رواق السكون والأمنه ، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه ، وأفعل فى إقامة الحدود على من تجب عليه ما يوجبهُ كتابُ الله الكريم ، وتقضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وأدأب فى حفظ السبل والمسالك ، واجتهد فى ذلك الاجتهاد الذى يجب على أنظارك وأمثالك ، ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا ، أو يخيف واردا أو صادرا ، فطالع بحاله ليمثل لك فى التمثيل بما تعتمد به ، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراع المستخدمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بإعزازه يقوم  
منار الإسلام ، وتجري أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ  
المستخدمين في الأموال الديوانية بالأجتهاد في العماره ، وحمل المعاملين على ما توجبه  
المعدلة والحرص على ما وفر الارتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضياع ؛  
واستنصر الرجال المستخدمين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستنهاضهم فيه ؛ فاعلم  
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهى :

أهتماً بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حظ  
التفقد وأكمله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ؛ وقوى سبب استقامة شؤونه وأتساق  
أمواره ومكّنه ، ومدّ ظلّ الدعة والسكون على كافة من تديره وسكّنه ؛ وحفظ  
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ؛ وأنام أهله على مضجع  
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم نجبود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ؛  
وحمل سوام أموالهم من مشروب ورد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من  
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسان على زوائده بترخيم ؛ وملا آمال الأعداء  
عن التطرق إليه إخفاقاً ، وردّ نصول سهام مكايدهم عنه على ما عهد من فضل الله  
سبحانه أفواجا - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزارا ، وأسبقها إلى غاية  
التفضيل ابتدارا ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين أفنخارا ،  
وأفضلها محلاً ولم يزل مفرع السفار من كل جهة رسلاً وتجاراً - أوجب أن نسند  
ولايته ، ونردّ كلاته ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم ؛ الحسن

الأخذ بيد المظلوم ، ويقوم بحسن التفويض والأمانة ، ويعطى بدل السلامة من حقوق انتقامه عهدة الأمان ، ويسلك فيما يعدق به طريق السداد ويلزم نهجه ، ولا يمكن أن يكون له على غير الصواب معاج ولا عرجه ، يأخذ في كل أحواله بوثائق الحزم ، ويحل له أعماله الصالحة من مثوى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحزم .

ولما كان الأمير المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والعيان ، الكالى ما يناط به بقلب المعنى وطرف يقظان ، الحال من الورع فى أسمى مكان وأعلى مظان ، الجامع فى إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسنة ، الموفية عزائم على مضارب المهتدة التى لا تقي منها مانعات الجن ، الفائح من نبئه ما تؤثر صحاح الأنباء عن عليل نسيمه ، الجدير بما يزف إليه من عقائل جزيل الإنعام وجسيمه ، وقد أبان فى ولايته بمطابقته بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف العرب عن امتداد باعه فى الحرب وانبياض يمينه ، وإروائه كافة أهلها من ندير العون على استتباب الأمور ومعينه - خرج أمر الملك العادل بتقليده ولاية نجر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فلتقلد ما قلده إياه ، وياشره منشراح صدره متهللاً بحياته ، وليعتمد على تقوى الله التى هى خير عتاد ، وأفضل ما اعتمد عليه فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وهى نجات أهل اليقين ، وفوز المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبالغ فى نشر راية العدل ومد جناحه ، وتعفية أذى الجور واجتياحه ، ولشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصَّفْهَ ، وَيُقِمُ الْحُدُودَ عَلَى مُسْتَوْجِبِيهَا ، وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِي تَجَنُّبِ إِضَاعَتِهَا وَتَوَقُّيْهَا ،  
وَلِيُدِلَّ عَلَى الْمَفْسِدِينَ عَيْنَ مَنْ يَتَّبِعُ وَقُوعَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَيَتَطَلَّبُ ، وَيَقَابِلُ كُلًّا مِنْهُمْ  
بِمَا يَرَى مُتَعَقِّبًا بِإِيْمَاضِ بَرْقِ الْمُعَاقِبَةِ غَيْرِ خَلْبٍ ، وَلَا يُبْقِي مُمَكِّنًا فِي التَّنْقِيبِ عَلَى  
مَرْتَكِبِي الْآثَامِ ، وَالْمَرْتَكِبِينَ عَلَى سَفْكِ الدَّمِ الْحَرَامِ ، وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ فَلْيُحَكِّمْ فِيهِ  
شَبَابُ ظُفْرِ الْإِنْتِقَامِ وَنَابِهِ ، وَيَقَابِلْهُ مِنَ الرَّدْعِ بِمَا يُؤْمَنُ مِنْ مُعَاوَدَةِ عَادَاتِ التَّعَدَّى  
عَلَى كُلِّ حَقِيرٍ وَنَابِهِ . وَلِيُجْرِ عَلَى عَادَتِهِ فِيمَا يَسِيرُ عَنْهُ أَحْسَنَ السَّمْعَةِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالتَّزَهُ  
عَنْ خَبِيثِ الطُّعْمَةِ وَقَبِيحِ الطَّمْعَةِ . وَيَشْدُ مِنَ الْقَاضِي مَتَوَلَّى الْحُكْمِ فِيمَا يُصْدِرُهُ  
وَيُورِدُهُ ، وَيَحُلُّهُ وَيُعْقِدُهُ ، وَيُمْضِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَعْتَمِدُهُ فِي الْقَضَايَا بِمَا  
لَدَيْهِ مِنَ الْأُمْلِيَّةِ . وَيُعَاضِدُ الْمُسْتَخْدَمِينَ فِي الْأَمْوَالِ مُعَاضِدَةً تُثْمَرُ ، وَتَمْتَلِ الْأَرْتِفَاعَ  
وَتُوفَّرُ ، وَتَعُودُ عَلَى الدِّيْوَانِ بِالْحِظِّ الْوَاقِي ، وَتُعْرِبُ عَنْ كَوْنِهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ نَعَمَ  
الْكُفِّ الْكَافِي . وَيُعَامِلُ التُّجَّارَ عَلَى تَبَايُنِ بُلْدَانِهِمْ ، وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ ،  
مُعَامَلَةً يَجْمَلُ أَثَرُهَا وَيُحْسِنُ ، وَيَتَلَقَّهِمْ بِبُشْرٍ وَطَلَاقَةٍ تَنْطِقُ بِشُكْرِ اسْتِثْبَارِهِمْ بِهَا  
الْأُلْسُنَ ، وَيَحْفَظُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبِضَائِعِهِمْ ، وَيَسْتَنْفِدُ الْوُسْعَ فِي دَفْعِ مَضَارِّهِمْ  
وَرَوَائِعِهِمْ . وَيَعْتَمِدُ بَعَثَ رِجَالَهُ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ لِقِرَاعِ الْأَضْدَادِ .  
وَيُنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ فِيمَا يُزِيلُ مِنْهُمْ أَعْتِدَارًا وَيُزِيحُ أَعْتِلَالًا ، وَيُوجِبُ لَهُمُ الْاِقْتِدَارَ عَلَى  
مُكَافَأَةِ عَدُوِّ إِنْ طَرَقَ الثَّغَرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية برقة ، وهي :

مِنْ حَقِّ الْأَطْرَافِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي بُعْدِ أَقْطَارِهَا ، وَالْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ عَنْ ثَوَاءِ الْمَمْلُوكَةِ  
وَمَحَلِّ اسْتِقْرَارِهَا ، الَّتِي أَنْتَضَمَتْ فِي سِلْكِ أَعْمَالِ الْمَمْلُوكَةِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَنْخَرَطَتْ ،

وَأَسْتَدْرَكْتُ مُعِدَّاتُهَا لِمَنْ حَوَتْهُ فَوَائِتُ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَفَتْ وَفَرَطْتُ - أَنْ يُدِيمَ أَكِيدُ  
الْأَهْتِمَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغِبُّ أَهْلُهَا مَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الْمَلَاخِظَاتِ مُصْبِحِينَ  
وُمُسِينَ ، وَتُرْجَى لَهَا سَحَابُ كَرَمِ التَّعْهُدِ عَهْدَهُ غَدَقًا ، وَيُعْمَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي حَيَاطِهَا  
مِنَ الْغُمُودِ أَلْسِنَةً وَيَذْكُرُونَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَاقَةِ حَقًّا ، وَيَفُوضُ أُمُورَهُمْ إِلَى مَنْ تَخَفُّ  
عَلَى يَدِهِ كَلَفَتُهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ أُلُفَّتُهُمْ ، وَيَشْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ أَشْتَمَالَ  
الْصَّدْفَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنْبِلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدَوَى الْعِدَا كُلِّ مُؤَثَّرٍ مُطْلُوبٍ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ أُمَيْرِ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرَائِقِ ، وَأُمَثِلِ فُرْسَانَ الْحُرُوبِ  
وَحِمَاةَ الْحَقَائِقِ ، وَأَشْجِعَ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَأَجْسِرَهُمْ عَلَى إِصْلَاءِ الشَّرِّكَ  
ضِرَامَ فَتِكٍ لَا يُخْشَى إِصْلَادُ زَنَادِهِ ، وَلَكِ السِّيَاسَةُ الَّتِي تُرْتَّبُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْظُّبَاءِ  
أَصْطَحَابًا ، وَالْمُخَالَصَةُ الَّتِي لَا تُنَاجَى إِذَا وُصِفَتْ بِالْتَفَالِي فِيهَا وَلَا تُحَابَى - خَرَجَ أَمْرُ  
الْمَلِكِ الْعَادِلِ بَكَّتَبَ هَذَا الْمَنْشُورِ لَكَ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِوِلَايَتِهِ وَإِقْطَاعِهِ : وَهُوَ بَرَقَةٌ  
بِجَمِيعِ أَعْمَالِهَا وَحُقُوقِهَا : مِنَ الْعَقَبَةِ الصُّغْرَى وَإِلَى آخِرِ حُدُودِهَا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ كَافَّةَ  
الْعُرَبَانِ الْمُقِيمِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَمِيعِ أَهْلِهَا مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ : مِنَ الْإِعْلَانِ لَكَ بِشِعَارِ  
الطَّاعَةِ ، وَصَوْنِ مَا يَلْزَمُهُمْ أَدَاؤُهُ إِلَيْكَ مِنْ فُرُوضِ النُّصْحِ عَنِ الْإِضَاعَةِ ، وَأَنْ يَبْذُلُوا  
فِي مُوَافَقَتِكَ غَايَةَ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَعْتَمِدُوا مِنْ أَمْتَالِ مَرَاثِمِكَ أَحْسَنَ اعْتِمَادٍ ، وَيَحْذَرُوا  
مِنَ الْعَدُولِ عَنْ أَمْرِكَ ، وَيَحْتَنِبُوا مُخَالَفَةَ نَهْيِكَ وَزَجْرِكَ .

فَاسْتَمْسِكْ بِجَبَلِ التَّقْوَى الْفَائِزِ مِنْ يَعْتَصِمُ بِهِ وَيَتَعَلَّقُ ، وَاسْتَشْعِرْ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ  
مَا يُشْرِقُ لِأَجَلِهِ عَلَيْكَ نُورُ الرِّضْوَانِ وَيَتَأَلَّقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وَعَامِلْ أَهْلَ هَذِهِ الْوِلَايَةِ بِالْإِنْصَافِ ،  
وَأَيَّاكَ وَمَكْرُوهَ الْعُدُولِ عَنْ مَحَبَّةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْحِرَافِ ، وَتَوَقَّ الْعَسْفَ بِهِمْ وَالْحَيْفَ



عليهم ، وأجتنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسر فيهم  
سيرة ترؤف بهم وترؤف ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق اختلاق المتخترعين  
وتشفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة  
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وبادهم ،  
وأينهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزما رادعا لهم  
وازنا ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكيلا يزجر من يظل بجر الضلال نازعا . وشدد  
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة  
مناره وإنارة مزاياه . وأعتمد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل  
بصفقة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة شملهم في السفر والإقامة ،  
وتحجيمهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم وأستضامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال  
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي :

نحن لما ضاعف الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدقه بنا من تدبير أمور الخلق  
وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يغمرهم  
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونؤهل  
للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته ومولاته ، وحسنت في مكافحة  
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل النصيح وبانت عليه سماته ،  
ولك مساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما شرك معدودة .

وفى فضائلك مذكوره ، رأينا - وبالله توفيقنا - استخدامك فى ولاية الفرما والجفار :<sup>(١)</sup>  
سكونا إلى رضا مذهبك ، وثقة بانتظام الحال فيما يرد إليك ويُنَاطُ بك ، وخرج  
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه  
مانأمر به ونرسمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكرا على هذه النعمى ، عاملا بطاعة الله تعالى ومراقبته فى السر  
والنجوى ، واعتدّها زادا إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من  
قائل فى كتابه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . واعتمد فى أهل هذه الولاية  
نصفه تعمهم ومعدله ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور  
مبدله . وماثل فى الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية فى الواجب  
لشريفهم على مشروفهم ، وانتصف للظلم من المتعدى الظالم ، وأعمل بالكتاب  
والسنة فى الحدود التى تقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ، وانتصب لحفظ  
الطُرُق ، وصون الصادرين والواردين فى جميع الأوقات ، ونكل بمن تظفر به من  
المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ، وعاضد النائب فى الحكم  
العزیز معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تنفذ بها أحكامه على قضية  
الواجب ، وكذلك متولى الدعوة الهادية فهى مصباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى  
دعائم الإيمان ، فاجتهد فى تمييز متوليها وإكرامه ، وبلغه فى ذلك غاية مطلوبة  
ومرامه . وتوفر على الشد من المستخدمين فى الأموال ، وراع [ما يحسن] لدينا فيما  
تنظر فيه من الأعمال ، وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل  
رُسومها وأوضاعها ، بحيث يكون العدل منبسطا منبثا ، والحنيف منحسما مستأصلا  
مجتثا ، وأجل صحة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والورادة ورفح وقطية وقس والزعقا . انظر معجم البلدان .

الخدمه ، وأستنهاضهم فى الأمور الشاقّة المهمّة ، فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما  
تحتاج إلى المطالعة به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهى :

من شيمنا التى غدت للمصالح ضوا من ، وعلت فكل متناول عندها متطامن ،  
وهممنا الكافلة [للعية] بما يُقر عيوننا ، والقاضية للخاصة والعامة بما يوجب طمأنينتها  
وسكونها ، أنعمنا النظر فيما نرعاها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها  
ويزول معه بؤسها ، فيقف [بنا] الاجتهاد فى ذلك على محجة الصواب التى لا ضلال  
فى سلوكها ، ويُفضى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبرى الدول وملوكها ،  
فنتخب لخطر الخدم من كان قسوما بها مستقلا بأصارها ، ونتجب لجليل الرتب  
الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ، حفظا لما أستحفظناه من أمور العباد والبلاد ،  
ورفعنا لعماد الصلاح وحسنا لمواد الفساد .

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت فى المخالصة ضمائرهم ، وحسنت  
فى الطاعة عقائدهم وسرائرهم ، ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه  
ويرويه ، وأحمدوا المناصحة فيما رَقُوا فيه من درج التنويه ، وقد أستكفيت مهمات  
من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ، وأهلت لولايات سنية فحملت كَلِّها ،  
وكنت مستحقها وأهلها ، فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعى ،  
وحرمت أكيدة ظلت على اصطفاك من أوفى البواعث وأقوى الدواعى ، وكانت  
مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - ثغر الإسلام الذى لا تغرله فى الشام سواه ،  
والرباط الذى من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ، وهو فى عيون  
الكفار - خذلهم الله - نُكته ، وأسباب طمعهم فيه منقطعة بحاماته منبته ، ونحن

نُوفِّرْ أَهْتَامَنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنُنْتَصِي <sup>(١)</sup> الْكُفَاةَ لِتَوَلَّيْهِ تَوْصِيلاً إِلَى النَّكَايَةِ فِي الْمَشْرُكِينَ ، وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّامِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدِّ ، وَمُجَاوِرُهُ قَوْمُ لُدٍّ ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ إِدِّ ، فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غِرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُتَّقَى ضَرْبَتُهُ ، وَيُخْتَارُ لَصُونِهِ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ هَمَّتُهُ ، وَتَنْفُذُ فِيهَا عَزْمَتُهُ ،

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مُحْسُوبَةً مِنْ خَلَائِكَ مَعْدُودَةً ، رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَا خَرَجَ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ مِنْ كَتَبِ هَذَا السَّجَلِّ بِتَقْلِيدِكَ وَلَايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ، ثَقَّةً بِمَشْهُورِ مَضَائِكَ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نُظَرَائِكَ .

فَتَقَلَّدَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَا خَوَّلَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا تَأَمَّرُ بِهِ وَتَنْهَى ، فَإِنْ تَقَوَاهُ الْجُنَّةُ الْوَاقِيَةُ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَةُ ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأَجُورِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ، وَيَجْرِى عَلَيْهِ تَوَلَّيْكَ وَنَظْرُكَ ، وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِىِّ ، وَمَائِلٌ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَصِيِّ ، وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفِ حَقٍّ فَلَا تُحَايِهِ لِرُبَّتَيْهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ لَوْضِيعٍ نَخَذَهُ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَاسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالشَّيْءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ الْمَادِحِينَ ، وَنِظْمُكَ فِيمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ «أَنْتَصَيْتُ» أَيْ بِالْإِصْبَعِ الْمَهْمَلَةِ «الرَّجُلَ أَخْتَرْتَهُ» فَتَنَبَّهَ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وأقيم الحدود على مَنْ لزمته بما أمر الله به إقامة [تجربى بها] مجراها، وتوق الزيادة فيها والنقص توقى من يتمثل المجازاة كأنه يراها . وهذا الثغر لمحله وسمو مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ، لا يقنع له بمركريته ، ولا يكتفى في حقه بمرايطته وقراريته ؛ فنحن نسير إليه العساكر المظفرة دفعتين في كل سنة على حكم البذل : فيرده عسكر جديد مزاح العلة ، كثيف العدد ، وافر العدد ؛ يؤثر أن يظهر أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ؛ فبث السرايا وشن الغارات ، وضيق على العدو فسيح النواحي والجهات ؛ وجهز إليه من يخيفه في مآمنه ، وأبعث عليه من يطرقه في أحرز أمانه ؛ وأندب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن أموره ومستور أسرارهِ : لتتنهز فيه الفرصة إذا لا حث مخالبها ، وتبادر الغفلة منه إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكنانيين نصيبا من ثواب الجهاد ، وأحملهم على است فراغ الوسع بنفاية الحرص والاجتهاد ؛ وأفعل في هذا الباب ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما ينتسخ الظلام بضياء الفجر ؛ وأعضد متولى الحكم العزيز عضدا يعلى أمره ، ويشد أزره ؛ ويحرس نظامه ، وينفذ قضاياه وأحكامه ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية - ثبتها الله تعالى - فاعتمده بما يشرح صدره فيما يوضحه للمؤمنين ، ويهدي به المستجيبين والمتدينين ؛ ووفر موقر اهتمامك على مرافدة من يتولى أمر المال وما يجرى في الخاص لتسير أخلافه ، ويزكو ارتفاعه ، وتغزر مادته ، ويتوفر مستخرجه ؛ ويحتمى من خيانة وتحيف ، ويسلم استيداؤه من ترث وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور السوانح ، وصرفهم فيما ترى تصرفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ؛ وأستمر

الإحسان لمن أحدثت طريقته ، وقوم بالتأديب من ذمت فعله وكرهت سيرته ؛  
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكاتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر  
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن ينعم فيها النظر الشافى ، ويندب لحمل عبئها الأمين الكافى ،  
ويجأل النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويعمل الرأى لأرتياد القوى على ضبطها  
وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائراً لمهام المملكة : وهى أعمال  
الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يعين على استئنائها ، ويعود بالزيادة  
فى أصول أبوابها ، إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،  
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الشُّعُور .

ولما سلطنا البحث على استصلاح من نؤله لهذه المنزلة ، واستخلاص من نُحِلُّه  
بهذه المرتبة ، أدانا الاختبار والانتقاد ، وأتتهى بنا الاعتيام والأرتياد ؛ إلى اختيار  
الشيخ فلان : حين سَفَرَتْ له النباهة فى الكفاية ، والوجاهة فى الخبرة والدراية ؛  
وجب ... (١) ... على اختصاصه بالفضل الذى تحلّى بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من  
مذهبه ؛ من الحِصَال الحميدة ، والحلال الرشيدة ؛ والفضائل الموروثة والمكتسبة ،  
والخلائق المُتَقَاة المهدّبة ؛ ورأيناه أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قياً باحتمال  
هذه الأمانة ؛ وعلمنا أن الصنعة عنده زاكية المغارس ، والنعمة المُفَاضة عليه  
ضافية الملابس ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلية في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ، مقدمين الاستخارة فيما نبذيه من قول ، ونعزم عليه من فعل .  
وأمرناه أن يستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ، ويعتلق أسبابها فإنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السبل الواضحة إذا أشتبعت المسالك ، محققا ما توهمناه فيه من محال الأصاله ، ودلائل الجزاله ، مصدقا ما استأنهنا من كفايته وغناؤه ، وأستوضحنا من استقلاله وأستقصائه .  
وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزعم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ، بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ، وبمن يرتبه عليها من الكتاب الأمناء ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، أستدامه في خدمه المنوطة به ، وطالع من حاله بما يقضي له حسن النظر بحسبه ، ومن ألفاه متنبجا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والحيانه ، بادر إلى الاستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواقى من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذى تليه مباشرته ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفتحته ، موشحة أوراق ذلك بخطوط الأمناء ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضماناء ، حتى إذا حلت إليه ، وصارت حجة على رافعها في يديه ، طالبه بمواقفة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بجلى الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفي الديوان وعماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت ماس الحاجة إليه حاضرا . ويطالب بجرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رسومها وحقوقها ، وعدد فئتها

ومقاسها . وجرائد الخراج اللازم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسامح به والباقي على الأداء في جهته . وجرائد الجزية مفصلة في نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب نواب الجزية في كل شهر بختمة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى جمع عليهم ، مفصلة مميزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضيافات عن السفرات والإصطبلات ، وكذلك نواب الأهراء يسترفع منهم ما يدل على مثل ذلك ، وسائر المتولين في سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم في مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ، ويجعل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللازمه الواجبه ، حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإخراجات ، ومبلغ الإطلاقات والإدراجات ، ويسترفعه من مظانه مفصلا بجهاته ، منسوبا إلى أربابه ، ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق في كل سنة محكم النظر الدقيق دون الجليل ، وليعتمد في إطلاق ما يطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من نواب الديوان .



ومن المكتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير ، وهى :

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .



هذا أمرٌ يشتمل على معنى الخُصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذوو الأوامر المطاعة أو ذوو العلوم ؛ وقد منحنا الله هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمده الذى هو سبب للزيد ، ثم لناخذ فى القيام بأمره الذى هو على كل نفس منه رقيب عتيد ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتتمو عيونها ، ويشترك فى بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمر بذلك حمل إن لم تتوزعه الأكف ثقل على الرقاب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستنيب ومستناب ؛ وقد اخترنا لمدينة كذا رجلاً لم نال فى اختياره جهداً ، وقد منّا فيه خيرة الله التى إذا صدقت نيتها صادفت رشدًا ، وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسط يدك [بقوة<sup>(١)</sup>] إلى أخذ هذا الكتاب ، وكُن حسنةً من حسناتنا التى ثم يرجح بها ميزان الثواب ، وحقّق نظرنا فيك فإنه من نور الله الذى ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضع اللسان موضع السوط إلا من أوتي زيادةً فى التفسير ؛ وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحة لمن لزمها ، وهى هدى لمن عمل بها ونور لمن علمها ؛ ويكفى من ذلك قصة الأعرابي الذى أتى حاجته فى المسجد فسارع الناس إليه ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ، ثُمَّ دَعَا بِذُنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُوضَعْ لشيءٍ من هذا وإنما وُضِعَتْ للصلاة وقراءة القرآن » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى شفى وكفى ، وعفى على أثر المعصية ممّا عفا ، ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لنقل عن لين التهذيب ، إلى شدة التأديب ، وكذلك فكن أنت فى الرفق الذى حدثت عنه ، ومن عاد فينتقم الله منه .

ونحن نأمرك أن تحتسب أولاً بلى القول لا بالآنف [و] النكير ، وأن تترفق فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير ، وأن لا تكون باحتسابك مدلاً بأنك على الصراط المستقيم ، وأن الناس بين يديك على سَنَنِ الشقيف والتقويم ، فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب ، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك بالاحتساب<sup>(١)</sup> ، ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى لامع هواه ، وأن لا يفرق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه ، وإذا كنت كذلك قرّنتك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده ، وقوم له أود الناس لتقويم أوده ، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده . وعليك بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافيه ، ومن آخفتك منك بالاستتار فلا تكشف عن حاله الخافيه . وأما ذوو الهيئات فإن عثراتهم تُقال ، وأعراضهم لا تُدال ، ولربما كان التجاوز عنهم داعياً إلى الإنتقال ، وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء أغنى فى الإزدجار ، وفى الناس أذئاب لا قدر لها تدب عنه ورءوس تدب عما لها من الأقدار . وما هنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال ، وأكثر ذلك يدور فى المعاملات التى ألفها قوم دون قوم ، واستمروا عليها يوماً دون يوم ، وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق ، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد وإمطة الأذى عن الطريق .

(١) فى القاموس احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب .

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالمٌ بوضع كلماتها في مواضعه  
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسويين  
حالتيك في السر والعلان ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفر وقرارة وطن .  
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلا ، وستحمل غداً منه عبأ ثقيلا ؛  
وقد فرضنا لك عن حق سعيك فريضة تجد بها كفافا ، وتمنعك أن تمد عينيك إلى  
غيرها استشرافا ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدين كاسبه ،  
وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملة ناصبه . وإذا نظرت إلى ما نيط  
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :  
« وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولا نتأ على اختلاف مراتبهم  
أن يرفعوا من قدرك ، ويسددوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من  
الجوانب سهلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض  
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى  
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

### الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كُتِّب الزمان بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفاويض والتواقيع ، على ما سيأتى بيانه ، وفيه [ثلاثة<sup>(١)</sup>] مقاصد )

### المقصد الأول

( فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان )

### المهيع الأول

( فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى )

قد تقدّم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة الاستيلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويقوض إليه تدبيرها فيستولى عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يقوض إليه تدبير الأمور برأيه وفصلها على اجتهداه ، وأنها بإمارة الاستيلاء أشبه ، على ما تقدّم بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا تكلّف فى المستولى على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع اشتماله على الصفات المعتبرة فى المولى فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصديق اللهجة ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشّحناء ، والدّكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز للخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من سائر النّيابات ، وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الآتى .

أو استنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفات المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،  
استناب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني ساجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء  
ببغداد واستيلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف  
في الأموال ، ويكون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، وتكتب عنه  
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره - وكذلك  
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزراءهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر  
وإلى أنقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك في وزارته<sup>(١)</sup>  
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه  
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتتبة  
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا  
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة  
والاستيلاء على الأمر بالقهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام  
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود  
وغيرها ، على ما هو مذکور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة  
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستنبه عنه الخليفة ، وكذلك ما يترتب عليها ،  
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في قاموسه فقال « كقيط » . ونقل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي وصوبه  
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلدان في تاريخه .

## المهية الثانى

( فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات )

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول — براعة الاستهلال بذكر أسم المولى أوتعبته أو لقبه أو الوظيفة ، أحوال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الأفتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حسن التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والعهود .

الأمر الثانى — مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها . والذى يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : — أحدها قطع الشين ، ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها — وثانيها قطع النصف ، وفيه تكتب صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفويض ، وكبار التواقيع — وثالثها قطع الثلث ، وفيه تكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة — ورابعها قطع العادة المنصوري ، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض ميزة لا تنتهى بهم إلى رتبة قطع الثلث — وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث — معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام . وقد تقدم فى المقالة الثالثة نقلاً عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الشين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقاً قلم الرقاع .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب الأصول المتقدم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المَقَرّ، والجناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة، وما يناسب كل لقب من هذه الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرّ بالكريم العالی، ووصف الجناب تارة بالكريم العالی، وتارة بالعالی مجردا عن الكريم، ووصف المجلس تارة بالعالی، وتارة بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس الأمير، وفي حق أرباب الأقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضي فيقال : مجلس القاضي، وفي حق الصّالحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ، وإنّ لمن دُونَ هؤلاء الصّدر ويوصف بالأجل فيقال الصّدر الأجل، وأن لكل أصل من هذه الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على المكاتب الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة مكتبة كل واحد ممن جرت العادة بالمكتبة إليه، وما يختص به من الألقاب الأصول والفروع .

وأعلم أنّ الولايات أعم من المكاتب : فقد يكون للشخص ولاية من الأبواب السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكاتب إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب الولايات . إذا علم ذلك فكل من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب السيوف والأقلام ممن تقدم ذكره في الكلام على المكاتب إذا كتبت له ولاية نُعت بألقابه ونعوته التي بها يكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أن الدعاء المصدّر به المكتبة يجعل في الآخر دُونَ الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحد «أعز الله تعالى انصار المَقَرّ الكريم» قيل في ألقابه في الولاية «المَقَرّ الكريم» إلى آخر ما يقتضيه الحال، ثم يقال : فلان أعز الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي . أمّا من لم تجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يُولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتب ، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع <sup>(١)</sup> :

### النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى — المقر الكريم مع الدعاء بعز الأنصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المتأخرى، المرباطى، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، العابدى، الناسكى، الأتابكى، الكفلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، مُمهد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية — الجنب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجنب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغياثى، المتأخرى، المرباطى، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عن الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

(١) المحدود ستة فتنه .



الموحدين ، مقدّم العساكر ، مُمهد الدول ، مشيدّ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمّة  
 ظهيرُ الملوك والسلّاطين ، سيفُ أمير المؤمنين ، فلان ( باسمه ) الفلاني ( بلقب  
 الإضافة إلى لقب السلطان ) أعزَّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجنبُ العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهى : الجنبُ  
 العالى ، الأميرُ ، الكبيرُ ، العالمُ ، العادى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ،  
 الممهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ، عزُّ الإسلام والمسلمين ،  
 سيدُّ الأمراء فى العالمين ، نصرَةُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوشِ الموحدين ، مُمهدُ  
 الدول ، مشيدّ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمّة ، ظهيرُ الملوك والسلّاطين ، سيفُ  
 أمير المؤمنين ، فلان ( باسمه ) الفلاني ( بلقب الإضافة إلى السلطان ) ضاعفَ الله  
 تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنبُ العالى مع الدعاء بدوام النعمة ، وهى : الجنبُ العالى  
 الأميرُ ، الكبيرُ ، العالمُ ، المؤيدى ، الأوحدى ، النصيرى ، العونى ،  
 الحمّامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ، عزُّ الإسلام والمسلمين ، سيدُّ الأمراء  
 فى العالمين ، نصرَةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، ذخِرُ الدولة ،  
 عمادُ المملكة ، ظهيرُ الملوك والسلّاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ،  
 أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى والدعاء بدوام النعمة ، وهى : المجلس العالى  
 الأميرُ ، الكبيرُ ، العالمُ ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ، الأوحدى ، النصيرى ،  
 الحمّامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ، عزُّ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء  
 فى العالمين ، نصرَةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، ذخِرُ الدولة ،  
 ظهيرُ الملوك والسلّاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :  
المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدي ،  
المؤيدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، ذخري المجاهدين ،  
عضد الملوك والسلطين ، فلان الفلانى ، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغير ياء ، والدعاء أدام الله رفعتة ونحو ذلك ، وهى :  
المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ،  
المرتضى ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الأمراء ، زين المجاهدين ،  
عمدة الملوك والسلطين ، أدام الله رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير ، والدعاء أدام الله سعدته ونحوه ، وهى : مجلس  
الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ، المرتضى ، فلان  
الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلطين ، فلان الفلانى ،  
أدام الله سعدته .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه ، وهى : الأمير ، الأجل ،  
وربما زيد فيه فليل الكبير ، المحترم ، ونحو ذلك .

## النوع الثانى

( ألقاب أرباب الوظائف الديوانية ، وهى على ست مراتب )

المرتبة الأولى — الجنب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :  
الأسلوب الأول — ألقاب الوزراء وهى : الجنب العالى ، الصاحبى ،  
الكبرى ، العالمى ، العادلى ، الأوحدي ، الأكلى ، القوامى ، النظامى ، الأثيرى ،

البليغيّ، المنفّذ، المسدديّ، المتصرّف، الممهّديّ، العونيّ، المدبّر، المشير،  
الوزير، الفلانيّ، صلاح الإسلام والمسلمين، سيّد الوزراء في العالمين، رئيس  
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكتّاب، قوام الدول، نظام الملك،  
مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير  
الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السرّ، عند ما استقر ما يكتب له تقليدا  
في قطع الثلثين، وهي : الجنب العالي، القاضويّ، الكبير، العالميّ، العادليّ،  
العلاميّ، الأفضليّ، الأكمليّ، البليغيّ، المسدديّ، المنفّذ، المشيدّ، العونيّ،  
المشير، اليمينيّ، السفيريّ، الأصيليّ، العريق، الفلانيّ، صلاح الإسلام  
والمسلمين، سيّد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العاملين، جمال البلغاء، أوجد  
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكتّاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير  
الأمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني،  
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت : وقد كان رتبته : المجلس العالي عند ما كان يكتب له توقيع في قطع  
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالي مع الدعاء بدوام النعمة، وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب السرّ على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع  
في قطع النصف، ويدعى له : أدام الله نعمته، وهي : المجلس، العالي، بالألقاب  
المتقدمة له مع الجنب العالي، على ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص ، وهى : المجلس العالى القاضى ،  
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البليغى ، البارعى ،  
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المنفذى ، المسددى ، المتصرفى ،  
الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام  
المنافع ، جلال الأكابر ، قدوة الكتاب ، رئيس الأصحاب ، عماد الملة ، صفوة  
الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله  
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :  
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ،  
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ،  
الفلانى ، صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الكبراء ، كبير  
الرؤساء ، بقية الأصحاب ، ملاذ الكتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك  
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيرا ، وهى :  
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،  
الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام  
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ، أوجد الفضلاء ، جلال الكبراء ، حجة  
الكتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله  
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،  
وهى : المجلس السامى ، القَضائى ، الأَجَلِّ ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ،  
الكاملى ، الرئيسى ، الأَوَّحدى ، الأصِيلِ ، الأَثيرى ، البَلِغى ، الفلانى ، مجد  
الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأَنام ، زَيْنُ البُلغاء ، جمالُ الفضلاء ، أَوحدُ الكُتَّاب ،  
نخِرُ الحُساب ، صنفوةُ الملوك والسلاطين ، أدام الله تعالى رِفَعَتَهُ .

فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نخِرُ الحُساب » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :  
المجلس السامى ، القاضى ، الأَجَلُّ ، الكبير ، الصِّدْر ، الرئيس ، الأَوَّحد ، البارِع ،  
الكامل ، الأصِيلُ ، الفاضل ، فلان الدين ، جمالُ الإسلام ، بهاءُ الأَنام ، شرف  
الأَكابر ، زَيْنُ الرؤساء ، أَوحدُ الفضلاء ، زَيْنُ الكُتَّاب ، صنفوةُ الملوك والسلاطين ،  
أدام الله تعالى رِفَعَتَهُ .

المرتبة الخامسة — مجلسُ القاضى ، وهى : مجلس القاضى ، الأَجَلُّ ، الكبير ،  
الفاضل ، الأَوَّحد ، الأَثير ، الرئيس ، البليغ ، العريق ، الأصِيل ، فلان الدين ، مجد  
الإسلام ، بهاءُ الأَنام ، شرفُ الرؤساء ، زَيْنُ الكُتَّاب ، مُرتضىُ الملوك والسلاطين ،  
أدام الله رِفَعَتَهُ .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُّ . ورُبَّما زيد فى التعظيم  
الصِّدْر ، الرئيس ، الكبير ، ونحو ذلك .

## النوع الثالث

( ألقابُ أربابِ الوظائفِ الدينية - وهى أيضا على ستِّ مراتب )

المرتبة الأولى - الجنبُ العالى - وهى لمن استقر له كتابةٌ تقليديةٌ فى قطعِ  
الثلثين من قضاة القضاة بالديار المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجنبُ العالى ،  
القاضى ، الشَّيْخُ ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكملى ، الأوحدى ،  
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،  
الحاشى ، الناسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأصيلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛  
جمالُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ العلماء العاملين ، أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قدوة  
البلغاء ، حجةُ الأمة ؛ عمدةُ المحققين ، نحرُ المدرسين ، مفتىُ المسلمين ؛ جلالُ الحُكَّام  
بركةُ الدولة ، صدرُ مصر والشام ؛ معزُّ السنة ، مؤيدُ الملة ؛ شمسُ الشريعة ، رئيسُ  
الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوك والسلاطين ، ولىُّ أمير المؤمنين ؛ فلان  
( بنسبه ) أعزُّ الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما استقر المكتوبُ له تقليداً .  
المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى  
قبل أن يستقر ما يكتب له تقليداً ، بالألقاب والنُّعوت السابقة له مع الجنب ؛  
وكذلك الثلاثة الباقون باختصارٍ فى الألقاب والنُّعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،  
القاضى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكملى ، الأوحدى ، البليغى ،  
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصيلى ،  
العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛ جمالُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ العلماء العاملين ،  
أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قدوةُ البُلغاء ، حجةُ الأمة ، عمدةُ المحدثين ، نحرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلالُ الحُكَّام، حَكَمُ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بَنَسْبِه) أعزَّ الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس الساميّ بالياء، وهي : المجلس الساميّ، القضايى، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الأَوْحَدى، الرئيسى، المُفِيدى، البَلِغى، القُدْوَى، الأَثِيرى؛ مجدُ الإسلام والمسلمين، جمالُ العلماء العاملين، أوحدُ الفضلاء، صدرُ المدرسين، عُمدةُ المفتين، خالصةُ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله تعالى تأييده .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء، وهي : المجلس السامى، القاضى، الأَجَلُّ، الكبير، الصَّدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجدُ الصُّدور، زَيْنُ الأعيان، مرتضىُ الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه .

المرتبة الخامسة — مرتبةُ مجلس القاضى؛ وهي : مجلس القاضى، الأَجَلُّ، الكبير، العالم، الفاضل، الأَوْحَد، الصدر، الرئيس؛ مجدُ الإسلام، بهاء الأنام، زين الأعيان، نحرُ الصُّدور، مرتضىُ الملوك والسلاطين، فلان : أعزَّه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضى؛ وهي : القاضى، الأَجَلُّ . وربما زيد فى التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

#### النوع الرابع

(ألقابُ مشايخ الصُّوفية — وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالى . وبها يُكْتَبُ لشيخ الشيوخ بالديار المصرية، وهي : المجلس العالى، الشيخى، الكبيرى العالى، العالمى، السالكي، الأَوْحَدى،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المفيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،  
الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ  
الإسلام، أوجد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،  
أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،  
الكبرى، الأوحدي، الأكمل، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،  
زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى  
من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،  
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،  
مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله  
تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،  
العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك  
والسلاطين : أدام الله تعالى بركاته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،  
ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .



## النوع الخامس

( ألقاب من قد يكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم )

وفيه أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلانى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغيرياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجل . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

## النوع السادس

( ألقاب زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة )

الأول — بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك الملكانية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص،  
الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سَدَّده الله فى أقواله، وثبَّتَه  
فى أفعاله .

قلت : ومما يجب التنبيه له أن ما تقدّم من الألقاب والنعوت المفرّعة على  
الألقاب الأصول ليست مما يُوقَف عند حدّ، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب  
ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربّما وُلّى بعض المناصب من فيه صفات  
تستحق ألقابا ونعوتا خاصّة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبُه  
مقامه، ثم يلى ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والنعوت التى  
تخصّ المتقدم، فيؤتى بها للثانى : كما اتّفق فيما كُتب به فى نيابة الشام حين وليها  
الأمير بيدمر الخوارزمي رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره .  
فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فلزمت فيمن بعده  
وصارت مما يكتب به إلى الآن، سواء اتّصف نائبها بدين أم لا - وكما اتّفق  
فى صاحب علم الدين بن زُبُور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخصاص والجيش،  
فكتب له بالألقاب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما  
يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير  
الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصّة بنظر الجيش استطرادا لما  
كُتب به لابن زُبُور : لانضمام نظر الجيش إليه على ما تقدّم - وكما اتّفق فيما كُتب به  
للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدار، الرفيعة المكانة، فى قضاء  
الشام لرفعة مقامه، واتّساع باعه فى العلم، وعُلو مكانته فى الخاصّة والعامة فلزم  
كتابة ذلك لقاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضى الشام أعلى رتبةً من قاضى الديار المصرية . ثم سرى ذلك فى كل من ولى المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرًّا إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة فى الزمن المتقدم وهلمَّ جرًّا إلى زماننا أنه كان يكتب فى الطرة لأرباب السيوف بعد الأميرى « الكبيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقلام فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك فى شىء من طرة تقاليدهم ولا توقيعهم ، إلى أن لبس القاضى سعد الدين بن غراب الكوثية ، وأستقر إستادارا فى الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليد بالإشارة كتب له فى طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكتّاب على مثل ذلك فى غيره من أرباب الأقلام الأكابر : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن فى معناتهم من أرباب الوظائف الديوانية . والحجة فيه ظاهرة من حيث إن كلاً من المذكورين إذا كتب عنه كتاب ، كتب فى أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب الساطنة فى تقليده أو توقيعه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكتّاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التى يقع بها تقريره ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنجدة، وقوة العزم، والشهامة،  
وشدة الشكيمة، ونصرة الدين، وكف [الأيدى] العادية، وإرهاب العدو، وقمع  
المفسدين، وإرغام أهل العدوان، وحماية الثغور - إن كان فى ثغر - ووفور الهبة،  
وبعد الصيت، وطيران السمعة، مع بسط المعدلة والرفق بالرعية، والرفقة بخلق الله  
تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع  
أحكام الشريعة، وبذل الطاعة، والمناصرة، والمخالصة، وقدم هجرته فى الدولة - إن  
كان قديم هجرة - ومروور الدول عليه - إن كان قد مرت عليه دول - ، وأنه نشأ  
الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحذق، واليقظة، وقوة الحزم، وشدة  
التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار وضروب القتال وطرق التحصين والمدافعة،  
ونحو ذلك .

وإن كان وزيرا وصفه بحسن التدبير، وجزالة الرأى، والإحتياط فى الأمور،  
والقيام بمصالح الإسلام، وعمارة البلاد، والنهوض فى المهمات، وكف الأيدى  
العادية، والأخذ على يد المتعدى، وتنمية الأموال وتثريها، وتسهيل ما يجرى من  
الأرزاق على يده، وبذل الجهود فى معاضدة الشريعة، وشبه ذلك مما يجرى  
هذا المجرى .

وإن كان كاتب سر وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه فى التأثير  
فى العدو مقام السيوف والرماح، وكُتبه فى تفريق الكتائب مقام الجيوش  
والعساكر، وسداد الرأى، وكتم الأسرار، وحماية الممالك بنتائج أفكاره،  
وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمور الجيوش وترتيبها ، وأصناف  
الأمرء ، والجُند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأمور الحساب ، والنهضة في المهمات ،  
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،  
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطُرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،  
وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان مستوفي الصُّحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،  
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا  
القييل .

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف  
الخزانة : من الأقمشة ، والتشارييف ، والطُرز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب  
كل واحد منهم من أنواع التشارييف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع  
البدعة ، والعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من  
القوي ، والنزاهة عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء  
في الحكم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الهمة ،  
وقوة العزم ، والصرامة ، ووفور الهيبة ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،  
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق  
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،  
والتثبت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار  
ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،  
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرّسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها  
بحظّ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم  
الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه  
شيء من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتنزيلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من  
برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وقوة اللسن ، وشدة الشكيمة  
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظاته ، وما  
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من  
الدنيا ، وتربية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على  
غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلل  
وطرق العلاج ، وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء  
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأكمال ، وما يوافق كل  
علة من ذلك ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّ له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية ربّ كل ولاية من الولايات المعتمدة بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية المولى به، حسن وصفه به . والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجميع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأسّ الذي يبنى عليه، والركن الذي يستند إليه . وهذا الباب هو الذي يطول فيه سبّح الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع، فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقاً بما يلزم ربّ كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقّها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحادّ عن جادة الصّنع . ولذلك يقال للكاتب : « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كلّ واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحينئذ فإن كان المتولّى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة ... (١) ... للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مباشرى الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الانفكاك عنه، وتخصين ما لديه من القلاع، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يردّ عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولعله « وانتقائه » للوظائف الخ .

السلطانية ، وأنَّ ما أَشْكل عليه يَسْتَضَى فيه بالآراء الشريفة ، والإحسان إلى الجند ،  
وتعيين إقطاع مَنْ مات منهم لولده إن كان صالحا ، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وَصَّى بحفظ تلك القلعة ، وعمارة ما دَعَتْ الحاجةُ  
إلى عمارته منها ، والأخذ بقلوب من فيها ، وجمعهم على الطاعة ، وأخذ قلوبهم  
بالإحسان إليهم ، وتحصينها بآلات الحصار ، وأدخار آلات الحرب : من المجانيق  
والقسيِّ وسائر الآلات : من السهم ، واللبوس ، والسَّيَّار ، وغير ذلك . وكذلك  
آلاتُ أرباب الصنائع ، كالآلات الحدادين ، وصنَّاع القسيِّ وَمَنْ في معناهم مما  
يُحتاج إلى عمله في آلات القلعة ، والأعتناء بغلاق أبواب القلعة وفتحها ، وتفقد  
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح ، وإقامة الحرس ، وإدامة العسس ،  
وتعريف أخبار المجاورين لها من الأعداء ، وإقامة نوب الحماة بها ، والمطالعة بكل  
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان « وزيرا » وَصَّى بالعدل وزيادة الأموال وتتميرها ، والإقبال على تحصيلها  
من جهات الحِلِّ ، واختيار الكُفَّة الأمانة ، وتجنب الخونة ، وتطهير بايه ، وتسهيل  
حجابه ، والنظر في المصالح ، وأنه لا يَسْتَبْدِل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيائته ،  
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان « كاتب سر » وَصَّى بالاهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف  
الشريفة ، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة ، وتعريف النواب في الوصايا  
التي تُكْتَب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أئهم عليهم ، ويبيِّن لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إغلاق فتنه .



عند حدّه ، والنظر في تجهيز البريد والنّجّابة <sup>(١)</sup> ، وما يُبعث فيه من المصالح وينفّذ فيه من المهمّات والقُصّاد ، ومعرفة حقوق ذوى الخدمة والنّصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بنحو أطيرهم ، والنظر في أمر الكشّافة والديّادب والنظّارة والمنّاور والمحرّقات وأبراج الحمام ، وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سرّ الملك وكتمانه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ، ومراعاة كُتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكتّان السرّ كما يثق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصّى بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكُشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصّى بالاحتياط لِدِيوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتنميتها وتثريتها ، وزيادتها وتوفيرها ، والتحرّز فيما يرفع من حُساباتها ، والاهتمام بأمر التّشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التّشاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار ، والأخذ فى ذلك كله بالخطّ الأوفى للديوان السلطانى ، وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصّى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها ، وعمل المكلفات وتقدير المساحات ، وتمييز ما بين تسجيل الفدان فى كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة ، وتمييز قيم بعضها على بعض ، ومستجدّ الجرائد ، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأحباس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصّى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب ، والتركان ، والأكراد ، وغيرهم ، وهدايا الملوك وما يجرى مجرى ذلك : من العتّاب والأطلس ، والمشرّش ، والمقنّس والمتمّر ، والطرازات على اختلافها : من الزركش ، والباهى ، وأنواع المستعملات ، وما يحمل من دار الطراز ، وما يتبع للخزانة العالية ، وما هو مرصّد لها من الجهات التى يحمل إليها متحصّلها : لينفق فى أثمان المبيعات ومصرف المستعملات ، والاحتراز فيما يُنفق من الأثمان وقيمة المبتاع ، وشهادات الرسائل المكتتبة إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات ، وأن يحصل كلّ شىء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصّى بالتروى فى أحكامه قبل إمضاءها ، وأن يراجع الأمر مرّة بعد أخرى ، واستشارة أهل العلم ، والرجوع إليهم فيما أشكل عليه ، واستخارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم ، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه ، والتسجيل له به ، والإشهاد على نفسه بذلك ، والتسوية بين الخصوم حتى فى تقسيم النظر إلى الخصمين ، والتحرى فى استيداء الشهادات ، وأن لا يقبل من الشهود الا من عرف

بالمَدَالَةِ : من رُبَّ قلم أو سيف ، والتنقيب عما يصدر من العقود ، ولا يعول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خبير بها ، والنظر في أمر الرُّسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهبِهِ ، والاعتناء بشأنهم .

ويزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والاحتراز في قضائياتها ولا يُقبل فيها بينة لو كِل بيت المال فيها مدفع ، ولا يُعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، واليقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهبُهُ إلا بما نص عليه إمامُهُ أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحاً ولا ما تفرد به قائلُهُ ، وأن لا يولى في البرّ نائباً إلا مَنْ عُرِف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويزاد « الحنفى » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهبُهُ من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويح المعصرات ، وشُفعة الحوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضيّ المدة المعتبرة في مذهبِهِ ، والإحسان إلى مَنْ ضمّه نطاق ولايته ممن نزح إليه من أهل الشرق وأقاصى الشمال .

ويزاد « المالكي » الوصية بالتحزى في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخصم لبيدي مالدِيهِ من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهبُهُ مما فيه فسحة للناس : كالشُّبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرِّيع في الوقف المسترد بعد البيع ، والإحسان إلى مَنْ لديه من غُرَباء أهل مذهبِهِ ، لاسيَّما مَنْ أتاه من بلاد المغرب .

ويزاد « الحنبلى » الوصية بالاحتياط في بيع مآثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغيبَة المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضَعْفَاء الناس ، والمُعَامَل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدَّةً وأنزَرهم وظائف وأوقافاً ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصى بنحو ما يوصى به [ القاضى ] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجُند من كان ظاهره العدالة ، فإنَّ الشُّهود المُعَدِّين لتحمل الشهادة يعزُّ وجودهم في العسكر ، وأن يكون له منزلٌ معروف يُقصد فيه إذا نُصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ، وأن يكون مستعداً للأحكام التي يكثرُ فضلها في العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقِسْمة ، والمبيعات ، والرد بالعيب ، وأن يُسرَّع في فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون في ذلك تشاغُل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وإن كان « محتسباً » وصى بالنظر في أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ، والتحذير من الغش في الطعام والشراب ، وأن يتعرَّف الأسعار ، ويستعلم الأخبار في كل سوق من غير علم أهله ، وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاش من ينوب عنه في النظر في أمورهم من الأمناء المأْمُونين ، وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستَراب به بخط متطبب لمريض ، وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطُّرُقِيَّة وأهل النِّجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويَحْسِم مآذيتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة المغيبات بمقتضى النظر في النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عُرِفَتْ أمانته ، وأُثِرَتْ صيانتُه ، وأن لا يستنيب إلا أهل العِفَّة والأمانة والنزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكفهم ثبوتا فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكرا ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيم الأشياء ، وينبه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختر للاستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهد استطاعته ، ويربيهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، وينزل كل واحد منهم منزلته ، ليهزم ذلك إلى الإكباب على الاشتغال والأزدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويأين القلوب القاسية ،

وَأَنْ يُعَدَّ لِكُلِّ مَقَامٍ يَقُومُهُ مَقَالًا يَقُولُهُ ، وَأَنْ يَخَفَّفَ الْخُطْبَةَ ، وَيَأْتِيَ بِهَا بَلِيغَةً  
مَفْهُومَةً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الْخُطَابَةِ .

وَإِنْ كَانَ « شَيْخُ خَانِقَاهُ » وَصَّى بِالْأَجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْمَشْيِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ :  
مِنَ الزُّهْدِ ، وَالْوَرَعِ ، وَالْعَفَافِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ جَمَاعَتَهُ بِمَا أَخَذَهُ فِي الْأُمُورِ ، وَأَنْ يَعْرِفَ  
لِلْجَمَاعَةِ مَكَانَهُ حُقُوقَهُمُ الْوَاجِبَةَ لَهُمْ وَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ خُصُوصًا أُولَى السَّابِقَةِ مِنْهُمْ ،  
وَيَأْخُذَ فِي الرِّفْقِ بِهِمْ وَمُدَارَاتِهِمْ ، مَعَ تَرْتِيبٍ مِنْ أَسْتَجَدَّ مِنْهُمْ ، وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى طَرَائِقِ  
الصُّوفِيَّةِ ، وَتَعْرِيفِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَدْرِيجِ الْمُرِيدِينَ عَلَى قَدَرِ مَا تَحْتَمِلُهُ  
أَفْهَامُهُمْ ، دُونَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الطَّرِيقِ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُهُمْ . وَ[اتِّبَاعِ]  
سَبِيلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اللَّذَيْنِ مِنْ حَادٍ عَنْهُمَا ضَلَّ ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْ جَادَّتِهِمَا زَلَّ ،  
وَكَفَّهِمْ عَنْ أَرْتِكَابِ الْبِدْعِ وَالْجُرْئِ عَلَى مَنِهَاجِهَا ، وَمَنْ أَتَى ذَنْبًا نَخِضَهُ بِالتَّوْبَةِ  
وَالْأَسْتِغْفَارِ ، وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ أَخَذَ فِي الشُّطُوحَاتِ ، وَالْخُرُوجِ عَنْ قَانُونِ ظَاهِرِ  
الشَّرِيعَةِ ، وَمَنْعَ مَنْ نَحَا هَذَا النُّحُوًّا أَوْ جَرَى عَلَى هَذِهِ الْجَادَّةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ  
يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَحُسْنِ التَّلَقُّيِّ لَهُ ، وَالْإِكْرَامِ نُزْلَهُ بَعْدَ أَنْ يَعْجَلَ لَهُ بِالْإِذْنِ ،  
وَالْأَمْرِ بِأَخْذِ عُكَّازَةٍ ، وَفَرْشِ سَبَّجَةٍ ، وَمَا يَنْخَرِطُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ « رَئِيسُ الْأَطْبَاءِ » وَصَّى بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ طَائِفَتِهِ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ ،  
وَيَأْمُرُ الْمَعَاجِلَ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْمَرَضِ وَأَسْبَابَهُ وَعِلَالَتَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرَ إِلَى السِّنِّ  
وَالْفَصْلِ وَالْبَلَدِ ، وَحِينَئِذٍ يَشْرَعَ فِي تَخْفِيفِ الْحَاصِلِ ، وَقَطْعِ الْوَاصِلِ ، مَعَ حِفْظِ  
الْقُوَّةِ ، وَأَنْ لَا يَهَاجِمَ الدَّاءَ ، وَلَا يَسْتَغْرِبَ الدَّوَاءَ ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْأَبْدَانِ إِلَّا مَا يُلَاقِيهَا ،  
وَلَا يَخْرُجُ عَنْ عَادَةِ الْأَطْبَاءِ وَلَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ الْإِصَابَةُ حَتَّى يَتَبَصَّرَ فِيهِ بِرَأْيِ أَمْثَالِهِ ،  
وَيَتَجَنَّبُ الدَّوَاءَ ، مَا أَمَكَّتْهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْغِذَاءِ ، وَالْمَرْكَبَ مَا أَمَكَّتْهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْمَقَرِّدِ ،

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،  
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز  
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر  
عنه، ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف  
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكهّالين» وصّى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة  
أحوالهم، وأن لا يصرف منهم إلا من عُرف بحسن الإدارة والملازمة في العلاج،  
ويأمر كلاً منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن  
يلاطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء  
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثليهم فيه،  
من تخفيف المادّة بالاستفراغ أو نقص ديم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وصّى بضمّ جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد  
مِلّته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر  
إلى الرضا من الحائنين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه  
التحريم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبليتهم، وإقامة حدود  
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،  
وآتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزامه لهم [ما التزموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة  
الذين أقروا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم  
للمسلمين في الطرُق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل  
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العمام الصفرة، يأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،  
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدتهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كنائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل مالم تُعقد عليه الذمة ويقرهم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصّى بما عليه بناء شرعته من المسامحة والاحتمال والصبر على الأذى، وعدم الاكتراث به، وأخذ نفسه بهذه الآداب، وأنه يُقدّم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحى، ولم تُخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقى صدور إخوانه من الغل، ويتخلّق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتزّه عن أموال جماعته والتوسّل إلى أخذها، وأنّ إليه أمر الكنائس والبيع، وعليه أن يتفقّدها في كلّ وقت، ويرفع ما فيها من الشُّبهات، ويحذّر رُهبان الديارات من جعلها مَصيدةً للال، وأن يتجنّبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريبة، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسمع الشريفة السلطانية، ولا يُخفى كتابا يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جوابا، ويتجنّب البحر وما يرد منه من مظانّ الرّيب .

وإن كان « بطرك اليعاقبة » قيل في وصيته نحو ما تقدّم في وصيّة بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنّك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحريم . ويقال بدل قوله « وليتجنّب البحر » : « وليتوقّ ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة » .



قلت : وهذه الوصايا مدخل إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المقتر الشهابي ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسج على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

### المقصد الثاني

( في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان )

#### الجملة الأولى

( في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها على سبيل الإجمال )  
وهي على أربعة أنواع :

### النوع الأول

( التقاليد )

جمع تقاليد . يقال : قلدته أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهرى : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلدت المرأة فنقلدت ، قال : ومنه التقاليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طرة ومتن ، فأما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التشقيف" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم ، أو إلى الجنب الكريم ، أو إلى الجنب العالى الأميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، أو نصرته ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحلب المحروسة ، أو بطرابلس المحروسة ، أو نحوها ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كُتب فى طرة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كغالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، فلان الناصرى ، مثلا كغالة السلطنة بالشام المحروس على أتم العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـنيابة السلطنة بحلب ، كُتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـنيابة طرابلس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرأبلس المحروسة، على أجمل العوائد في ذلك وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بحمّة، أبدل لفظ طرأبلس بحمّة .

وإن كان بنيابة السلطنة بصفد، أبدل لفظ طرأبلس وحمّة بصفد، والباقي على ما ذكر في طرأبلس .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بغزة - حيث جعلت نيابة - كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالي، الأميري، الكبيرى، الكافلى، الفلانى، فلان الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بغزة المحروسة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

فإن كان مُقدم العسكر كما هو الآن، أبدل لفظ نيابة السلطنة الشريفة بلفظ «تقدمة العسكر المنصور» والباقي على ما ذكر .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بالكرك، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالي الصاحبى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السرّ، كُتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوّض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوّض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعزّ الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شُرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدّل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوّض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدّل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوّض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه .

هذه جملة ما عُهدت كتابته من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حَدَثَ كتابة ما يستحق أن يكتب له تقليدًا، كالأتابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدّم نقلاً عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذى هو الطرة : «تقليدٌ شريفٌ لفلان بكذا» فإن كتب تقليدًا بكفالة السلطنة مثلاً، كتب : «تقليدٌ شريفٌ للقرّ الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى، بكفالة السلطنة الشريفة بالملك الإسلامية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شُرح فيه» .

الثانى - أنه اقتصر فى "التثقيف" على قوله فى آخر الطرة، على أجمل العوائد فى ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصراً فى ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريف بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليد شريف لفلان بكذا على أكل القواعد واجمل العوائد على ما شُرح فيه، لكان سائغاً .

فإن كان صاحب التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السرّ، ونحوهم، كُتب على أجمل العوائد وأتمّها، وأكمل القواعد وأعمّها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأعمّها، وأكمل القواعد وأتمّها، على ما شُرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال فى "التعريف" إن التقاليد كلّها لا تُفتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما سَنَح من حال الولاية وحال المولى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يَرَأَ حق من ذلك المولى ويسمى؛ ثم يُقال ما يُفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلياً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يختم بالدعاء للمولوى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكتاب فى هذا أساليب، وتفنن كثير الأعاجيب، وكلّ مألوف غريب، ومن طالع كلامهم فى هذا وجد ما قلناه، وتجلّى له ما أهتمناه.

وذكره فى "التثقيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بخطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولوى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجنب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعز الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يزداد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: آقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعاً) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلّق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يختم بالدعاء للمولوى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة . ولم يقل فيه : وسبيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :  
الأول — قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لنواب السلطنة بمصر  
والشام مطلقا، وكذلك الوزير، والمشير، وكاتب السر، وقاضي قضاة الشافعية  
والحنفية بالديار المصرية .

الثاني — قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لذوى التقاليد من  
أمرء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل  
من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون  
هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتى الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد،  
إن شاء الله تعالى .

## النوع الثانى

(مما يكتب فى الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم، أخذًا من قولهم : رسمت له كذا فارتسمه إذا آمثله ، أو من  
قولهم : رسم على كذا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .

وهى على ضربين :

### الضرب الأول

(المراسيم المكبرة)

ولم يتعرض لها المقر الشهابى ابن فضل الله فى "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة  
فى زمنه وإنما حدثت بعده .

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلافٌ إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شىءٌ من المراسيم فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثالث . الثانى - أنه لا يقال فيها «تقليدٌ شريفٌ» بل «مرسومٌ شريفٌ» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرّة المرسوم على «الأميرى» دون «الكبرى» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميرى الكبرى» . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يفوض» ولا : «أن يُقلد» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجمل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال فى الصدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهى تختص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العربان<sup>(١)</sup> أو من بالشام وحلب، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .

ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للنواب بالقلاع : من مقدّمى الألوף والطبّخانات : كئائب حصّ، والرحبة، والبيرة، وقلعة المسلمين، وملطية، وطرسوس، وأذنة، وبهسنى، والفتوحات الجاهانية وغيرها ممن يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغيرياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على، وأمير آل مرأ، وأمير بنى عقيبّة . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرّة أن يكتب :

(١) لعله من بالشام الخ . تأمل .



« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

فإن كانت النيابة تقدمة ألف : كنيابة الرّجبة ونحوها ، كُتب فى طرّة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت النيابة طبليخانه كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلس السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » ، أو كتب : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقرّ المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت نيابة قلعة ديمشق ، كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرّ المجلسُ العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » . وكذلك كل قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يُكتب بها .

ثم يُكتب فى الصّدر بعد البسملة خطبة مفتحة بالحمد لله ، ثم يقول : وبعد ، ويأتى بنحو ما تقدّم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدّم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ، ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقرّ المشار إليه في كذا على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته ، فليتأق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها ، ويختتم بنظير ما تقدّم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المسكّبة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التثقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدّم في الطبقة الأولى ، إلا أن خطبته تفتتح بأما بعد حمد الله ، وتختتم بما تقدّم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بغراس ، ونائب الدرّ بساك ، ونائب كركر ، ونائب الكختا ، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات ، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب ، وشادّ مراكز البريد بهما ، ونحو ذلك ؛ وبعض أمراء العرب : كأمير بنى مهديّ ، ومقدم عرب جرم ، ومقدم عرب زبيد على نذرة فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها ، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقرّ المجلس السامى ، الأمير فلان الدين أعزّه الله تعالى ، في النيابة ببغراس ، أو بالدرّ بساك ، أو بكركر ، وما أشبه ذلك على عادة من تقدّمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب ، كتب : «مرسوم كريم أن يستقرّ المجلس السامى ، الأمير ، فلان الدين : أعزّه الله تعالى في شدّ الدواوين بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكز البريد ، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكز البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهديّ ، كتب : «في إمرة بنى مهديّ ، على عادة من تقدّمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جرم ، كتب : «في تقدمة عرب جرم ، على عادة من تقدّمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد ، أبدل لفظ جرم بزبيد ، وعلى ذلك .

## الضرب الثاني

( من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة )

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يترك فيه أوصال بياض بين الطرة والبسملة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغيرياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسملة ماصورته : « رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطاني ، الملكى ، الفلاني » ( باللقب الخاص ولقب السلطنة ) ويدعى له بما فيه براعة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » ( إلى آخر ألقابه ) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل ( إلى آخر الألقاب ) لما له من كذا وكذا ( ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام ) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتلق ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصوري ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في « التشقيف » : ومما ينبئ عليه أنه لا يكتب

مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشَّيْفِ بصفد وصرخد وعجلون<sup>(١)</sup> والصَّبِيَّة ، فإنه لا يُؤْتَى فيها إلا مقدَّم حَلَقَة او جندي ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كُفَّال الممالك يستبدون بالتولية في ذلك .

الصنف الثانى — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ، وصورته أن يكتب في الطرّة ماصورته : «مرسوم شريف أن يستقرّ فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا ، على ماشرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسم الشريف كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسم الشريف فيستغنى عن ذكره ، ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ماتقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة استهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرّفه» ونحو ذلك «أن يستقرّ فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

### النوع الثالث

(مما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ، وهو مصدر فوّض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفَوَّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أردّه إليه . قال في " التعريف " : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن دون أرباب التقاليد ، وهى من نمط التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها « تفويض شريف لفلان بكذا » . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله وصفد بواو العطف . تأمل .

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :  
 « تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، بقضاء قضاة المالكية  
 بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان  
 المعمور على ما شُرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدّم ترتيبه فى التقاليد ، إلا أنه  
 يكون أخصر .

قلت : ولم أقف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابى  
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضاً بقضاء قضاة المالكية  
 بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى ، حين ولى على أثر  
 ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقينى<sup>(١)</sup> قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحته بلفظ :  
 « الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت فى طرته :  
 « تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضوى ، الجمالى ، يوسف البساطى المالكى ،  
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ،  
 وأكمل القواعد ، على ما شُرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .  
 وسياق ذكر نسخته فى الكلام على النسخ فى المقصد الثانى من هذا الطرف ،  
 إن شاء الله تعالى .

(١) بُلْقِينَة بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما فى المعجم والقاموس .

### النوع الرابع ( التواقيع ، جمع توقيع )

قد تقدّم فى مقدّمة الكتاب عن ابن حاجب النّعمان فى ذخيرة الكُتّاب : أنّ التوقيع معناه فى اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقّعةُ الجنبَةِ اذا أثّرت فيها الرَّحْلُ تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفى اصطلاح الأقدمين من الكُتّاب أنه اسم لما يُكتب فى حواشى القصص نخطّ الخليفة أو الوزير فى الزمن المتقدّم ، وخط كاتب السّرّ الآن ؛ ثم غلب حتّى صار علماً على نوع خاصّ مما يُكتب فى الولايات وغيرها . قال فى " التعريف " : وهى على أنموذج التفاويض . قال : وقد يقال : أن يرتّب ، وأن يقَدّم ، ثم قال : وعنوانها « توقيعٌ شريفٌ لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسبيلُ كلِّ واقفٍ عليه » كما فى التقاليد ، بل يقال : « فليُعتمدْ ما رسم به فيه بعد الخطّ الشريف أعلاه » . وقد ذكر فى " التعريف " أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقييرها ، وكبيرها وصغيرها ، حتّى الطبليخانات اللاحقين بشأو الكبار فمن دُونهم . وقال فى " التشقيف " : إنها مختصة بالمتعمّمين من أرباب الوظائف الدينيّة والديوانية ، ولا يُكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر البيارستان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدّس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه فى زمن صاحب " التعريف " كانت التواقيع تُكتب بالوظائف لأرباب السيوف من النّيابات وغيرها قبل أن تُحدّث المراسيم المكبرة المقدّمة المذكور ، ثم خُصّت التواقيع بعد ذلك بالمتعمّمين دُون أرباب

(١) الجنب والجنب والجنبه محرّكة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" بخرى على حكمه ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البيمارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر ، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التوقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

### الطبقة الأولى

( ما يفتح بخطبة مفتحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان )

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضوي ، الكبير ، الفلاني » (ويُدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبير ، الحاكمي . وإن كان كاتب السر ، كتب له بعد الكبير ، اليميني ، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتسمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه للعلم به من نظائره والأصل أن يفوض إلى المجلس ... .. نظر الجامع الجديد الناصري مثلاً بما جرت به الخ فتنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصَّحْبَةُ الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحينئذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمر عليه أولا ، كتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمر عليه أولا أيضا ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمر مستقر عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب السر على ما كان الأمر عليه أولا ، كتب : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .



وإن كُتب به لكاتب السرّ بالشام، أُبدل لفظُ الممالك الإسلامية بـ«الشام المحروس» .

وإن كُتب به لناظر الجيش بالديار المصرية، كتب : « توقيعٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، نظرُ الجيوش المنصورة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى على ما شرح فيه » .

وإن كُتب به لناظر الجيش بالشام، أُبدل لفظُ الممالك الإسلامية بـ«الشام المحروس» .

وإن كُتب به لناظر الدولة، كُتب : « توقيعٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان، ضاعف الله تعالى نعمته، نظرُ الدواوين المعمورة والصُّحبة الشريفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه » .

وإن كُتب به لناظر البيارستان لصاحب سيف<sup>(١)</sup>، كتب : « توقيعٌ شريفٌ أن يفوض إلى المقرّ الكريم، أو الجنب الكريم، أو العالى (على قدر رتبته) الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى مثلاً : أعزّ الله أنصاره، أو نصرته، أو ضاعف الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظرُ البيارستان المعمور المنصورى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه » . وكذلك نظرُ الجامع الحديد ونظرُ الحرمين الشريفين كلُّهما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

(١) لعله ودان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التوقيع — ما يكتب فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال فى " التثقيف " : صورته فى الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لنقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحتسبين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، ونظار البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزان السلاح ، ومستوفى الضريبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخوانق الكبار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتي بدمشق . وكذلك مقدمة التركمان بالشام ، وتقديم الأكراد به ، ومشيوخه العائد .

فإن كتب بذلك لنقيب الأشراف ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

وإن كتب للحنفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ « الحنفية » وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بغيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرك ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، فلان الشافعي » ، مثلاً أو نحو ذلك : أيد الله تعالى أحكامه ، في قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلاني ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشيءٍ من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر » بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلاني ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلاني على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلاني ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الجيوش المنصورة بالملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدَّست بالديار المصرية ، كتب « توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى كتابة الدَّست الشريف بالأبواب الشريفة » . ثم إن كان عن وفاةٍ عَيْنَه أو بنزول عَيْنَه .

وإن كان بالشام ، أُبدل لفظ « بالأبواب الشريفة » بلفظ « بالشام المحروس » .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية ، كتب « توقيع شريف أن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر البيوت المعمورة » .

وإن كُتِبَ لأحدٍ بنظر خزانِ السَّلاح بالديار المصرية ، كتب « توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى خزانِ السَّلاح المنصورة ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة ، كتب « توقيع شريفٌ أن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى آستيفاء الصُّحبة الشريفة ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بنظر بيت المال ، كتب « توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر بيت المال المعمور ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى ، كتب « توقيع شريفٌ أن يستقرَّ المجلسُ السامى ، القضاى ، الفلانى : أدام الله رفعتَه ، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى ، على عادة من تقدّمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر خزانة الخاّص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاّص الشريف ، والباقي على ما تقدّم .

وإن كتّب بنظر الأحباس ، كتّب « توقيع شريف أن يستقرّ المجلس السامي » ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتّه ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصّلاحية ( سعيد السعداء ) كتّب « توقيع شريف أن يستقرّ المجلس السامي ، الشيخ ، الفلاني : أعاد الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخانقاه الصّلاحية ، على عادة من تقدّمه وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصّلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدّم .

وإن كتب بمشيخة الشّميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشّميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التّركمان بالشام ، كتّب « توقيع شريف بأن يستقرّ المجلس السامي ، الفلاني : أعزّه الله تعالى ، في تقدّمة التّركمان بالشام المحروس ، على عادة من تقدّمه وقاعدته .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التّركمان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتّب « توقيع شريف بأن يستقرّ المجلس السامي الفلاني : أعزّه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدّمه وقاعدته . وعلى ذلك .

### الطبقة الثانية

( من التواقيع ما يُفتَح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتِبته

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين )

المرتبة الأولى - ما يُكتب فى قِطْعِ الثُلث ، وهو الأصل فيما يُكتب فى الثُلث ثم تُرُقَّى عنه إلى رُتْبَةِ الْإِفْتِتَاح بالحمد . ألا ترى أن المَنَاشِيرَ التى تُكْتَب فى قِطْعِ الثُّلُث بقلم التوقيعات تفتَح كُلُّها بلفظ « أما بعد » على ما سيأتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المَنَاشِير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطَّوْرَةِ « تَوَقِّعُ شَرِيفٌ بِأَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِى ، الْقَضَائِىَّ ، فَلَانُ الدِّينِ أَوْ الشَّيْخُ فَلَانُ الدِّينِ فى كَذَا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شَرَحَ فيه » ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصلّى على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم يقول : « فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَذَا مَنْ هُوَ بِصِفَةِ كَذَا » أو « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالتَّقْدِيمِ مَنْ هُوَ مَتَّصِفٌ بِكَذَا » ونحو ذلك ، ثم يقال : « وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ » ويؤتى بنحو ما تقدّم فى المَفْتَح بالحمد لله .

قلت : وقد قلّ استعمال هذا الضَّرْبِ بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القِطْعِ ، حتّى لا يكاد يُكْتَب به إلا فى النادر ، تغالبا فى رِفْعَةِ الْمَكْتُوبِ لَهُمْ ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية - ما يُكتب فى قِطْعِ الْعَادَةِ الْمَنْصُورَى .

والأمرُ فيه على ما تقدّم فيما يُكتب من هذه الطبقة فى قِطْعِ الثُلث . قال فى "التثقيف" : وهو قليلٌ جدًّا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظير وقِف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛  
أو لرجل كبير قديم المهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن  
تكون في قطع الثلث .

### الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رسم بالأمر الشريف» وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن  
رتبته السامى بغيرياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال فى "التثقيف": وصورته  
أن يكتب فى الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى القاضى فلان الدين:  
أعزه الله تعالى فى كذا، أو أن يرتب، أو أن يقدم» ويذكر ما تضمنه الشاهد  
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال:  
ثم يكتب فى الصدر بعد البسملة «رسم بالأمر الشريف العالى، المولى،  
السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»:   
مثل الناصرى، الزينى، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة  
والمولى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامى، القاضى،  
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضى فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى فى كذا،  
لما له من صفات هى كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام)  
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتلق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»  
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:  
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرج، ومستوفى

الدولة ، وناظر الأهراء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخوانق الصغار ، والتدريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيث إن كُتب بذلك لكاتب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوف من مستوفى الدولة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى استيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كُتب لناظر الأهراء ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفعة ، فى نظر الأهراء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى ببركته ، فى مشيخة الخانقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كُتب بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .



ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرج وأستيفاء الدولة ، كُتب بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور » .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف ، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور » . ويقول في آخر طرزة كل ولاية من التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع على اختلافها : « على ما شُرح فيه » .

### الطبقة الرابعة

( التواقيع الصغار ، وهي لأصغر ما يكون من الولايات :

من نظر وقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها )

وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرج : « توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا ، على ما شُرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ، ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : « رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرّفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القصّة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى — ما يُكتب على ظهور القصص .

وكيفيته أن تُلصق القصّة التي شملها جوابُ كاتب السرّ أو غيره على وُصْلين من ورق العادة الصغير . قال فى "التثقيف" : وصورُها أن يُكتب فى ظاهر القصّة بغير بسملة قبل الوصل الذى وصله بنحو أربعة أصابع ما صورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى » على نحو ما تقدّم . ويدعى له : « أعلاه الله وشرّفه ، وأنفذه وصرفه » على ما تقدّم فى الضرب الأول . ثم يقال : « أن يُتأمل ما أنياه رافعها باطنا ، وليتقدّم بكذا وكذا » ويشرح ما تضمنه الجواب فى هامش القصّة . ثم يقال : « فليعتد هذا المرسوم الشريف كلّ واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخطّ الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القصّة ممن هو متميّز بعض التمييز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد فى قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليتقدّم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقرّ الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر فى "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رُسم بالأمر الشريف» فقال : بعد الافتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : « من حسنت طرائقه ، وحمدت خلائقه » أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة فى الدولة العباسية ببغداد ، وفى الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم فى الدولة التركية إلى زمن المقرّ الشهابى

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وتُرك استعمالها بالديار المصرية البتّة، فلم يكن أحدٌ من كُتّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

### المُقَصِّد الثالث

( في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،  
ويتعلّق به عشرة أمور )

الأمر الأول — الطّرة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محله .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنّه في الأصل مأخوذ من طُرة الثوب . وقد ذكر الجوهريّ وغيره أن طُرة الثوب هي طَرَفه الذي لأهدب فيه، والذي لأهدب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذة من الطَّر بمعنى القطع ، لأن الطّرة مقتطعة عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياض ، ومنه سُمي الشَّعر المرسل على الصُّدغ طُرة . وقد جرت العادة في كل ما يكتب له طُرة أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط بقلم الرِّقاع بكل حالٍ ماضوته « الأسم الشريف » ثم تكتب الطّرة تلو ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمال : بحيث تكون أطراف المنتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كُتب في أعلى الدَّرَج مما تقدّم ذكره . ويأتي بالطّرة المناسبة : من تقليد ، أو مرسوم ، أو تفويض ، أو توقيع ، بالقلم المناسب لمقدار قَطْع ذلك الورق على ما تقدّم بيانه ، ويأتي على ما يكتب في الطّرة على ما تقتضيه

الحال ، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن انتهى فى أثناء سطر ، ترك باقىه بياضا ، وكتب فى آخره «على ماشرح فيه» بحيث يوافي آخر ذلك آخر السطر . وإن انتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر ، كتب تحت ذلك السطر على حىال آخره «على ماشرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية ، إلا فيما يكتب على ظهور القصص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة ، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف ، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أمرى ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » يعنى ناقص البركة . ومحلها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض . أما مالا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلا ، بل تفتح «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكرعى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار ، طلباً للتبرك ، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور ، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه بسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رسم بالأمر

الشریف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسملة، وفيه مالا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثانى من البسملة، على ما سيأتى بيانه.

الأمر الثالث — الافتتاح الذى يلى البسملة. وقد علمت مما تقدم أن الذى استقر عليه افتتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف :

أحدها — الافتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق : إذ هو تارة تفتتح به التقاليد، وتارة تفتتح به المراسيم المكبّرة، وتارة تفتتح به التفاويض، وتارة تفتتح به بأر التواقيع.

الثانى — الافتتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبّرة، والتواقيع الكبار. وتكون فى قطع الثلث تارة، وفى قطع العادة المنصورية أخرى.

الثالث — الافتتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهى أدنى رتبها. وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية.

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول — أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أما بعد، وهو الأعلى. وتكون فى التقاليد خاصة.

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد. وتكون فى التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع. وقد مرّ القول على ذلك مستوفى فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة.

الأمر الخامس — وصفُ المتولّى بما يُناسبُ مقامه ومقامَ الولاية من المدح والتقريض . وقد مرّ القولُ على ذلك فى المقصد الأول من هذا الطّرف، فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصّة بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر فى الطّرة بعضُ الألقابِ التابعة للقبِ الأصليّ : من المقرّ والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المتولّى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيانه هناك . أما فى أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميعُ ألقابه ويعاد ذكرُ الأسم والدعاء المذكور فى الطّرة . وقد تقدّم ذكرُ الألقابِ مستوفى فى المقصد الأول من هذا الفصل فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السابع — وصيّة صاحب الولاية بما يُناسب ولايته . وقد تقدّم التنبيهُ على ذلك فى الكلام على مقدّمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاء لصاحب الولاية بما يناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من أسْتَصْغِرَ من المولّين لا يدعى له فى أوّل ولاية ولا آخرها، وربما قيل بَدَل الدعاء أو بعده : « والخيرُ يكون » .

الأمر التاسع — الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كلّ ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطرٍ منفردٍ .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدّم فى المكاتبات، فيكتب « كُتِبَ فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطرٍ تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلقى كاتب السر، كُتب في سطرٍ واحد « حسب المرسوم الشريف » . وإن كان برسالة الدَّوَّادار، كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر، ثم كتب في سطر تحته « برسالة الجنب العالي الأميرى، الكبيرى، الفلانى الدَّوَّادار، الناصرى » مثلاً . وإن كان بخط السلطان، كتب « حسب الخط الشريف » . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبرى الفلانية » في سطر، وكتب « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالية صاحبة الوزية الفلانية » في سطر، ثم كتب في السطر الثانى « مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها « صاحبة » . اللهم إلا أن يكون مرسومًا صغيرًا أو توقيعًا صغيرًا مما كُتب في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصة، فإنه إن كان بتلقى كاتب السر، كُتب المستند على حاشية التوقيع على سمت ما بين السطر الأول والثانى . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتب هناك « بالإشارة العالية » سطرين، على نحو ما تقدم فيما يكتب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدَّوَّادار، كتب على الحاشية هناك « حسب المرسوم الشريف »، ثم كُتب تحت التاريخ « برسالة الجنب العالي » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما فى المكاتبات، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يخلى بياضا، ثم يكتب « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

وأما الحَسْبَلَةُ ، ففي سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » على ما تقدم في المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع في كُتُب الولايات ، وله ستة مواضع :  
الأول — فيما بين الطُّرَّة والبسملة ، وهي ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطُّرَّة ، لا يتجاوز ذلك في مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسملة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجده أصلاً في اللغة . وقد تقدم القول عليها في المقالة الثالثة ، في الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط في سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ، على أن ملوك الروم يجعلون لكُتُبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها في الكُتُب الواردة عن صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة .

الثالث — بيت العلامة ، وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلي البسملة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسملة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتِب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من توقيعاتهم ، ثم تناقص قليلاً . فلمَّا غلَا الورق وقُصِّرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر<sup>(١)</sup> ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .



الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوعة .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوعين أو ثلاثة أصابع مطبوعات وما قارب ذلك .

## المهية الثاني

( في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع )

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل آت التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الافتتاح «الحمد لله» أو «أما بعد حمد الله» أو بـ «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة ... .. الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الابتداءات المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياع فضيلة المنشئين

(١) بياض بالأصل في غير نسخة ولعله «في فصل على حدة ليختار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكركم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التي تُورد مما كُتِب به في الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدّم لينسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإنشاء أخذ تجميعاً من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

### القسم الأول

( ولايات وظائف الديار المصرية ، وهي على نوعين )

#### النوع الأول

( الولايات بالحضرة ، وهي على ستة أضرب )

#### الضرب الأول

( ولايات أرباب السيوف ، وهي على طبقتين )

#### الطبقة الأولى

( ذوات التقاليد ، وهي ثلاث وظائف )

#### الوظيفة الأولى

( الكفالة ، وهي نيابة السلطنة بالحضرة )

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف المملكة في المقالة الثانية أن الكفالة هي أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأنّ النائب الكافل يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من النواب فإنّ كل نائب لا يعلم إلا على ما يختصّ بخاصّة نيابته . وقد تقدّم في مقدّمة الولايات أنّ لقبه «المقرّ الكريم» على ما استقرّ عليه الحال .

وهذه نسخةٌ تقليد بكفالة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشَّهاب محمود الحلبي  
رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذي جعل رُكْنَ الدولة في دولتنا القاهرة ثابت القواعد، على فرقد  
الفرَاقِد، راقياً في رُتَب العُلُوِّ الآخذة من أفق التأييد بالمطالع ومن نُطْق العزِّ بالمعاهد،  
حالياً بعُقُود المَهابة التي لا تزال لرُعيها على الأعداء طلائع خيل في المراقب وورائع  
خيال في المراقِد، حاوياً من أنواع المفاسخ ما لو كثرته الدَّرارى غدت وهي  
لمجموعه فرَاقِد، أو فاحرته الدَّرَر ثَقَّبَتها الأفكار النواقِد، مقلداً من سُيوف الظفر  
مالا تنبؤ في نُصرة الإسلام مَضاربه وكيف تَنبؤ وأوامرنا لعُقُود حمايلها على عَوَاتق  
مَجْدِه عَوَاقِد .

نحمده على نِعَمه التي عدَّقتْ أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها، وعقدتْ قواعد  
مملكتنا بمن يُوالى فضله أنوارها، وعصدتْ همم أوليائنا بمن إذا تخيلت أعداء الدين  
مواقع صوارمه كان أَمْنُ صُونِها إيسارها وأنفع سلاحها فرارها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرقُ الهمم، بلوأمعها، وتُسرف  
الكلم، بجوامعها، وتزكو الأُمم، بما تنقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها،  
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنُصر دينه، وألهمنا تفويض مصالح  
أمتيه إلى كلِّ وليٍّ ما رُفِعَتْ راية نُصر إلا تلقَّاها عِرابُهُ مجده بيمينه، وعَضَّدنا  
في جهاد أعدائه بأعزِّ صُنَى يُنوب بأسه للجيش عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب  
مقام كمينه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اختارهم لصُحبته وأرتضاهم،  
وأرْهَفَهُم لإقامة مَلَّتِه وأنتضاهم، فمنهم من فازَ بِمِزِّي سَبْقِه وتصديقه، ومنهم من  
كان الشيطان يُنكِّب عن طريقه، ومنهم من اختار الشهادة على الانتصار بفريقه

ورَفِيقَه ، ومنهم مَنْ أقامه بِشَرَفِ الأُخُوَّةِ معه مُقامَ شَقِيقَه ، صلاةً يَبْلُغُه إِخلاصُ مُقِيمِها ، وَيُعَرِّضُ عليه إِيمانُ مُدِيمِها ، وسلم .

أما بعدُ ، فإننا من حينِ أَوْرَثنا الله مُلْكَ الإسلامِ لَاعنِ كَلالِه ، وأَلْبَسنا فى مَواقِفِ الذَّبِّ عن دينِه حُلَّ العِزِّ المُعَلِّمةَ بِالْحَلالَةِ ، وممَّكَّنْنا فى أرضِه ، وأنهُضنا بِمُسُنونِ الجِهادِ وفَرَضِه ، ونَشَر دَعوةَ مُلْكنا فى طُولِ الوجودِ وعَرَضِه - لم نَزَلْ نرتادُ لِكفالةِ الممالكِ الإسلاميةِ من تَأوى مِنْهُ إلى رُكنٍ شديدٍ ، ورأى سَديدٍ ، وحَزَمٍ يَقربُ من مَواهِبِ النصرِ كُلِّ بعيدٍ ، وعَزَمَ إذا أُرهِفَ صَوارِمُه من أَدنى الصَّعيدِ ، وجَفَّ لَهولُ مَواقِعِها بابُ الحديدِ ، فهو المَطوى فى أَثناءِ ضَمائِرِنا وإن تَقَلدنا قَبْلَه سِواه ، والمُنوى فى أَحناءِ سَرائِرِنا وإِنَّمَا لَأمرى ما نَواه ، قد حَلَبَ قَدَمُ هِجرتِه ، الدَّهْرَ أَشْطَرَه ، وكتبَ حُسْنَ خِبرَتِه ، من عُنَوانِ السَّيرِ أَسطَرَه ، وتمثَّلتُ مرآةَ الزمانِ لِفِكرِه فاجتَلَى صُورَ الوقائعِ فى صَفائِها ، وتردَّدَتِ تِجارِبُ الأُممِ على سَمْعِه فَعَلِمَ ما يأتى وما يَذرُ فى تَركِها وأَقْتَفائِها ، وأستقبلَ دولةَ أسلافِنا الشَّريفةَ من فَوائِحِها : فكان لسانَ حَاسِنِها ، وبَنانَ مِياَمِنِها ، وخِزانةَ سَرِّها ، وِكانَةَ نَهْيِها وأَمْرِها ، وطليعةَ تَأْيِيدِها ، وذَريعةَ أولِيائِها إلى عَوارِفِها وجُودِها ، وعُنوانَ أَخبارِها ، وعِنانَ سَوابِقِها التى لا تُدْرِكُ ما تُرِّمُ من سَلَفِ شَقِّ غُبارِها ، ويمينَ قَبضَتِها المَصْرِفةَ بينَ البأسِ والنَّدى ، وأمينَ آرائِها المؤيِّدةَ بالتَوفيقِ اللّٰدنى على العِدا ، ورُكنَها المُشَيِّدَ بالأَسَلِ وهو ما تُبْنى عليه الممالكُ ، وحِصْنُها المَصْفَحُ بالصَّفاحِ فلا تَستطيعُ الأَهواءُ أن تَتَوَقَّلَ إِلَيه تِلْكَ المَسالِكُ ، وزعيمَ جِوشِها التى أَجْتَنَّتْ من قَصَبِ قَواضِيبِه ثَمَرِ النَّصرِ غيرَ مَرَّه ، ومَقَدِّمَ عِساكرِها التى أَجْتَلَّتْ به وجُوهَ الظَّفَرِ الحُلوةِ فى أَيَّامِ الكَريهةِ المُترة .

ولما كان المقر الكريم (الفلانى) هو معنى هذه الصفات المبهمة ، ومبنى هذه القواعد المحكمه ، وطرار حلال هذه الأحوال المعلمه ؛ وسر المقاصد الظاهره ، وسلك هذه [ النجوم ] الزاهية بل فلك هذه الدرارى الزاهره ؛ تخلق صواح البراعة ، فتقع دون أوصافه بمراحل ، وتغوص سواح البراعة ، فيلقبها العجز عن أستخراج درر نعوته بالسواح ، فأوصافه تذكر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها ، ومناقبه تشكر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووضوحها ؛ فلذلك اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقسح مجال الهدى ، بتفويض إيالة الممالك إليه ، وأن نقطع آمال العدا ، بالاعتماد فى زعامة الجيوش الإسلامية عليه ، وأن نقر عيون الرعايا بإلقاء مقاليد العدل والإحسان إلى يديه ؛ وأن نصون عقائل الممالك من مهابة بما يغدو سورا لعواصمها ، وسوارا لمعاصمها ؛ وشنباً تفتت ثغورها عن بروقه ، أو لها يقطع طريق أمل العدا عن تخيل خيالها فى طروقه ؛ ليعتضد الدين منه بركنه ، ويتغلب [ على ] الشرك فى حالتى حربيه ووهنه ، ويتقلب كل من رعايانا بين وهاد يمينه ومهاد أمنه - رسم بالأمر الشريف - لا زال ملكه على الأركان ، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصريه ، والممالك الإسلاميه ؛ على أكمل العوائد ، وأجمل القواعد ؛ تفويضاً تمضى أحكامه فى الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبُعداً وقرباً ؛ فلا يخرج منها شئ عن أوامره وأحكامه ، ولا يعدل فى سلمها وحربها عن حكمى سيوفه وأقلامه .

فليستقر فى هذه الرتبة العالية استقرار الأركان الموائت ، والأطواد اللوابث ؛ والأصول النوابث ، والنجوم الثوابث ؛ مؤثلاً قواعدها بأية السيد ورايته ، معوّذاً كالمها بسيف النصر وآيته ، مبتدئاً فى إعلاء منارها من العدل بأقصاه

ومن الإحسان بغايته ، مكثراً أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقرباً من مطامح النصر النائية كل بعيد ، مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفنًا لا يالْف<sup>(١)</sup> الغرار ، وسيقفا لا يعرف القرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون اضطلامه الفرار ، فلا تزال جيوش الإسلام بجميل تعاهده مزاحة العوائق ، منزلة العلائق ، لامانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ، قد أعدتها عزائمها ، فكل زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمه ، فهي لا تسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ، مقيماً منار العدل الذى هو أساس الملك ودعامته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، ونور الحصب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشراً له [فى] أقطار الممالك ، ماحياً بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ، معاضداً أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والاعتماد فى الحل والعقد عليها ، والاحتفال برفع منارها : فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ، مقدماً عمارة البلاد على كل مهم .

فإنها الأصل الذى تنفزع عنه المصالح على أفراقها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إيقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تعين الغيوت على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ، وآكد مصالحها الرفق الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما اتصف به ملك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، واقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حسن الاضطلاع وجميل الاطلاع ، واكتفينا بما فى خلائقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يزد لها على ما فيه من كرم الطباع ، والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ، إن شاء الله تعالى .

(١) الغرار النوم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا ، وهى :

الحمد لله الذى زان دولتنا القاهرة من حُسامِها بتقليده ، وصان حِمى ممالكنا الشريفة من أوليائنا بمن تغدو مواقعُ سيوفه من كل عدو قلائد جيده ، وزاد جلاله الملك بمن إذا ركب فى مواكب نيابته أورد جِداد رُعبه من كل مُتَوَج من ملوك العدا مناهل وريده ، وفوض تقدمة جيوشنا المنصورة إلى من تُضاعف مهابته فى عيون العدا عدد جنوده ، وتغزو سرايا خيله فى يقظته وتطلع عليه طلائع خياله فى هجوده ، وإذا صلت سيوفه فى موقِف وعى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله قبل ركوعه بسجوده ، مشرف أقدار أوليائنا من المراتب بما تشرف به أقدار المراتب فى نفسها ، ومفضّل أيام دولتنا على الدول بما ألفتَه من جلاله مُلكنا فى أمسها ، ومجمل سير أصفينائنا من المعدلة بما إذا غرسته فى قلوب الرعايا كان الدعاء الصالح ثمرة غرسها ، ومقلد خواصنا من إيالة الملك ما إذا خطبت به الأقلام على منابر الأنامل نقلت البلاغة فى تلك الأوصاف عن قسها ، ومفيض حلل الأنباء المرقومة بأسنى الرتب على من إذا زانت جبرها اللابس زانها بلبسها ، وإذا أشرقت به هالة المواكب لوغى سقطت فوارس ملوك العدا عن مراكبها وأضطربت الأسيرة بملوك فرسها ، وإذا كتمته الأعداء أنباءها نطقت السنة رياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى أسمع من صمها ولا أفصح من خرسيها ، وإذا تطاولت أبطال الوقائع للقائه أقرت ثغور سيوفه عن شنب النصر لإلفها بمعانقة الأعناق وأنسها .

نحمده على نعمه التى أعادت شرف أسمائنا إلى أسماع المنابر ، وأنطقت بمضاغفة الأنباء لأوليائنا السنة الأقلام فى أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حقوق مُلكنا الذى تلقيناه مع الأولية والألوية من أسلافنا الكرام كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها  
 ناهضة ، وجياد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راكضة ، ومواد نعمنا ونقيمنا لآمال  
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى  
 ايدته الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام  
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرغب الذى زحزح كل ملك عن سريه  
 وأنزل كل متوج من قصره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،  
 مأوف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأهوال والأخطار ،  
 وفتحوا بيمين دعوته ، ما أشتمت عليه المشارق والمغارب من الأرجاء الممتدة والأقطار ،  
 صلاة لا يزال سيف جهادنا لدوامها مقيماً ، وحكم جلا دينا لإقامتها مديماً ، وسلم  
 تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه ، وصرفت أمور الممالك بين بأسه  
 وإنصافه ، وحليت مواقف الخدمة الشريفة من جواهر مهابته ، بما هو جدير بحلى  
 السيف ، وزينت مجالس العدل من إيالته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى متزه عن  
 الظلم والحيف ، ومليت القلوب من محافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم  
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها  
 فى جنب ما تتوقمه من مواقع سيوفه السبي والإسار ، وعديق به من مصالح الأقاليم  
 ما يصرفه بيمين دأبها إيمان ويسار شأنها اليسار ، وفوضت زعامة الجيوش منه إلى همام  
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليث لو لم ينهض بألوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من  
 نفسه وحدها فى بحفل لحب ، ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضرغام  
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وثباته وأسودهم تقاد ، من لم نزل نعه فى أركان  
 البيت الشريف المنصورى بالخصاص ، ونعده للمواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد



اللهِ وَحْدَ السَّيْفِ نَاصِرٌ ، وَنَدَّخِرُهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَيْنَا  
بِأَمْكَنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَنَقْلُدُّ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ بَيْتُ  
الْعِدَا وَمَعَاقِلُهُمْ بِأَفْثِكَ حَاصِدٍ وَأَفْثَلِ حَاصِرٍ ، فَكَمْ مِنْ مَوَاقِفَ شَفَعَ فِيهَا الشَّجَاعَةُ  
بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبُهُ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعَ عَلَى قَلْبِهِ ،  
وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفِ تَفَرَّ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا  
فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالْقُلُوبِ تَفَرَّ مِنْ حُجْبِهَا ، وَلَيْسَ قَطْعُهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَضْحَبْ  
غَيْرَ أَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ شُهُبِهَا ، وَمَقَاصِدِ الدِّينِ بَلَّغَهَا وَالسَّهَامِ لَا تَحْمِلُهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ  
النُّسُورِ ، وَسَرَايَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِدَا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شَجَاعَتِهِ بَسُورٌ ، وَبِحَارِ  
حَرْبٍ لَمْ تَنْجَسِ السَّوَابِغُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ سَيُوفِهِ قَنَاطِرَ  
وَمِنْ مُقَوِّمَاتِ ذَوَابِلِهِ جُسُورٌ ، وَكَمْ أَنَا مَ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ عَدْلِهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفٌ ظَالِمٌ  
فِي الْكِرَا ، وَلَا رَوْعٌ سَرَّ بِهِمْ خِيَالٌ مُغِيرٌ أَوْ هَمَّهُمُ السَّرَى ، بَلْ كَانُوا مُحْفُوظِينَ  
بِمَهَابَتِهِ مُحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادْعِيْنَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَّجَا عَلَيْهِمْ لَيْلُ خَطْبٍ إِلَّا أَطْلَعَ  
لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَاهِهِ .

وَمَا كَانَ (فُلَانٌ) هُوَ الَّذِي سَارَ بِذِكْرِ مَهَابَتِهِ الْمَثَلِ ، وَصَارَ لَهُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ  
مِنَ الرَّعْبِ مَا تَشَابَهَ فِيهِ الْقَاتِلَانِ الْوَجَلَ وَالْحَجَلَ ، وَجَمَعَ مُحَاسِنَ الصِّفَاتِ فَمَا أَخَذَ  
عَنْهُ أَوْ نَطَقَ بِهِ أَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ إِلَّا وَجَدَ (مِلَّةَ الْمَسَامَحَةِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ) ، وَلَا جَرَدَ عَلَى  
الْعِدَا سَيْفًا إِلَّا وَوَدَّعَتْ أَرْوَاحُهُمُ الْأَجْسَادَ ، وَلَا أَرْهَفَ فِي مَجَالِسِ الْعَدْلِ  
وَالْإِحْسَانِ قَلَمًا إِلَّا وَضَمِنَتْ لَهُ الْآجَامُ الَّتِي نَشَأَ بِهَا (كَرَمُ السُّيُولِ وَسَطْوَةُ الْآسَادِ) ،  
وَلَا طَلَعَ فِي أَفْقٍ مَوَازٍ إِلَّا وَهَالَتْ الْعِدَا هَالَةً بَدْرَهُ ، وَدَلَّتْ عَلَى عِظَمِ سُلْطَانَتِهِ  
رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِحُسْنِ طَاعَتِنَا أَمْرَانَا لِأَمْرِهِ ، وَأَسْلَفَ مِنْ خِدْمَةِ  
وَالِدِنَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ مَا لَمْ تَزَلْ لَهُ بِهِ عِنْدَنَا حَقُوقٌ مَرَعِيَّةٌ ، وَسَوَابِقُ مَرْضِيَّةٍ ،

ورتبةُ تقديمِ سنيّه ، ومزينةُ تقريبِ جعلته مُشاهداً بالعيان مقدّما في النيّه - آقتضتْ  
 آراؤنا الشريفةُ أن نُروّع العدا بسيفه ، ونُزيهم من تقدّمته على الجيوش يقظةً  
 ما كانوا يرونه حُلماً من طيفه ، وليعلم الأعداء معاجلة أخذهم بالعنف والحيف ،  
 وأننا لا تأخذنا في الله لومة لائم فليس بيننا وبين أعداء الله ورسوله ( صلى الله عليه  
 وسلم ) إلا السيف .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت ممالك الإسلام به مُفتّرة المباسم ، عالية  
 مدى المهابة إذا طرقتها عواصف رياح العدا وقفتْ دُون بلوغها دامية المتاسم -  
 أن تُفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية على العادة في ذلك  
 والقاعدة تفويضاً يفيض على الممالك حُلّ المهابة ، ويسلب أعداء الدين رداء  
 الأمن فلا ينفعهم الخضوع ولا الإنابة ، ويضعف لنا أدعية الرعايا الصالحة بإجرائهم  
 على ما ألقوه من العدل والإحسان فمنهم الدعاء الصالح ومن كرم الله الإجابة .

فليتقلّد هذه الرتبة الدالة على ارتفاع قدره لدينا ، الشاهدة له باحتفالنا بما أوجبه  
 إخلاصه من حقوق الطاعة والولاء علينا ، المنبهة على أنه سيفنا الذي نصوص الممالك  
 بحدّه ، ونصوّل على العدا بمضائه الذي تهلّل وجوه النصر كلما أسفر من غمّده ،  
 وليستقرّ في ذلك نافذاً في المصالح الإسلامية أمره ، مُغيّراً على جيوش الأعداء  
 ذكره ، معمّلة في حماية الدين بيضه المُرّهقة وسُمره ، مجلّة بإشراق طلعتة مطالع  
 المواقب ، مسيرةً نجوم أسنّته إلى قلوب أعداء الدين مسير الكواكب ، مُحفّقةً  
 مُحفّوق رايته مساعي الكفر الصادرة عن آمالهم الكواذب ، :ليعلم عدوّ الله أنه أشدُّ  
 طلباً له من أجله ، وألزم لعنقه من عمله ، وأسبقُ إليه من رجّع صوته ، وأنزل عليه  
 من مفاجأة موته . وليجمل النظر في مصالح الجيوش الإسلامية بما يضعف عدتها ،

ويبقى على توالى الأحقاب حداثتها وجديتها، ويأخذهم بإدامة التترن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب، ويعين كلاً منهم بملاحظة حاله على استدامه قوته وإمكانه، ويجعلهم بالآقتباس من شجاعته من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الانقياد إلى الأحكام دافعا، وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه أخذا، ولمن لم يسلك الأدب بين يدي حكامه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذى يوم منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الشُّغور الإسلامية وحمايتها فكرا لم يختر دعة ونظرا يأنف أن يألف نوما، وملاك الوصايا تقوى الله وهى من خصائص نفسه الكريمه، وراحة رُوحه التى هى للفكر فى مصالح الإسلام مديمه، فليجتهد فى المحافظة عليها ما أستطاع، ويمض بها فى مصالح الإسلام أمره الذى جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كُتِبَ به عن السلطان الملك أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طُغْزُدمُر أمير مجلس، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة فى دولة أبيه الملك الناصر عدة سنين، وهى :

الحمد لله الذى أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا فى رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلاب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فلتأيد بها بقيامه دوام ولتشيدها باهتمامه استصحاب، وشفى الصدور بصدور إشارته المباركة التى لها بأوامرنا العالية اقتران ومن ضمائرنا الصافية اقتراب، وأوفى له من برنا العميم بحقه

الذى [ له ] بعهدہ استحقاقٌ للتقديم وإيجاب ، وسبقہ القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرمُ أئشاج ومن حميد المظاهرة ألزمُ انتساب .

نحمدہ على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسُبُل الصواب ، ونشكره على أن نضر راياتنا فى الآفاق : فلقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً منزّهة عن الشكّ والارتباب ، موجهةً إلى قبلتها التى ترضاها الألباب ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظفر عزّمه بالثبات وقهر خصمه بالتّباب ، ووقر قسمه من الإنجاد ويسر حزبه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلاً فى الأفواه ذكّره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاةً متصلةً الأسباب ، موصلةً إلى خير مآلٍ متكفلةً بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولتقرب وفودها ورود إلى مظانّ الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بحر ندى زاحر العباب ، وجدّد قيامنا بعلم هدى مرّت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فُتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من أعتمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وأنجبنا فيما أردنا من الاستصحاب للصّلاح بإعانتة ، وأعتضدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصياليته وصيانيته ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكتفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بنخشيته من ربّه واستكانته - من حُدّت سجاياه ، وتعدّدت مزاياه ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضائاه ، ووجدت منه الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ، فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلق الله وأبطنه ، فهو عاضد السلطنة الذي حل من العلياء موطنه ، وكافل الملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ، وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية الصولة ، ومن له أشتمال على العليا ، ومن يقارن التحقيق له رأيا ، ولا يباين التوفيق له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعاين الورى لسلطاننا المنصور منه مهديًا يجمل لدولتنا حفظا ويحسن لملكنا رعايا .

وكان فلان هو الذى لم يزل متعين المحاسن ، متبين الميامن ، متمكن الرئاسة في كل الأماكن ، فحلمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع النفاسة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائين ، ورعيه للخلق بالحق : القوى منه خائف والضعيف إليه راكن ، وبشره هاد للرأي وباد للعائن ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ، حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بذره الكامل ما هو في سر الغيب كامن ، وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهابة في كنف منيع وحرم آمين .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد بضع سنين ، وأنقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها ضنين ، ولا وطيت لها ربوة ، ولا أمتطيت لها صهوة ، وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطته ممتزجه ، إلى أن قضى عاياه الرضوان النخب ، وأفضى من الجنان إلى الحلل الرحب ، رأينا بعده بمن كان يتحقق وده أن نستأس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص يَغرس ، وأفضينا إليه بالمناب عنا لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الاستئثار بمجالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا ينهبهم عليه شئ من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء وديعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإيفاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للنسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لازل يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفترده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سَفَاح السِّيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ، ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرفقة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بأن يخص أصحاب محمد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة محيطه ، كاملة بسيطه ، تعنى كل أمير ومأمور ، وتدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسرور ، برّاً وبحراً ، وسهلاً ووعراً ، غوراً ونجداً ، بعداً وقرباً ، شرقاً وغرباً ، وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدخر لسلطاننا المنصور ويحجى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمناً ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ، ويؤمل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منه ويره ، ناظراً فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائراً فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ، ناشراً ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهراً بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصف يُسنى ، وثيق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يعان وبالمحامد يعنى ، فلسنا نخجل بالوصية التي نعلم أن له عنها استغنا ،  
ولكننا لا نترك بها التبرك ولا ندع ماسن الله تعالى منها وشرع ، ولا نُغفل ، ما يجب به  
أن يحتفل ، فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره  
المسموع كل ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنابته ، فقد أولاه الله تعالى كل جميل  
قبل أن ولّاه ، وحلّاه بالسّات والمكرّمات قبل أن رفع علاه ، وأعطاه ما أَرهَب  
العدا من سَطاه ، وهداه إلى كل رُشد تأتم به الهداه .

فأهم ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقى بالقبول .  
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ،  
والجهاد : فعزائم في ميدانه تجول ، وصوارمه بها من قراع فرسانه فلول . والزعماء  
والأكابر فلهم من محافظته اعتناء وبملاحظته شمول . والعساكر الإسلامية فتأبده  
تبطش أيديهم بالعدا وتصول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظل رحمة إيواء وبكنف  
نعمته ظلول . وممالك الإسلام فما منها إلا معمور بما أوتته كفالته مأهول ، ونغوره  
فكلها بسام بفتكاته التي ألقى رعبها في البحر فهو بين كل فاجر وبين البحر يحول ،  
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، ومحله المقدم لأنه أهم الأصول : من إكرام  
الحكام ، وإبرام الأحكام ، وأستيفاء الحدود ، وأقتفاء السنن المعهود : من إنجاز  
الوعود ، وإحراز السعود ، والإجهاز على كل كفور وجحود ، والاحتراز من فظاظة  
الناس بإفاضة الجود ، فكل ذلك على خاطره مشرود ، ولما آثره مؤرود ، وفي ذخائره  
موجود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وعن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع  
أمرنا هذا جميع الأمراء والجنود ، وليرجع إليه كل من هو من جملة الملة معدود ،  
وليقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ، ساعة الوقوف عليه وحالة  
الورود ، والله تعالى يصلح ببقائه الوجود ، ويمنح باهتمامه المقصود ، ويفتح المعقل



باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مصدود ، بل يصبح الكفر من خوفه محصورا ويمسى وهو بسيفه محصورا ، والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى " التعريف " قال :

يُوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاذة حكامها ، واستخدام السيوف لمساعدة أقلامها ، وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ، والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ، والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سكانها ، ومعاذة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ، وتحسين مآلديه ، وتحسين كل ما أمره إليه ، واستطلاع الأخبار والمطالبة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ، وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قتل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

### الوظيفة الثانية

( الوزارة لصاحب سيف )

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِ لِقَبُ الْوِزَارَةِ فِي الْإِسْلَامِ "أَبُو حَفْصٍ الْخَلَّالُ" وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ أَوَّلُ خُلَفَائِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ الْقُضَاعِيُّ<sup>(١)</sup> فِي "عَيُونِ الْمَعَارِفِ" فِي أَخْبَارِ الْخُلَائِفِ "ثُمَّ صَارَتِ الْوِزَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ

(١) أى خلفاء العباسيين .



والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيفٍ وتارةً يليها صاحبُ قلمٍ ، إلا أنها في أرباب  
الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن.  
ومما يَنبّه عليه أنَّ الوزير إذا كان صاحبَ سيفٍ ، كان في مجلس السلطان قائماً  
في جملة الأُمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلمٍ ، كان جالساً كما يجلس أرباب  
الأقلام : من كاتب السرِّ وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأُمير سيف الدين بُكْتُمُر . وهى :  
الحمد لله الذى شدَّ أزرَ دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بأَمْضى سيفٍ ، وعَضدَ أياْمنا  
الزاهرة ، من أَصفيائنا بأَعدل وَلِيٍّ لا يوجَدُ فى حكمه حَيْفٌ ، وعَدَقَ تديرَ أمورِ  
ممالكنا الشريفة بمن تَحجُبُ مهابتُه ذوى الأطماع الطامحة عَمَّا لا يُحِبُّ فلا يُلم بهم فيها  
خاطر [ولا] يطرقهم بها طَيْفٌ ، جاعِلِ التأييدَ لآرائنا مصاحباً ، والتوفيقَ موافقاً  
لأوامرنا التى لا تُهْمَلُ من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدعُ من مهمات الملك واجباً ،  
والإقبالَ تالياً لمراسمينا فى ارتياد من يغدو قلبُ الحَقِّ من حَيْفه سائِناً وقلبُ المبطل  
من خَوْفه واجباً ، واليَمْنِ تابعا لاستخارتنا فى انتخاب من لم يزل فى خدمتنا الشريفة  
للأدعية الصالحة جالِباً ، ولمنافع الإسلام والمُلك طالِباً ، ولمضارِّهما حاجِباً .

نحمده على نِعَمه التى عَضدت أياْمنا بمن جمعت أدواته ، رتبتى السيف والقلم ،  
وعَدَقَت تديرَ ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، مزيتى العلم والعلم ، وشدَّ أزرَ دولتنا  
بمن يَبْيِضُ بمعدلاته من صحائف أياْمنا ما هو أحبُّ إليها من حُرِّ النعم .

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُعدها للقائه ، ونتيَمَّن بها  
فى افتقاده من نعتِضدُ به فى مصالح أهلها وانتقائه ، ونقدِّمُها أمامَ كلِّ أمرٍ ندَّخره  
لأَعْتلاء وَليِّنا بالتقى وارتقائه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله إلى الأُمم

طُرّا، وخصّه بالأمة التى جعلَ أمارَة سبقها إلى الخيرات أنْ غَدَتْ مَحْجَلَةً غُرّاً ،  
وأَيَّدَه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أعرَضَ عن زُحُوفِ الدنيا وإنْ كان  
حُلُوا وقال الحقَّ وإنْ كان مُرّاً ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الذين وَلَوْ أُمّتَهُ  
فَعَدَلُوا ، والذين تَمَسَّكُوا بِسُنَنِ سُنَّتِهِ فما حَادُوا عنها ولا عَدَلُوا ؛ صلاةً لا تَرَالُ الألسُن  
لإقامتها مُدِيمَةً ، والقلوبُ لإدامتها مُقِيمَةً ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنْ أُولَى منْ أُبْرَزَتِ الضمائرُ فى الاعتضادِ به مَكُونُ طَوِيَّتِهَا ، وأَعْتَمَدَتِ  
الخواطرُ ، فى تصرّيحِ علانيّتها بأولويّته لمصالح الإسلام على نيتّها ، وتَشَوَّفَتِ البلاغةُ  
لرقمِ مَفَاخرِهِ ، وتنافستِ المعاني فى تخليدِ مآثرِهِ ؛ وهَنَّتِ المعدلةُ نفسَهَا ، برافعِ لوائِهَا ،  
وأبَدَتِ الدولةُ أنْسَهَا ، بناشِرِ برّها فى الأقطارِ وآلائِهَا ؛ وأَفْتَرَتِ ثغورُ الأقاليمِ المحروسةِ  
بمن تَلَهَّجَ بمصالحها ألسنةُ أعلامِهِ ، وأَخْضَرَتِ رُبى آمالِ الأولياءِ بما يُسْفِرُ عنه من  
تهلُّلِ بهاءِ غُررِ أيامِهِ ؛ مَنْ هَزَزْنَا منه لمصالح الإسلام سيفاً يصلُ ما أصرَّ اللهُ به أنْ  
يُوصَلَ ، وَيَفْصَلَ منْ مهمّاتِ الممالك ما يقتضى الحقُّ أنْ يُفْصَلَ ؛ وَيُبْرَزُ منْ معادنِ  
العدلِ والإحسانِ ما هو فى سِرِّ خلائقِهِ كامنٌ ، وَيُنْزِلُ منْ أَسْتَقَامَتِ سيرَتِهِ فى الحِمَى  
المُخَصَّبِ والحَرَمِ الآمنِ ؛ وَيُصُونُ الأموالَ بِمَهَابَتِهِ فلا تَمْتَدُّ إليها هَوَاجِسُ الأَطْطَاعِ ،  
ولا تَتَجَسَّرُ أَبْصَارُ غيرِ الأُمْنَاءِ أنْ تَقْصُ نَبَأَ رُؤْيَيْهَا على الأَسْمَاعِ ؛ وَيُضَاعِفُهَا بِخَبْرَتِهِ  
التي تَهْدِيهَا الأمانةُ إلى مَعَادِنِهَا ، وتُدْهِمُهَا الزَاهَةُ على مواطنِهَا ، وتُبْدِي لها ظواهرُ  
الأعمالِ أسرارَ بواطنِهَا ، وَيُعَمِّرُ بيوتَ الأموالِ بِعمارةِ البلادِ ، وَيُثْمِرُ فروعَ الطّوارِفِ  
منْ مصالحِهَا بِحِفْظِ أصولِ التّلاذُّبِ ؛ وَيُكْفِ أَكْفَ الظلمِ عن الرعايا فلا يَخْشَى مُحِقُّ  
على حَقِّهِ ، ولا يَخَافُ مُسْتَقِيمٌ على ما قُسِمَ له منْ رِزْقِهِ ؛ ولا يَطْمَحُ قَوِيٌّ إلى منْ  
يَسْتَضْعِفُ جانبَهُ ، ولا يَطْمَعُ باغٌ فى الحيفِ على أَحَدٍ مَخَالِطُهُ فى نَسَبِ كانْ أوْ مُجَانِبِهِ .

ولما كان الجَناب العالى ( الفلانى ) هو الذى أُشِيرَ إلى مَنَاقِبِهِ ، وأَعْتَصِدَ مِنْهُ  
بمطِيعِ اللَّهِ فى السِّرِّ والْعَلَنِ ومِراقِبِهِ ، وفُؤُضَ تَدْيِيرُ المَمَالِكِ مِنْهُ إلى مَنْ لا تَأْخُذُهُ  
فى الحَقِّ لَوْمَةُ لائِمٍ ، وأَعْتَمَدَتْ أَيْامُنَا الزَّاهِرَةُ مِنْهُ عَلَى مَنْ طَالَمَا سَرَى فى مِصَالِحِهَا  
على جِيَادِ العِزَائِمِ ، وشَدَّ أَرْزَاقَ المَلِكِ مِنْ مِوَارِثَتِهِ بِمَنْ يَكْسُو دَسْتَ الوِزَارَةِ أَهْبَةً  
وجَلَالًا ، وَيُلْبِسُ مَنْصِبَهَا سَنًا لو مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ مَارَامَتْ عَنْ بُرُوجِ شَرَفِهَا أَنْتَقِلَا ،  
وَيَمُدَّ عَلَى الرِّعَايَا لَوَاءَ عَدْلٍ لا يُقَلِّصُ لَهُ هَجِيرُ الظُّلَمِ كَمَا تَتَقَلَّصُ الظُّلَالُ ظِلَالًا ، وتَطْلُعُ  
بِهِ شَمْسُ الأَرْزَاقِ عَلَى أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا لَكِنْ لا تَرْتَبُّ كَالشَّمْسِ غُرُوبًا ولا زَوَالًا ،  
مَعَ مَهَابَةِ تُخَيِّفُ الأُسْدَ فى أَجْمَاطِهَا ، وَمَعْدِلَةٍ تُعِينُ الْغِيُوثَ عَلَى رَفْعِ حُمُولِ البِلَادِ  
وَدَفْعِ أَرْزَاقِهَا ، وَدِيَانَةٍ زَانِهَا التَّقَى ، وَخَبْرَةٍ صَانِهَا الْوَرَعَ وَهُمَا أَفْضَلُ مَا بِهِ يُرْتَقَى .

وكانت الوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ نِظَامَ المَمْلَكَةِ وَقِوَامِهَا ، وَذِرْوَةَ الدَّوْلَةِ وَسَنَامِهَا ، وَتَاجَ  
الْمَرَاتِبِ وَإِكْلِيلِهَا ، وَعَتَادَ الخِزَائِنِ الجَامِعِ دَقِيقَ المِصَالِحِ الإِسْلَامِيَّةِ وَجَلِيلِهَا - أَقْتَضَتْ  
أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُرَيْنَ هَذِهِ الرِّتْبَةُ بِجَوْهَرِ فِرْنَدِهِ ، وَأَنْ يُصْدَرَ مَنْصِبُهَا عَنْ مَنَاقِبِ  
لا تُصْدَرُ إِلَّا عَنْ جِهَتِهِ وَمُفَاخِرَ لا تُرَدُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنْ يُطْلَقَ فى مِصَالِحِهَا قَلَمُهُ ،  
وَيَمُضَى فى قَوَاعِدِهَا إِشَارَاتِهِ وَكَلِمَتُهُ ، وَيُطْلِعَ فى أَفْقِهَا شَمْسَ تَدْيِيرِهِ ، وَيُعَدَّقَ بِهِ  
مَا يَرَاهُ فى أُمُورِهَا مِنْ صَغِيرِ الأَمْرِ وَكَبِيرِهِ ، وَأَنْ نَجْعَلَ مَسَامِعَ الأَقَالِمِ عَلَى سَعَتِهَا إِلَى  
أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ مُصْغِيَةٍ ، وَأَنْ نَصُدَّ بِسُمْعَتِهِ عَمَّنْ بَعْدَ عَوَارِضِ الإِهْمَالِ المَلْهُمَةِ  
وَمَوَاقِعِ الإِهْمَالِ الْمُطْغِيَةِ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازالت سحائبُ بَرِّهِ مُسْتَهْلَةً ، وَرِكَائِبُ المِحَامِدِ إِلَى  
حَرَمِ نِعَمِهِ مُهْلَةً - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ الوِزَارَةُ الشَّرِيفَةُ بِالمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ  
القَوَاعِدِ ، وَأَجْمَلِ العَوَائِدِ ، تَفْوِيضًا يُعْلَى مَرَامُهُ ، وَيُمُضَى مِضَاءَ أَلْسِنَةِ الأَسْنَةِ أَقْلَامُهُ ،

ويُسْطُ في مصالح الأقاليم المحروسة يده ولسانه ، وياقى إليه من مهمات كل قطر  
أزمته ليصرف على ما يراه من المصالح عنانه .

فليستقر في هذه الرتبة الانية استقرار الدرر في أسلاكها ، والدراى في أفلاكها ،  
نافذ الأمر في مصالح شرفها وغربها ، مطاع القول في بُعد أماكنها منه وقربها ،  
ناشر كلمة العدل في أرجائها ، محققا بالإحسان آمال أم قصرت على كرمنا ممدود  
رجائها ، معليا منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة  
وأحكامه ، حافظا أقدار الرتب بأكتنائها ، معتمدا على ذوى البيوت المحافظين على  
اتباع سير أسلافهم وأقتنائها ، معولا على ذوى الخبرة التامة مع الديانة ، مراعىا  
مع ظهور المعرفة جانب العفة والزاهة والصيانة ، موكلا بمصالح بيوت الأموال  
والخزائن المعمورة مواد الأموال ومعينها ، صارفا إلى عمارة البلاد جميل تدبير تعاضد  
البحار والسحب منه بمساعدتها على رى الأرض ومعينها ، ميسرا مواد أرزاق خدام  
دولتنا القاهرة وأوليائها بجميل بشره وحسن روائه ، مسهلا مطالب أرباب الرواتب  
والصدقات بطلاقة وجه لو تأمله أمرؤ صاى الجوانح لأرتوى من مائه ، ليتوفر<sup>(١)</sup>  
أهل الوظائف على خدمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويناضل عنها الفقراء بسهام<sup>(١)</sup>  
الليل التي لا تطيش إذا طاشت النبال ، فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا  
فليكتب يمثّل ، وليقل في مصالحنا بما يراه يسر كلامه سرى الرياح ويسر قوله  
سير المثل ، ولا يمتص عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ، ولا رفع ولا خفض ،  
ولا إبرام ولا نقض ، إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطه وعبارته .

وفي سيرته السريه ، وديانته التي هى من أسباب الهوى عريه ، ما يغنى عن وصايا  
تعالى على فكره ، وقواعد تجلى على ذكره ، وملاكها تقوى الله : وهى من أخص

(١) المراد دعوات السحر كما لا يخفى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأُمور الرعايا وإنصافه ؛  
 لكن على سبيل الذِّكْرِ التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجى  
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يُعلي قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين  
 وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والاعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة الثالثة

(الإشارة ، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يُعهد بها كتابةً في الزمن القديم)  
 وهذه نسخة تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاشي إستاندار  
 في الدولة الناصرية فرج ، حين فوّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ،  
 وكتب له به المقر الشمسي العمري كاتب الدست الشريف ، في شعبان سنة تسع  
 وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جدّد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفيّة رونق جمالها ، وأعزّ جانبها  
 بأجل عزيز ملأت هيبتّه الوافرة فسيح مجالها ، وأسعد جدّها بأسعد مشير أدارت  
 آرائه الصائبة متقاعس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد  
 حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق في ظلالها ، وأجاب سُؤلها بأكمل  
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال في مطالها .

نحمدّه على أن أغاث الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإمحال ربّعها ، وطال  
 بطوله بعد القصور فرّعها ، وحسن في المناظر بحسن تأتيه لدى التأمل ينّعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع المشورة وحثّ عليها ،  
 وعدّق أمور السيف والقلم بها فردّها عند اختلاف الرأي إليها ، شهادة ترفع قائلها إلى  
 أسنى المراتب وتُعليه ، وتقرب المخلص في اتّحائها من مقام الاستخلاص وتُدنيه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ورد وارء الأمة من منهل شرعته المطهرة  
مأءب مشرعه ورءا وصءرا ، وألتقطت السائرة أحاءىء فضله فصيرءها للرفاق  
سمرأ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تقيلوا مسأحب أءياله فى العءل فعءلوا ،  
ولزموا منهج سءنه الواضح فىأ أاءوا عن سواء السبيل ولا عءلوا ، صلاةء تفوق العء  
أصرا ، وترفع بركاؤها عن الأمة أصرأ وتبءل العسريئرا ، فتعيد عأاف الزمان  
سمأنا وسنبلاء الوقت بعء اليئس أصرأ ، وسلم تسلما كثيرا .

أما بعء ، فإن للمملكة قواعد تبنى عليها ، وأركانا تستند إليها ، وءعاءم يشء  
بالأعتضاء بها بئانها ، وعمءا يعتمد عليها فى المهماء سلطأنها ، وهذه المبأى وإن  
أأسع نطاقها ، وأمتء بامتءاء المملكة رواقها ، فإن بالسيف والقلم قوامها ، وبالتعلق  
بأبالها بقاءها وءوامها ، إء كانا قطبين عليهما مءار فلأها ، ونقطتين عنهما ينشأ  
الخط المستقيم فى ءءير ملكها ، وزعيمين يترافع إليهما عنء التخاصم ، وأكمين يرجع  
إلى أأكمهما عنء الأأام ، إلا أنهما لا يستقلان بأنفسهما عنء الأأالف ، ولا يقوم  
أأءهما برأسه لءى الأأالف ، بل لهما إمام يرجعان إليه ، ويعولان عنء أضطراب  
الأمر عليه ، وهو الرأى الذى لا يقطع أمرء ءون أأه ، ولا يهءى سار فى مهمائه  
المهماء إلا بأأمه ، إء كان على الشأاعة مقءما ، وءليله من المعقول والمنقول  
مسأما ، والأأسم به لا يزال عنء الملوأ مبألا معظما ، لا يقءمون عليه ولءا ولا الءا ،  
ولا يؤثرون على معاضءته عضءا ولا ساعءا ، إن أأار برأى أمسك الملك منه بأأبل  
المئين ، أو أأضه كلام نصأ قال : ((إنك اليوم لءينا مكين أمين)) .

ولما كان أأأاب العالى ، الاميرى ، الكبرى ( إلى آخر ألقابه ) يوسف  
الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى أأأه الأأارب و«ألب الءهر

أَشْطَرَهُ» ، وَعَرَفَ بِتَقْلِيلِ الْأُمُورِ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ مَجْبَرَهُ ، مَعَ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ ، وَالْفِكْرِ الذِّى إِذَا أَبَدَتْ قَرِيحَتُهُ فِي الْارْتِيَاءِ عَجَبًا أَتَتْ فِطْرَتُهُ السَّلِيمَةَ بِالْعَجَائِبِ .

هَذَا وَقَدْ عَلَا فِي الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَقَامُهُ ، وَرَشَقَتْ أَغْرَاضُ مَقَاصِدِهَا بِانْقِضَاءِ الْأَجَالِ فِي الْوَقَائِعِ سَهَامُهُ ، وَسَاسَ الْعَسَاكِرَ فَأَحْسَنَ فِي سِيَاسَتِهَا التَّدِيرَ ، وَبَذَلَ فِي تَفَقُّطِهَا الْأَمْوَالَ فَمَالَ فِيهَا إِلَى الْإِسْرَافِ دُونَ التَّقْتِيرِ ، وَاسْتَجَابَ الْخَوَاطِرَ فَأَخَذَ مِنْهَا بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ، وَاقْتَادَ النُّفُوسَ الْأَبْيَةَ قَهْرًا فَأَطَاعَهُ مَنْ بَيْنَ الشَّامِ وَالْجَنُوبِ ، وَقَامَ مِنَ الْمِهْمَّاتِ الشَّرِيفَةِ بِمَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ ، وَأَتَى مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي التَّنْفِيزِ بِمَا لَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ لَاحِقٌ ، وَبَادَرَ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَصَالِحِ فَرَتَّبَهَا وَلَمْ يَعْقُهِ فِي اتِّهَازِ الْفُرْصَةِ عَنْ دَفْعِ الْمَفَاسِدِ عَائِقٍ ، وَأَخَذَ فِي حَطِّ الْأَسْعَارِ فَوْرَدَ مِنْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ صَافِيًا ، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ الْمُعَامَلِينَ فَكَانَ لَهُ عَمَلًا عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ بَاقِيًا ، وَلَا زَمَ بَعْدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى رِضَا مَلِكِهِ فَفَازَ بِأَشْرَفِ الْمَآثِرِ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ ، وَتَأَسَّى فِي تَعْرِيفِهِ بِنَفْسِهِ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : « أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ تَنْوِينًا بِذِكْرِهِ ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذِهِ الرِّتَبَةَ فَحُجِبَ دُونَهَا « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ » .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُودِ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، النَّاصِرِي ، الزِينِي - لَا زَالَ يَجْمَعُ لِأَوَّلِيَّائِهِ شَمْلَ الْمَعَالِي ، وَيُرَقِّي أَصْفِيَاءَهُ فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَى الْمَشَارِإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ أَسْنَى الْمَقَامَاتِ وَأَعْلَاهَا ، وَأَقْصَى الْمَرَامَاتِ لَدَيْنَا وَأَغْنَاهَا ، مَعَ مَا أَنْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْوِزَارَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا ، وَعَلَا فِي الْمَنَاصِبِ ذِكْرُهَا ، وَالْخَاصُّ الَّذِي آخِطَ بِمِهْمَاتِنَا



الشريفة ، والديوان المفرد الذى غمّر من ممالكنا السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة ، وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً ، ولوازمها المنترقة بعداً وقرباً .

فليتلقّ مافوض إليه بيمينه التى طالما ربحت فى الطاعة صفقتها ، ويقابلّه بالقبول الذى محلّه من القلوب مهجتها ، مقدّماً تقوى الله تعالى فيما خفى من مقاصده وظهّر ، مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويذرّ ، معتمداً فى المصالح اعتماد ذى اليقظة الساهر ، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل : « كم ترك الأول للآخر » .

والوصايا كثيرة ومن بحره تُستخرج دُررها ، ومن سوابق آرائه تُستوضح أوضاعها وغررها ، والله تعالى يُديم عليه نعم إقبالنا الباطنة والظاهرة ، ويتولاه من العناية بما يحقق له دائم قوله : ﴿ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

### الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع ، وفيها وظائف)

### الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)  
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خدمتنا الشريفة كريم الخلال ، ومُعَلّي درجة من أضفى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجدّد نعم من لم يخصّه اعتناؤنا بغاية إلا رفته هممه فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر فى قرب

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكا لنسبة القول الى منشئه كما يأتى فى نظيره بعد .



الملوك السالفة إلّا مَنْ لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلّا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الخوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهلها التي لا تبحر  
تستعمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسدّد آراءنا في تفويض القرب  
إلى مَنْ إذا باشرها سرّ بسيرته السريّة مستحقّها وواقفها .

ونشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ،  
وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أدائها  
بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أنّ محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود  
في السّنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربةً فإنّه بعدها لا يظمأ ، المنصوص  
على نبوته في الصحف المنزلة وبشّرت به الهوائف ثرا ونظما ، صلى الله عليه وعلى  
آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرتب الفاخرة ، وحازوا بالإخلاص في محبته ،  
سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلبّوا على  
خدع الدنيا الساحرة ، صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب  
والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقّها بتوفير الفكر على اعتباد مناهجها  
واعتقاد مناهجها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور  
(قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن  
الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أنّ ذلك من أنفس الدخائر التي أعدّها بين  
يديه ، وحلّ منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سريرته إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمر بها مواطن العبادَة في يوم سَلَمِهِ بعد أن عَفَى بها مَعَاقِلَ الكُفْرِ في يوم حَرْبِهِ ،  
وأقام بها منارَ العلوم فعلا مَنَالُهَا ، وأعدَّ للضُّعْفَاءِ بها من موادِّ البرِّ والإِطَافِ مَالُو  
تَعَاظُمَتِ الأَغْنِيَاءُ قَصُرَتْ عَنِ التَّطَاوُلِ إِلَيْهِ أُمُوالُهَا ، وأن نَرْتَادَ لَهَا مَنْ إذا فَوَّضْنَا إِلَيْهِ  
أَمْرًا تَحَقَّقْنَا صِلَاحَهُ ، وَتَيَقَّنَّا نَجَاحَهُ ، وَاعْتَقَدْنَا تَنْمِيَةَ أُمُوالِهِ ، وَاعْتَمَدْنَا فِي مَضَاعِفِهِ  
أَرْتِفَاعَهُ وَانْتِفَاعَهُ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَعَلِمْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى آخِثَارِ  
وَلَا أَعْتِبَارِ ، وَلَا يُحْتَاجُ فِي بَيَانِ الْخَيْرَةِ فِيهِ إِلَى دَلِيلٍ إِلَّا إِذَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ النَّهَارُ ،  
لَنَكُونَ فِي ذَلِكَ بِمَثَابَةٍ مِنْ ضَاعَفَ لِهَذِهِ الْقُرْبِ أَسْبَابَ ثَوَابِهَا ، أَوْ جَدَّدَ لَهَا وَقْفًا :  
لَكُونَهُ أَتَى بَيُوتَ الْإِحْسَانِ فِي آرْتِيَادِ أَكْفَاءِ النَّظَرِ لَهَا مِنْ أَبْوَابِهَا .

ولما كان فلان هو الذى نهت أوصافه على أنه ماوَلِي أمرًا إلا وكان فوق ذلك  
قَدْرًا ، وَلَا أَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِيمَا تَضِيقُ عَنْهُ هِمَمُ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا رَحْبَ بِهِ صَدْرًا ، وَلَا طَلَعَ  
فِي أَفْقِ رُتْبَةٍ هَلَالًا إِلَّا وَتَأَمَّلْتَهُ الْعَيُونُ لِأَجْلِ رُتْبِ الْكَمَالِ بَدْرًا ، يَدْرِكُ مَا نَأَى مِنْ مَصَالِحِ  
مَا يَلِيهِ بِأَذْنِي نَظَرٍ ، وَيَسْبِقُ فِي سَدَادِ مَا يَبَاشِرُهُ عَلَى مَا يَجِبُ سَدَادَ الْآرَاءِ وَمَوَاقِعَ  
الْفِكْرِ . وَنَحْنُ نَزْدَادُ غِبْطَةٍ بِتَدْيِيرِهِ ، وَنَتَحَقَّقُ أَنَّ كُلَّ مَا عَدَقْنَا بِهِ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ جَلِيلٍ فَقَدْ  
أَسَدَنَاهُ إِلَى عَارِفِهِ وَفَوَّضْنَاهُ إِلَى خَبِيرِهِ - أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَعْدِقَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ  
هَذَا الْمُهِمِّ الْمَقْدَمِ لَدَيْنَا ، وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ هَذِهِ الْأَوْقَافِ الَّتِي النَّظَرُ فِي مَصَالِحِهَا  
مِنْ آكِدِ الْأُمُورِ الْمُتَعَيِّنَةِ عَلَيْنَا .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ فَضْلُهُ عَمِيمًا ، وَبُرْهُ يَقْدَمُ فِي الرُّتْبِ مَنْ كَانَ مِنْ  
خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ كَرِيمًا - أَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ كَيْتَ وَكَيْتَ .

فَلَيْلِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ أَهَمُّ ، وَقُصِدَ بِهَا النِّفْعُ  
الْمُتَعَدَّى إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَمِرَاعَاةُ ذَلِكَ مِنْ أَخْصِ الْمَصَالِحِ وَأَعَمِّ .

ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسدّ خالها ، ويزيح عللها ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أمانها أموالها ، ويقيم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستنزل بها مواد الرحمة لساكنها بألسنة قُرّائها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الدخائر للملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعزّ وجودها ويحتلّب ، وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق ، من أيدي أمنائه وثقاته ، ولا مودّع لها أوفق ، من أمانة من يتقى الله حقّ ثقّاته ، فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة الثانية

( نظر الجامع الطولوني )

من إنشاء المقرّ البدرىّ ابن المقرّ العلّائى بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسىّ العمرىّ كاتب الدّست الشريف لأبى يزيد الدّوّادار ، وهى :

الحمد لله الذى أقام من أوليائنا خيرَ ناظر ، يقَرّ به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحُسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهّاد الأمن بانتقاء وليّ لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صفيّ طاب بسفارته كلّ خاطر من مُقيم وخاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفى عمّر بوجوده

الوجودَ وغمرَ بجُوده كلَّ باد وحاضر، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المبينِ فأقنناه  
للنظرِ على بُيوتِ الله تعالى لأولوِيَّته بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نحمده على نِعَمِهِ التي ظهرتْ <sup>(١)</sup> بالمزِيدِ فَسَرَّتِ السرائِرَ، وظهرتْ بنورِ الرُّشدِ المديدِ  
فأشرقَ بها الباطنُ والظاهرُ . ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له العزيزُ  
القادرُ، شهادةً صدقتْ في الإخلاصِ بها الألسنةُ والضمائرُ . ونشهدُ أن سيدنا محمداً  
عبده ورسوله معِدُنُ الأسرارِ، ومجرُّ الجُودِ الزاخرِ، ومنبَعُ الأنوارِ، صاحبُ الآياتِ  
الظاهرةِ والمُعْجِزاتِ الباهرةِ والمفآخرِ، الذي يبعثُهُ الله مَقَامًا محمودًا يحمدُهُ الأوائِلُ  
والأواخرُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النُّجومِ الزواهرِ ، الذين جاهدُوا في الله  
حقَّ جهاده فكانَ كلُّ منهم للدينِ الحنيفِ أعظمَ مجتهدٍ ومؤيِّدٍ وناصرٍ، وسَلَّمَ  
تسلياً كثيراً .

وبعد، فإنَّ أولىَّ من أُلقيتْ إليه مقاليدُ الأمورِ ، وصرفناه في جميعِ مَصَالِحِ  
الجُمهورِ ، وفوضنا إليه النظرَ في بُيوتِ الله تعالى ليعمرَها بنظره السعيدِ وتضاعفَ له  
الأجورُ ، ومكَّنا له في دولتنا الشريفةِ حتى صارَ قُطْبَ فَلَكِها عليه تدورُ ، وبسَطنا  
يده ولسانه فهو ينطقُ عَنَّا ويأمرُ بالقضاءِ والقَدَرِ في الورودِ والصُّدُورِ ، وقيدنا  
الأرزاقَ بقلمه ، والمِهْمَّاتِ بكلمه ، فلا فضلَ إلا من فيضه المنشور - من أَمَازِ  
على غيره بفضيلتي السَّيفِ والقَلَمِ ، وتقدَّم في الطاعةِ الشريفةِ بأثبَتِ قَدَمٍ ، كان بها  
من السابقين الأولين من القَدَمِ ، وأتَّصف بالشَّجاعةِ والشَّهامةِ والمَعْرِفةِ التامةِ والحِلْمِ  
والعَدْلِ والحِكمِ ، فهو التَّرجُمانُ عَنَّا الناطقُ بفَضْلِ الخطابِ في السَّرِّ للتركِ والعَرَبِ  
والعَجَمِ ، وعُرفَ بالرأى السديدِ ، والنظرِ السعيدِ ، والتدبيرِ الحميدِ ، والقولِ المفيدِ ،

(١) ظهرت بالمزید قویت به وظهرت بنور الرشد وضحت وبانت .

والجود والكرم ، وطُبع على الخير الجزيل ، والدّين الجميل ، عُمره في الحقّ قائم ،  
لا تأخذه في الحقّ لومة لائم ، طالما أحيا بحسن السّفارة من العدم .

هو واحدٌ في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فمن الذي يحكيه في الشّرف العتيد بطل الوغى أبو يزيد .

قد تفرد في العِفّة والديّانة ، والثّقة والأمانة ، وألّحف بالصّفا ، وتردّى بالوفا ،  
وشفى بالخير والجبر من كان بالفقر على شفا فحصل له الشّفا ، ووفى بالعهود والمواثيق  
وذلك أمر ماخفى ، ولحق في الجود والدّين بسميه أبي يزيد البسطاميّ الوليّ :  
(١)

قالوا : الوليّ أبو يزيد قد مضى \* وهو الفريد بفضله والصادق !

قلت : الأمير أبو يزيد مثله \* هناك سابقه وهذا اللاحق !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصّفات الحسنه ، والمناقب التي تنوعت  
في مدائحها الألسنه ، وعُرف بالجود فملك حبه الأئدة فارتفعت الأصوات بالدعاء  
له معانيه ، طالما أنال النعم ، وأزال النقم ، وجبر القلوب ، وكشف الكروب ، وجلا  
ظلام الخطوب ، ونشر المعروف ، وأغاث الملهوف ، وأنقذ من المهالك ، وعمر  
بتدبيره الممالك ، ووصل الأرزاق ، وأجرى الإطلاق على الإطلاق - أقتضت  
آراؤنا الشريفة أن نعتد في جميع الأشياء عليه ، ونلقى مقاليد الأمور إليه ، وننوط  
به المهمات وغيرها : ليكون العلم بالكليات والجزئيات لديه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لازال يتحيف بالمزيد من كرمه ، ويُسبغ جلايب  
نعمه ، ويجرى بحر فضله الواسع ، ويعم بنظره المقربين من أوليائه كلّ جامع للخير  
(٢)  
جامع ، أن يستقر ... ..

(١) جرى على لغة طيء نظر السجع فتنبه .

(٢) بياض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فَلْيَتَّقِ هَذَا التَّفْوِیْضَ الْجَلِيلَ بِقَبُولِهِ ، وَیَبْلُغَ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ مَا یَرْتَقِبُهُ مِنْ عِمَارَتِهِ  
الَّتِی هِیَ غَايَةُ مَأْمُولِهِ . وَمِنْهُ تَتَّخِذُ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ لِسَانُنَا النَّاطِقُ ، وَسَفِيرُ مَمْلَكَتِنَا الْعَالَمُ  
بِالْحَقَائِقِ وَالذَّقَائِقِ ، فَلَا یَحْتَاجُ أَنْ یُوصَى وَلَا أَنْ نَفْتَحَ مَعَهُ فِی الْوَصِیَةِ بَابًا ، وَمَا یُصْلِحُ  
أَنْ یَقَالَ لِغَیْرِهِ لَا یَجُوزُ أَنْ یَكُونَ لَهُ خِطَابًا :

وَمِثْلُكَ لَا یُدَلُّ عَلَى صَوَابٍ \* وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّوَابَ !

وَاللَّهُ تَعَالَى یُؤِیْدُهُ فِی الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَیُعِیْشُ بِوُجُودِهِ وَجُودَهُ الْوُجُودِ وَقَدْ فَعَلَ ،  
وَبِیْقِیْهِ مَدَى الدَّهْرِ ، وَیَسْتُخْدِمُ لِسُعُودِهِ السَّاعَةَ وَالیَوْمَ وَالْجُمُعَةَ وَالشَّهْرَ ، وَیَجْعَلُ  
بَابَهُ الطَّاهِرَ مَفْتُوحًا لِلْقَاصِدِینَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَیُقِیْمُهُ وَاسِطَةً عَقْدِ الْمُلْكِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ  
أَیْمًا كَانَ وَرَحْمَةً لِلْأَنَامِ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِیفِ أَعْلَاهُ حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الوظيفة الثالثة

(نَقَابَةُ الْأَشْرَافِ)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِی الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِیبِ وَظَائِفِ الدِّيَارِ الْمِصْرِیَّةِ فِی الْمَقَالَةِ الثَّانِیَةِ أَنَّ  
مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ عَلَى الْأَشْرَافِ ، وَهُمْ أَوْلَادُ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِیَ  
اللَّهُ عَنْهُ ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ الَّذِی یتَوَلَّى هَذِهِ الْوُظِیْفَةَ یَكُونُ مِنْ رُءُوسِ  
الْأَشْرَافِ ، وَأَنْ یَكُونَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَإِنَّمَا أوردتهُ مَعَ أَرْبَابِ السُّیُوفِ  
لَأَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِیَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِی بَعْضِ دَسَاتِیْرِهِ الشَّامِیَّةِ أَنَّهُ یُكْتَبُ  
لِنَقِیبِ الْأَشْرَافِ « الْأَمِیرِ » وَلَا یُكْتَبُ لَهُ « الْقَضَائِی » وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ قَلَمٍ .

وقد رأيت له عدة تواقع على ذلك مكتبة من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحلب وغيرهما، معبراً عنه فيها بـ «الأميرى» وتوقيع في قطع الثلث مفتوح بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» .

(١) وهذه نسخة [توقيع] بنقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفي الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب، وجاعل أيامنا الشريفة تحمداً لا اكتساب .

نحمده بحمده حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك في مقالها ولا أرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الذراري من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صرفت الهمم إلى تشييد مبانيه، وتقعيد مهمل روائعه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العترة الطاهرة النبوية وراث الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته، وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُحْيى وأنها لهم تُجْبى : لما في ذلك من بركات تُرضى سيد المرسلين وتُعْجبه، ويُسَطِّر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه، وكان لابد لهم من رئيس يُنضد سلكهم وينظمه، ويعظم نحرهم ويفخّمه، ويحفظ أنسابهم،

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

وَيُصْقَلُ بِمَكَارِمِهِ أَحْسَابَهُمْ ؛ وَيَنْمَى بِتَدْيِيرِهِ رَعِيَهُمْ ، وَيَتَابَعُ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ  
الزَّكِيَّةِ مَا زَكَّى يَنْعَمُهُمْ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي وَدَائِعِ النَّسْلِ ، وَيَصُدُّ عَنْ شَرَفِ أَرْوَاقِهِمْ مِنْ  
الْأَدْعِيَاءِ الْمَدْعِينَ بِكُلِّ بَسَلٍ<sup>(١)</sup> ؛ وَيَحْرُسُ نِظَامَهُمْ ، وَيُوَالِي إِكْرَامَهُمْ ؛ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَكَارِمِ  
الْأَخْلَاقِ ، وَيَمُدُّهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ؛ وَيَتَوَلَّى رَدْعَ جَانِبِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ ،  
وَيَتَدَبَّرُ فِيهِ قَوْلَهُ : « أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ » .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى مِنْ بَنِي هَذِهِ السَّلَالَةِ ، وَلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِيزَةٌ بَاطِنَةٌ  
وِظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ  
الْأَنَامِلِ السَّبَابَةُ عَلَى الْخَنْصِرِ وَالْبِنْصِرِ وَالْوُسْطَى وَالْإِبْهَامِ ، وَكَمْ ثَمَرٍ جَنَى فَضْلُ بَعْضِهِ  
عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَهُوَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ آمَنَّا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ  
عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الْمُنِيفِ ، أَنْ رُسِمَ بِالْأَمْرِ  
الشَّرِيفِ - لَا بَرِحَ يَخْتَارُ وَيَنْتَقِي ، وَيَحْتَجِي مِنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِي - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ  
نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الثَّقَبَاءِ السَّادَةِ .

فَلْيَجْمَعْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُبْهِجُ الزَّهْرَاءَ الْبَتُولَ فَعَلُهُ ، وَيَفْعَلْ مَعَ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ  
مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ ؛ وَلْيَحْفَظْ مَوَالِيدَهُمْ ، وَيَحْرُرَ أَسَانِيدَهُمْ ؛ وَيَضْبِطْ أَوْقَافَهُمْ ،  
وَيَعْتَمِدْ إِنْصَافَهُمْ ؛ وَيَثْمُرْ مَتَحَصِّلاتِهِمْ ، وَيَكْثُرْ بِالتَّدْيِيرِ غَلَاتِهِمْ ؛ وَيَأْخُذْ نَفْسَهُ  
بِمُسَاوَاتِهِمْ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ ؛ وَلْيَأْخُذْهُمْ بِالتَّجْمُعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا  
يَزِينُ ؛ حَتَّى يُضَيِّفُوا إِلَى السُّودِّ حُسْنَ الشِّيمِ ، وَإِلَى الْمَفَاخِرِ فَاحِرَ الْقِيمِ ؛ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ  
مَعَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ هُوَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ مِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . ووقع في الاصل « نسك » بالنون والكاف وهو تصحيف .





وهذه نسخة وصية لنقيب الأشراف أوردتها في "التعريف" فقال :

ونحن نُجِلُّكَ عن الوصايا إلا ما تَبَرَّكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرَكَ إِذَا أَشْتَمَلَتْ عَلَى سِرِّهِ ؛  
فَأَهْلَكَ [ أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ <sup>(١)</sup> ] اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَدَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ  
أُمُورِهِمْ مَسْئُولٌ ، وَأَرْفُقْ بِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ أُمِّكَ وَأَبِيكَ حَيْدَرَةٌ وَالبَتُولُ ؛ وَكُفَّ يَدَ مَنْ  
عَلِمْتَ أَنَّهُ [ قَدْ ] اسْتَطَالَ بِشَرَفِهِ فَتَدَّ إِلَى الْعِنَادِ يَدًا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَ  
سَوَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ مُحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ  
فَقَدِّمْ فِي الْيَوْمِ مَا تَفَرَّحَ بِهِ غَدًا ؛ وَأَزِلْ الْبِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْغُلُوفِ فِي وَلَائِهِمْ ،  
وَالْعُلُوفِ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ، : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
كَانُوا مَتْرَهِينَ عَمَّا يَدَّعِيهِ خَلْفُ السَّوِّءِ مِنْ اقْتِرَاقِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَيتَعَرَّضُ مِنْهُمْ أَقْوَامٌ  
إِلَى مَا يُجَرِّهُمُ إِلَى مَصَارِعِ حَيْنِهِمْ ؛ فَلِلشَّيْخَةِ عَثْرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالٍ تُقَالُ ؛ فَسُدَّ  
هَذَا الْبَابَ سَدًّا لَيِّبًا ، وَأَعْمَلْ فِي حَسْمِ مَوَادِّهِمْ عَمَلًا أَرِيبًا ؛ وَقُمْ فِي نَهْيِهِمْ وَالسَّيْفِ  
فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ قَوَارِعِ [ مَوَاقِعِ <sup>(١)</sup> ] كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَمَا دُعِيَ  
« بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنْ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ [ فَانْظُرْ فِي نَادِي  
قَوْمِكَ عَلَيْهَا عُقُودَ الْأَجْتِمَاعِ <sup>(١)</sup> ] . وَمَنْ أَعْتَرَى إِلَى اعْتِرَالٍ ، أَوْ مَالَ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِي زِيَادَةِ  
مَقَالٍ ؛ أَوْ أَدْعَى فِي الْأُئِمَّةِ الْمَاضِينَ مَا لَمْ يَدَّعُوهُ ، أَوْ أَقْنَى فِي طُرُقِ الْإِمَامِيَّةِ بَعْضَ  
مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَبَ فِي قَوْلٍ عَلَى صَادِقِهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِهِمْ ؛  
أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَقَّى عَنْهُمْ سِرًّا ضَنُّوا عَلَى الْأُئِمَّةِ بِبَلَاغِهِ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَذَّةِ [ مَسَاغِهِ <sup>(١)</sup> ] ،  
أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَالْجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [ أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ :  
عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدَتْ لِبْنِي هَاشِمٍ نَارًا ] أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَتَائِدِ الْبَاطِنِ بِظَاهِرٍ ، أَوْ قَالَ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِرٍ ، أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأُتَمَّةِ السَّتْرِ رَجَاءٌ ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضُوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدَمُهَا اللَّوَاءُ ، أَوْ تَلَفَّتْ بِوَجْهِهِ يَظُنُّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْعِمَامِ ، أَوْ تَفَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْطَرِاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ ، فَعَرَفْنَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَذْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوَّلَى مَنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادٍ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيًّا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَلُ بَيْنَ عِلِمَتِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَغَلَبَ مِنْ أَجَلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ، [ وَجَارَ وَقَدْ ]<sup>(١)</sup> أَوْضَحْتَ لَهُمُ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى طُرُقًا ، وَأَرَدَعْتُهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نَضَالِ نَضَالٍ ، وَأَمْنَعْتُهُمْ فَإِنْ فَرَّقْتَهُمْ كُلَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامِ ضَلَالٍ ، وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ" عِدَّةَ وَصَايَا الْجَمَاعَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأُهْمِلَ . وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا حِفْظًا لَذِكْرُهَا ، وَاحْتِيَاظًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من التعريف ص ١٣٢ .

## إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الدّيار المصرية أن أصله أطابك<sup>(١)</sup> بالطاء المهملة ومعناه الأب الأمير ، وأنّ أول من نُقِبَ بذلك زَنبِي أطابك صاحب الموصِل ، ثم غلبت فيه التاء المشنة بدل الطاء ، وهى :

وأنت ابنُ ذلك الأب حَقِيقَه ، وولدُ ذلك الوالد الذى لم تُعْمَلْ له إلا من دِماء الأعداء عَقِيقَه ، وقد عُرِفْتَ مثله بنبأت الجنان ، وصُلّتْ بيدك ووصلت إلى مالم يَصِلُ إليه رُحْ ولا قدر عليه سِنَان ، ولم يُزَاحَمْ عدُوّ إلا قال له : أيها البادى المقاتِل كيف تُزَاحِم الحديد ، ولا تُسَمَّى أسمك لجَبَّارٍ إلا قال له : «وجاءت سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ». وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألّف قلوب هذه الطائفة التى ما حلّم بها حالمٌ إلا وبات يُرْعَدُ خِيفَه ، فليأخذ هذا الأمر بزمامه ، وليعمل لله ولا مَأمِه ، وليرم في حُبِّ البقاء الدائم بنفسه على المنيّة ، ولينادِم على مُعَاقَرَةِ الدِّماء زُهور سكاكينه الحنيّة ، وأطبع منهم زُبرا تُطاول السيوف بسكاكينها ، وتأخذ بها الأسود في عَريِنها ، وتمتد كأنها آمالٌ ، لما تُريد ، وترسل كأنها آجالٌ ، ولهذا هى إلى كلِّ عدوٍّ أقرب من حبل الوريد ، وأذلك منهم سُعَلا إذا دُعيت بأحسابها لا تجد إلا متحاميا ، وأرم منهم سهاما إذا دُعيت (؟) بأنسابها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ، وفرّج بهم عن الإسلام كلَّ مَضِيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كلَّ حجر في الطريق ، وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صُقُور ومَناسِرهم السكاكين ، وأخطف بهم الأبصار فبأيمانهم كلَّ سَكِينَةٍ كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمراتُ أُنِعَتْ لِقَاطِفٍ ، وأعرِف لهم حقّهم وضاعِف لهم

(١) هو بفتح الباء الموحدة كما ضبطه ابن بطوطة في رحلته ص ٢٥٨ ج ٢ .

تكريماً ، وأدبهم بنا برأ عَمِيماً ، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ  
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ مِثْلُ الْوُحُوشِ فِرْدُ فِي تَأْنِيْسِهِمْ ، وَأَشْكُرُ إِقْدَامَهُمْ فَطَالَمَا أَقْتَحَمُوا عَلَى  
الْمُلُوكِ وَمَا هَابُوا يَقْطَعَةَ حَرْسِهِمْ ، وَأَرْفَعُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ دَرَجَاتٍ فِي نَفَقَاتِ تَسَافِيرِهِمْ  
وَقُعُودِ مَجْلِسِهِمْ ، وَلَا تُسَوِّ بَيْنَهُمْ فَمَا هُمْ سَوَاءٌ وَ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ . وَأَصْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ  
مَا زَالَتْ تَنْتَقِلُ بِالْمَوَارِيثِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَيْنَا حَقْرُقُهَا ، وَأَوْمَضْتُ بِنَا حَيْثُ خَلَعْتُ  
هَبَاءَ كُلِّهَا بِجَرْعَاءِ الْحِمَى بِرُوقِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيُطَوِّلُ بَاعَهُ لِمَا قَصُرَتْ  
عَنْهُ سَوَاعِدُ الرَّمَاكِ وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهُ .



الثانية — وصية أستاذ الدار .

وَلَيْتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْحَاشِيَةِ عَلَى اخْتِلَافِ طَوَائِفِهَا ، وَأَنْوَاعِ وِظَائِفِهَا ، وَلِيَرْتَبَّهَا  
فِي الْخِدْمَةِ عَلَى مَا يَحِبُّ ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ نَظْرًا لَا يَخْفَى مَعَهُ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ  
وَلَا يَحْتَجِبُ ، وَلِيَبْدَأُ بِهُمْ السَّاطِ الْمَقْدَمِ الَّذِي يُقَدِّمُ ، وَمَا يَتَنَوَّعُ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَطْعَمٍ ،  
وَمَا يُمَدُّ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَالْعَصْرَ ، وَمَا يُسْتَدْعَى مَعَهُ مِنَ الطَّوَارِيءِ الَّتِي لَا يَجِدُهَا  
الْحَدُّ وَلَا يَحْصُرُهَا الْحَصْرُ ، وَأَحْوَالَ الْمَطْبَخِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْهُ ظُهُورُ تِلْكَ الْخَفَافِ ،  
وَوَفَاءُ ذَلِكَ الْكَرَمِ الْوَافِي ، وَالتَّقَدُّمُ إِلَى الْأَمْنَاءِ وَالْمَشْرِفِينَ فِيهِ بِأَمَانَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَصِيَانَةِ  
الْمَأْكَلِ مِمَّا يُعَابُ عَلَى الْإِطْلَاقِ . ثُمَّ أَمْرُ الْمَشْرُوبِ وَمَا تُغْلَقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الشَّرَابِ خَانَاهُ  
السَّعِيدَةِ مِنْ لَطَائِفِ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ ، وَشَيْءٍ عَزِيزٍ لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهَا إِذَا

عزَّ المطلوب ، ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها ، وتُسَبُّ لطبخه من حُرِّ  
 البواقيت كواينها ، وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة ، وما لا يصرف  
 إلا بخط الطبيب ولا يَسَلَّم إلا إلى ثقته . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة  
 اللباس ، وموضع ما تبرز به من الزينة للناس ، وما يحتاج إليه من آلات التطيب ،  
 وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،  
 ويؤخذ منها مستدره ، ومن يُستخدَم بها ممن برئ من الريب ، وعُرف بالعفاف  
 والأدب ، وعُلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سَلَّم إليه ومن خالطه الأمانة .  
 ثم الفراش خاناه وما يُنصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،  
 وشمع يفضض كافور كافوريته آبنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والنجابة  
 وإن كان إلى سواه استخدأهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا  
 من عديده ، ولا يروقهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناخات  
 السلطانية وما بها من جمال ، وما يسرح فيها من مال وجمال ، ومن يُستخدَم فيها  
 من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مزدوج وفرد ، فيوفر لهذه الجهة نصيباً  
 من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأفطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار  
 القطار ، وليكونوا على بالله فإنهم يسرقون الذرة من العين ومعهم الذهب العين مجلاً  
 بالقطار ، فليحسن منهم الارتياح ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل  
 مثلها حتى في غاظ الأكباد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،  
 وزرائب الغنم وخولها ورعائها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ،  
 ونفقات الأمراء الممالك السلطانية في إهلاك كل هلال ، وما يُصرف في كساحم

(١) في "التعريف" « ذرة الكحل » .

على جارى عادتِهِمْ أو إذا دَعَتْ إليه ضرورةُ الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطُّه من وصولات تُكْتَب ، وأستدعاآت تُحَسَّب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحَسَّب ؛ فليكن لهذا كله مراعىا ، ولأُمُورِهِ وإِيعا ، ولما يجب فيه دُونَ ما لا يجب مستدعياً وإليه داعياً ؛ وهو كبيرُ البيت وإليه يرجع أمرُ كلِّ مملوكٍ ومستخدَم ، وبأمره يؤخَّر من يؤخَّر ويقَدَّم من يُقَدَّم ، ومثله يُتَعَلَّم منه ولا يُعَلَّم ؛ وعَصاه على الكلِّ محمولة على الرِّقاب ، مبسوطَةٌ فى العَفْو والعِقاب ، ومكانه بين يدينا حيثُ نراه ويرانا ولدينا قَاب قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى مِنْ قَاب .

وعليه بتَقْوَى الله فيها تمامُ الوصايا وكُلُّ الشُّروط ، والأمرِ بها فعصاه محكمة وأمره مبسوط ، وكلُّ ما يُنَاط بنا : من خاصَّة أُمُورنا فى بيتنا - عَمَرَهُ الله ببقائنا وزاد تَعْمِيرَهُ - بتدبيره مَنُوط .

### الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدَّم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أَنَّهُ مَرَّكَبٌ من لفظين : عَرَبِيٌّ وهو أمير ومعناه معروف ، وأخُور فارسيٌّ ومعناه العَلَف ، والمعنى أميرُ العَلَف . وكأنه فى الأصل كان هو المتولَّى لعلُوفَةِ الخيل ، ثم أرتفعتْ وظيفته حتى صار صاحبها من أكابر الأُمراء المقَدَّمين ، وهو يتحدَّث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته من خَيْل وبِغال ودَوَابٍّ وِحَالٍ وأَثاثٍ ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وَلْيَكُنْ عَلَى أَكْلِ مَا يَكُونُ مِنْ إِزَاحَةِ الْأَعْذَارِ ، وَالتَّأَهُبِ لِحَرَكَاتِنَا الشَّرِيفَةِ فى لَيْلٍ (١) كَانَ أَوْ نَهَارٍ ، مُقَدِّمًا الْأَهَمَّ فَالْأَهَمَّ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالْأَبْدَأَ فَالْأَبْدَأَ مِنْ [تقديم] مَرَاكِبِنَا

(١) الزيادة عن "التعريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والحشرات السعيدة؛ وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويجنب مما يسم الأرض بالبدور والأهلة من كل حافر ومنسم؛ وما هو برسم الإطلاق، وما يعد لممالك الطباق؛ وخيل التلاد، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموارث ويستعرض من الأسواق، وما يعد للمواكب والسباق؛ وليجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما نفق، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما آتفق<sup>(١)</sup>] وكذلك فليكن فخصه عمن يستخدم عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أعنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم، والأوشاقيّة الذين هم مثل مماليكه وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يفضي إلى إخلال، ولا يقتضى فرط إدلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إدلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القود الخيل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُتَخَوَّفُ مِنْهُمْ السُّرْعَةُ ، فليَكُنْ لَهُمْ مِنْكَ أُعْظَمُ زَاجِرٌ ، وَمَنْ شُكِيَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ، وَأَشْهَرِ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطَّمَأْنِينَةَ ، وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يُكَذِّبُ يَقِينَهُ ، وَأُمَرَاءُ أَخَوْرِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَسِدُّ بَاعُكَ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ، فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا .

وَتَتِمُّنِ الْخِيُولُ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخَبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَمَا يُصْرَفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرَسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْكَ ، مُرْ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْبِطْهُ بِالتَّعْلِيقِ ، وَتَصْرَفْ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تُتَصْرَفْ إِلَّا تَصْرَفَ شَفِيقٍ ، وَصُنْهُ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَلَا تَقْنَعْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنْ رَفِيقٍ ، وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِيمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تَصْرَفْ إِلَّا مَا نَأْمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ، وَنُزْلَاؤُكَ مِنْ أُمَرَاءِ الْعُرَبَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخْذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بِبَسْطِ بَسَاطَةِ الْأُنْسِ لَهُمْ فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ، : لَتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلِيَسْتَدِلُّوا بِبَشَاشَةِ وَجْهِكَ لَهُمْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ، وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَثْقَالِ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ، أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَّاتِ الْمَقْدَّمَةِ ، وَالْمَقْدَّمَاتِ لِنَتَائِجِ أَيَّامِ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ، وَرَتَّبْهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمِّمْهَا أَيْمًا مَا يَكُونُ مِنْ وَظَائِفِهَا ، فَبِهَا تُثَبَّتُ مَوَاقِفُ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ قُمَاشِ الْإِصْطِبَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ، بِأَشْرِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ لَا يَتَخَلَّى ، وَأَحْصِيهِ خَرَجًا وَدَخْلًا ، وَإِيَّاكَ وَالْأَخْذَ بِالرُّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالَ الْقُرْصِ ، أَوْ طَلَبَ فَائِتِ جُرْمِ أَهْمَلَتِهِ حَتَّى نَكْصُ .



## الرابعة — وصية مُقدّم الممالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحسن إليهم، وليُعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُخيّل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم، وليُلزِم مقدّم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطّباقي، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السّواق ؛ وليكن لأحوالهم متعهّدا، ولأموالهم متفقّدا ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره، وليُعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة ؛ وليأمر كلّاً منهم ومن مقدّميهم والسّواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليرتّبهم على حكم مكاتبتهم منّا فإن تساووا فليقدّم من له قدّمه ؛ وليُعدل في كل تفرّقه ، وليُحسن في كل عرض ونفقة ، وليفرّق فيهم ما لهم من الكساوى ويُسبّل عليهم رداء الشّفقه ؛ وليُعدّ منهم لغاينا المحمّي سباعا تفترس العاديه ، وليُجمل النظر في أمر الصّغار منهم والكيّار أصحاب الطّبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدّخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُدِرهم في أوقات البيا كير والأسفار نطاقاً دائراً الدّهليز المنصور ، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحدٌ منهم إلا بدسّور ولا ينزل إلا بدسّور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروف بالخير ويُقيم عليهم الضّمان ؛ وليحرّر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحدٍ منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للرّيبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليؤص مقدّميهم بتفقّد ما يدخل إليهم فإن الغشّ أكثره من الدّعام والشراب ؛ وليدّم مراجعتنا في أمرهم فإنّ بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نأمره به ولا يجدّ جوى في جواب .

## الضرب الثانى

(ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب الوظائف الدينية،  
وهو على طبقتين)

## الطبقة الأولى

(أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالى)

وتشتمل على عدة وظائف

## الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان يليها قاض واحد، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيبرس» فى أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرش الشافعى، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فاقتضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرش فى قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكتب لكل منهم تقليد بذلك، ثم خص قاضى القضاة الشافعية بالتولية فى بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، واستمر الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنويع ما يكتب لأرباب الأقاليم إلى تقاليد، فى قطع الثلثين، وتفاوتين، وتواقيع، فى قطع النصف، تقرر الحال على أن يكتب للقضاة الأربعة تواقيع فى قطع النصف بـ«المجلس العالى»، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي القاضى عماد الدين أحمد الكرعى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين عليّ كاتب السرّ ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين « بالحناب العالي » . وبقي الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن ولي القاضي جمال الدين محمود ألبليّ القيسريّ المعروف بالعجميّ رحمه الله قضاء قضاة الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالحناب العالي أيضا ، وبقي المالكيّ والحنبليّ على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطيّ قضاء قضاة المالكية في الدولة الناصرية « فرج بن الظاهر برقوق » فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحدهم عاصرا له كتب له تفويض غيره . ثم لما ولي الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسيّ قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له « بالحناب العالي » كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكيّ والحنبليّ أيضا تقليد : لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفترق وتقريبا للمأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

### الأول ( قضاء القضاة الشافعية )

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعزّ رحمه الله ، حين استقرّ أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدّم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتنى،  
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس  
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعاً، وأقامها أصلاً مدّ يشار  
الرشد فروعاً.

نحمده على نعمه التى ألزمتنا لتشديد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة نعمة بها من القلوب والأفواه ربوعاً. ونصلى على سيدنا محمد الذى  
أرسله الله إلى الخلائق جميعاً، وقام بعبد الأمر يصنع حسناً ويحسن صنيعة،  
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يبرح برؤفها ملموعاً، ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعاً.

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقريض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء  
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفصح مجاله وإن كان الطويل  
العريض، ورفع قدره على الأقدار، وتسمت من سحابه الأنواء ومن أشعته  
الأنوار، من غزر مده فخرت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب  
وتنصت لقوله الأسماع وترنو لمحياه الأبصار، قد أوفد من إرشاده للأمة لطفاً فطفاً،  
وأوقد من علمه جذوة لا تحبوق قبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل  
أحد معه طرفاً ولا يمد إليه من حياته طرفاً، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق  
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى اجتهاده  
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره، وكان لفلک الشريعة المحمدية قطباً، ولجئانها  
قلباً ولسوارها قلباً، ولدليلها برهاناً، ولإنسانها عيناً ولعينها إنساناً، فكم أرضى بنى  
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى لله حكماً  
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعدل فى الأيتام،

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه ، ولم يداجه لما ستره عليه من تعديه  
في دياجيته ؛ فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه ، والمسترد الحقوق الذاهبة  
من غير محابة حتى لئده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو فى أحسن هذه السمات  
قد تصور ، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر ، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو  
التاج المجوهر ؛ وله مزايا السؤدد التى لا يشك فيها ولا يرتاب ؛ وسجايا الفضل التى إذا  
دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب ؛ وهو شجرة الأحكام ،  
ومصعد كلم الحكام ؛ ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهبط وحى المقدسات  
والإرتسام ، ومجتمع رفاق القضايا فى الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد  
هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق  
ما هو ملى باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذى هو موثق عراه ومؤكده  
أسبابه ، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفله آجتهاده ليد احتلابه ؛ علماً  
بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه ، وإن استضاء بها فى دياحى المنى ، وكل ثمرة من  
مغترسه ، وإن مد إليها يد الاجتناب ؛ وكل جذو هو من بحر وإن بسط إليه راحة  
الإغتراف ، وكل منهج هو من جادته وإن ثنى إلى سلوكه عنان الإنصراف  
لا الإبحراف ؛ وهو بحمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها  
أوفر نصيب ؛ وسجاياه يتعلم منها ، كيف يوصى ويعلم ، ومزاياه تقوم الأود ، كيف  
يقوم ، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الثانى - قاضى قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضى  
جمال الدين محمود القيسرى وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر فى الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضية الحنفية كُتب به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :  
الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرة ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة ، وقلد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيره ، الذى أدخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قديره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عدم النظير نصيره ، وأفتح دولته برفع منار العدل فآمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قصيره ، وخس المناصب فى ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو امتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصاح العلن والسريه ، وتصبح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مشيرة ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محبرة وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ، وأجابه فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشير ، وأظهر أنوار ملته إلا لمن أعمى الغي بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهير ، وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنها لكبيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أدعيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُعهد معاهدته ؛ ويُعلَى مناره ، وتُفاض بطلوع شمسهِ أنواره ؛ ويُجَلَّى به بعد العطل جِده ، ويُنظَم في سلك عقود الأمة فريده ؛ وتكَلَّ به قُوى الدين تكلمة الأجساد بقُوى الطبائع الأربع ، وتُعمَّر به رُبوعُ الملة التي ليس بعدها من مَصيف لمة ولا مَرَبَع ، وتُثَبَّت به قوائم الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مَطْمَع ؛ وتُجَلَّى به عَمَن ضاق عليه المجال في بعض المذاهب الغمَّة ، ويستقرَّ به عددُ الحُكَّام على عددِ الأئمة المستقرَّ على عددِ الخلفاء الراشدين من خُلفاء الأئمة ؛ ويُمدَّ به على الخلق جناح الرحمة وإفِر القوادِم وإرف الظلال ، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمَّتهم من الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال ، - أمرُ القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت رضى الله عنه الذى أَشْتَقَّ الله له من الملة الحنيفية نسبة سرت في الآفاق ، وأفاض عليه من مواد القياس الجلى كُنوزاً نمت على الإنفاق ، وعَضَدَ أيامه بوليِّ عهدٍ قولهما حجة فيما تفرَّدا به من الخلاف أو اجتمعوا عليه من الوفاق ؛ وعُدَّ من التابعين لِقَدَمِ عَهده ، وسُمِّي « سراج الأئمة » لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، توقَّف مدَّة على آرتياد الأكفاء ، وآرتياد من هو أهل الأصطفاء ؛ وأختيار من تكَلَّ به رفعة قدره ، ويعيد لدسته بتصدُّره على بساط سليمان بهجة صدره ؛ ويغدو لسرِّ إمامه بعد إماتة هذه الفترة باعثاً ، ويُصَيِّح وإن كان واحد عصره لأبى يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً ؛



وَيُسَبِّحُهُ بِهِ الْبَاحِيُّ زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوِيُّ تَمَسُّكَاً بِالسُّنَّةِ وَفَهْمًا ، وَيُعْتَرِفُ الْقُدُورِيُّ  
 مِنْ بَحْرِهِ ، وَيُعْتَرِفُ الْحَصْرِيُّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ، وَيَقِفُ مِنْ  
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ وَيَنْتَمِي مِنْ فِقْهِ النُّعْمَانِ إِلَى فَرْعِ زَاكِ وَأَصْلِ  
 ثَابِتٍ ، وَيَنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأُئِمَّةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَحُجَّةٌ سَاطِعَةٌ ،  
 أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَسَعَةٌ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارِقَةً فَإِنَّهَا عَلَى  
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ  
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بَوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمُعْطُوفُ عَلَى مَنْ  
 وَصِفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقُ ، وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ  
 الشُّهَدَاءِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ  
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِنَّمَا<sup>(١)</sup> ،  
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ، وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ  
 الْفَضَائِلِ فَقَيْدَ أَوَابِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَلَحَجَّ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي فَقَاصَ عَلَى  
 جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ  
 فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِيرِهَا ، وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ  
 عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ  
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَأَنْصَرَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةٍ  
 لَا فَرَضَ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحَ الَّذِي جَعَلَ رُتَبَتَهُ هِمزَةً اسْتِفْهَامٍ وَرُتَبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ  
 يَيْنٍ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا  
 الْاَلْفِظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .



فلذلك رُسِمَ أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتولَّ هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائبا وبشرعه قائما، ويتقلدها تقلدًا من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مُقدِّما وعلى الله قادِما، ويتثبت تثبتًا من يعتصم بالله في حكمه فإنَّ أحدَ الخصمين قد يكونُ ألحنَ بحجته وإن كان ظالما، ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطّل من الإقدام عليه، وتدفع الظالم عن التناول إلى أمرٍ نزع الشرع من يديه، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيثف إليه، وليُسويين الخصمين في مجلسه ولحظه، ويعدِل بينهما في إنصاته ولفظه، :ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه، مكفوف باستيعاب حجته عن الطمع في ظلمه، ولا ينقض حكما لم يخالف نصًّا ولا سُنَّةً ولا إجماعا، وليشارك فيما لا يجهله من القضايا غيره من العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه اطلاعا، وليبغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإنَّ الله تعالى لا يترع هذا العلم انتزاعا، وليسد مسالك الهوى عن فكره، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المرور بذكره<sup>(١)</sup>، وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) ، إن شاء الله تعالى .

### الثالث — قاضى قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطي المُقدِّم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بحجَّاله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقترن بحميد مقالهِ جميل فعَّاله ، وخصَّ مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

(١) الذكر والذكر أى بالضم والكسر النذكر .

الحَسَنُ يَوْمًا إِلَّا وَكَانَ مُعْدُودًا مِنْ رِجَالِهِ ، وَعَدَقَ النَّظَرَ فِي أَحْكَامِهِ بِأَجَلٍ عَالِمٍ  
لَوْ طُلِبَ لَهُ فِي الْفَضْلِ مِثْلُ لَعَجَزَ الزَّمَانُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثَالِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَخْلَفَ مِنَ النَّبْعَةِ الزَّكِيَّةِ صِنُوعًا زَاكِيًا ، وَأَدَالَ مِنَ الْأَخِ الصَّالِحِ أَخًا  
لِلْعُلُومِ شَافِيًا ، وَلِمَنْصِبِهِ الْعَلِيِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَافِيًا . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ مَجْرَدُ سَيْفِ الْحَقِّ عَلَى كُلِّ مَبْطُلٍ مُعَانِدٍ ، وَمَرْهِفُ حَدِّ الْقَاضِي  
لِكُلِّ مُلْحِدٍ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ حَائِدٍ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ فَاقَ  
الْأَنْبَاءَ بِفَضْلِهِ وَعَمَّ الْبَرِيَّةَ بِعَدْلِهِ ، وَسَدَّ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَى مَنْتَقِصِهِ فَلَمْ تَكُنْ لِقَبْلِ تَوْبَةٍ  
مِثْلِهِ ، وَكَانَ إِلَى مَالِكٍ مُصِيرُهُ فَلَا جَرَمَ قَضَى بِإِهْدَارِ دَمِهِ وَتَحْتَمُّ قَتْلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَبُّوا عَنْ حِمَى الدِّينِ وَذَادُوا ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمَعْدِلَةِ إِذْ حَكُمُوا  
فَمَا ضَلُّوا عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ وَلَا حَادُوا ، صَلَاةً تَبْقَى بَقَاءَ الدُّهُورِ ، وَلَا تَزُولُ  
بِهَجَّةٍ جَمَاهَا بِتَوَالِي الْأَعْوَامِ وَالشُّهُورِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا قُصِرَ عَلَيْهِ النَّظَرُ ، وَأَسْتَغْرَقَتْ فِيهِ الْفِكْرَ وَعَرَا الْعْيُونَ فِيهِ  
السَّهَرُ ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَرَغِبَتْ فِي الْبَرَاءَةِ مِنْ تَخْلُفِهِ الدِّمَمُ - النَّظَرُ فِي أَمْرِ  
مَنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي يَأْوِي الْمَلْهُوفَ إِلَى ظِلِّهِ ، وَيُجَاوِزُ الْمُسْتَجِيرَ إِلَى عَدْلِهِ ،  
وَيَتَعَلَّقُ الْعُقَاةَ بِوُثْقِ عُرْوَتِهِ وَمَتِينِ حَبْلِهِ ، وَبِرَهْبَتِهِ يَكْفِي الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ ،  
وَيَنْتَصِفُ الْخَصْمَ مِنْ خَصْمِهِ ، وَيُذْعِنُ الْعَاصِيَ إِلَى طَاعَتِهِ وَيُنْقَادُ الْأَبْيَّ إِلَى  
حُكْمِهِ ، وَيَأْتُمُّ بِهِ الْحَائِرُ فِي دُجَى الْجَهْلِ فَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ وَيَهْتَدِي بِنَجْمِهِ ، لَا سِيَّمَا  
مَذْهَبُ مَالِكٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لِلدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْإِحَادِ مُشِيرًا ، وَلِلْقِصَاصِ مِنْ أَهْلِ الْعِنَادِ  
مُبْتَدِرًا ، وَبَسَلِ سَيْفِ الْحَقِّ عَلَى الطُّغَاةِ الْمُتَمَرِّدِينَ مُشْتَهَرًا ، فَفَازَ مِنْ سَطَوَاتِ  
الْإِرْهَابِ بِأَرْفَعِ الْمَرَاتِبِ ، وَعَلَا رِقَابَ الْمُلْحِدِينَ بِأَرْهَفِ الْقَوَاضِي ، وَخُصَّ مِنْ

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَتِّ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مَنْ يُنْصُ الْأَخْتِبَارُ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلَاخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْقُذُ إِذَا نَقَدَتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرَكَّبَةُ عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالتَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيُحْكَمُ لَهُ بَعْلَوُ الرُّتْبَةِ مُنَاوِنُهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَنْقَطِعُ النَّجْوَى ، وَيَسَجَّلُ لَهُ حَاسِدُهُ بَيُّوتُ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظَرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ، وَتَنْفُذِ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالِفٌ ، وَتَحْذَرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطْوَتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلٍ مُخَالَفٌ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمُ الْخَائِفُ ، وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ، وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ، وَلَا يُجَاهِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَا إِذَا أَسْتَطَالَتْ لَأَسْتَطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرْلُهُ ذَوْلَسَنُ لَلْسَنَةِ وَلَا بَلِغٌ لِبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَاضِي ، الْكَبِيرِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِمِي ، الصَّدْرِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَوْحَدِي ، الْعَلَامِي ، الْكَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْمُفِيدِي ، الْفَرِيدِي ، الْحُجِّي ، الْقُدْوِي ، الْخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْحَاكِمِي ، الْجَمَالِي ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الْأَنْامِ ، حَاكِمُ الْحُكَّامِ ، أَوْحَدُ الْأَئِمَّةِ ، مُفِيدُ الْأُمَّةِ ، مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ ، مُعِزُّ السَّنَةِ ، شَمْسُ الشَّرِيعَةِ . سَيْفُ الْمَنَازِرِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

أبوالمحسن «يوسفُ البساطيُّ» المالكى - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات ، التى وقعت من محله الكريم موقعها ، والمقصود من هذه السمات ، التى ألفت من سيرته الفاضلة موضعها ، وقارعُ صفاة هذه الذروة التى ما كان ينبغى لغيره أن يقرعها ، وشمسُ الفضل الحقيقى بمثلها أن لا يتوارى جلالها بحجاب الغروب ، وفاصلُ مشكلات القضايا إذا اشتد إشكالها وعظمت فى فصلها الخطوب ، ومتعبين الولاية التى إذا كانت فى حق غيره على الإباحة كانت فى حقه على الوجوب ، وقد درّب الأحكام وخبرها ، وعرف على التحقيق حالها وخبرها ، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن ورددّها وصدرها ، ونفّست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادين ، وغطّت محاسن فضله فضائل غيره ولا تُشكر المحاسن (يوسف) وهو «أبوالمحسن» ، فعُلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله ، ومُقدّمات تنبيهاته بنتائج النّوادر الحسنة متواصلة ، وتهذيب ألفاظه المنقّحة تؤنّز بالتحريّر ، وعيونُ مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير ، فلورآه «مالك» لقال : ما أعظم هذه المهمّة ، أو أدركه «أبنُ القاسم» لوفر من الشّاء عليه قسمه ، أو عاصره «أبنُ عبدالحكم» لحكم له بأنّ سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الرّيح سهمه ، أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشّهباء أنى يلحق ، أو سمع «أبنُ وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربّانية وبمثله لم يسبق ، أو بلغ «أبنُ حبيب» خبره لأحب لقاءه ، أو بصّره «سُخّنون» لتحقيق أنه عالم المذهب ما وراءه ، أو استشعر بقُدومه «أبنُ سيرين» لبشّره ، أو جاوره «أبنُ عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه ، أو جالسّه «أبنُ يونس» لتأنّس بجالسته ، أو حاضره «أبو الحسن بن القصّار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتّه ، أو جاره «القاضى عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانه ، أو أتصل ذكره «بالمازرى» لزرى على «مازَرَ» لبعدها عن دار إقامته ، أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقيقاته لاستحسن تلك المدارك، أوناظره «آبن عبدالسلام»  
لسلم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مُشارك، أو مرَّ به  
«آبن الجلاب» بلَّاب فوائده إلى بلاده، أو حضره «آبن الحاجب» لتحقيق أنه  
جامعُ الأموات على أنفرادِهِ .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحدٍ بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ،  
ولا يَسْمَح الزمان بنظيره من بعده كما لم يَسْمَح به من قبله ، فاجتمع من جمال الجلال ،  
وجلال الجمال ، ما لم يكن ليدخل تحت الإمكان ، وعُزَّزَ عددُهما من أعلام الأئمة  
بثالثٍ ورابعٍ فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ، ولا عبرة  
بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنجسين في اعتقادهم الفاسد ، فقد  
ورد أن زوايا الحوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ،  
والمجلس الجمالِيّ المشار إليه هو المقصود بهذا التوضيح بالتخصيص - أقضى حسنُ  
الرأى الشريف أن نُوفِّيَ مرتبته السنية حقها ، ونُبَوِّىَ النعم مستحقها ، ونملك رقابَ  
المعالى مسترقها ، ونقدِّم على طائفة المالكية من أضْحى لهم جمالا ، ونُخَفِّفهم بمن  
أَمسى لعِزهم كمالا ، ونفوض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت  
محاسن قضاياه : ( هكذا هكذا وإلا فلا ) . ونُسند الأحكام الشرعية إلى من هو  
بها أعرف ، وتَقَنَّنْها على من عُرف أنه على الحقائق ماضٍ وعند السُّنة يتوقف ،  
ونُعِدِّق أمرها بمن أَلِفَ النزاهة فنكرة المطامع عنده لا نتعرف ، ونكل النظر فيها  
إلى من أَمسى لشروط الاستيجاب جامعاً ، ونقدِّم في ولاية هذا المنصب من شفع  
له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافعا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل يَسُطُّ لأوليائه من بساط الأُنس ما كان مَطْوِيًّا ، وَيُنِيلُهُم من رغائب الآمال ما كان عنهم فى سالف الأزمانِ مَرْوِيًّا - أن يَمُوضَ إليه قضاءُ قُضاةِ مذهبِ عالمِ المدينة ، وإمامِ دارِ الهجرة ، مالكِ بنِ أنسٍ الأصمَحى : قدس الله تعالى رُوحَه . فليَتَلَقَّ ما فُوضَ إليه بأفضل تلقٍّ يليقُ بمِثلِه ، ويتقبَّلَه تقبُّلاً يناسبُ رِفعةَ مَحَلِّه ، ويتبرَّجَ بأجلِّ تفويضٍ لم يُسَمَحْ بتمنيهِ لآخر من قبَلِه .

ومن أهمِّ ما نُوصِيه به ، ونوجِّه القولُ إليه بسببِه ، تقوى الله تعالى التى هى مِلاكُ الأمرِ كُلِّه ، وقِوامُ الدينِ من أصلِه ، والأشتمالُ عليها فى سِرِّه وجهره والعملُ بها فى قوله وفعلِه ، ثم بِرُّ الخلقِ والإحسانُ إليهم ، والتجاوُزُ عنهم إلا فيما أوجبَه الشرعُ من الحقوقِ عليهم ، ففى التقوى رضا الله وفى البرِّ رضا الخلقِ وناهيك بجمعهما من رُتبةِ فائزِه ، إذ لا شكَّ أنَّ من حصَّل رضا الله ورضا الخلقِ فقد حصَّل على خير الدنيا والآخرة ، ووراءَ ذلك قاعدةٌ فى الوصايا جامعُه ، وتذكُّرُ لذوى الذِّكرِ نافعُه ، وهى أن يتأمَّلَ أحوالَ غيره تأمُّلً من جعلها لنفسه مثالا ، ولنَسجِه مِنوالا ، فما استحسنه منها أتى مثله ، وما استقبجه تجنَّب فعله ، واقفاً فى ذلك عند ما وردت به الشريعة المطهرة بنص صريح أو تأويل صحيح ، معْرِضا عن العقليات المحضِة فلا مجال للعقل فى تحسينٍ ولا تقبيحٍ .

وأما أدبُ القضاءِ الجارى ذكرُ مثله فى العهود ، والنظرُ فى أمرِ الثَّوابِ وكُتابِ الحكمِ والشُّهودِ ، فهو به أدربُّ وأدرى ، وبمعرفة ذلك لهم وعليهم أجقُّ وأحرى ، غير أنَّا نُوصِيه بالتثبت فى أمرِ الدِّماءِ وعلاقتها ، وتحقيقِ حكمها قبلَ الحكمِ بإرائتها ، فإنَّ ذلك لمادةُ القلقِ فيها أحسَم ، ومن تبعاتها فى الدارين أسلم ، والوصايا كثيرةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذ وإليه تُعاد، والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما  
ولاه، ويُديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتمناه، والاعتماد...<sup>(١)</sup>  
إن شاء الله تعالى.

وكتب لست إن بقيت من شهر رجب الفرد عام أربع وثمانمائة، حسب  
المرسوم الشريف، بمقتضى الخط الشريف.



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين  
أبن النشائي، وهى :

الحمد لله الذى جعل منار الشرع الشريف مستمرا على الدوام، وشمل منصب  
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممر الأيام، وأجمل انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،  
ومن تدوم به مزايا السجيا، فيتخير لذلك الإمام بعد الإمام، وأقبل بوجه اجتنابه  
على ولى نتأكد بإنصاته وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل بأعتناؤه إلى تعيين من  
ترتفع به فى العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيد به الحق فى كل نقض وإبرام.

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [الشام] عن وجوه الزيادة الوسام،  
ونشكره على منته الحسام، ومواهبه التى لا تبحر ثغور إحسانها لذوى الاستحقاق  
واضحة الابتسام.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلة بالمرام، منيلة للإكرام،  
جميلة التلطف والالتئام، جزيلة الكنف والإعتصام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله  
الذى أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب فى مثله، وحذفه من باب الاختصار.



وأورث من أهله من أمته كنوز العلوم التى لا تنفد فوئدها مع كثرة الإنفاق مدى السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام، وعدوا على المشركين بسهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر بهذيبهم ظهور بذر التمام، صلاة دائمة باقية تجزى لقائلها الأجر التام، وترسل إليه سحائب المواهب هائلة الغمام، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحل به محل الشرع الشريف ومنصبه، وأتار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريره على فهم الطالب مطلبه، وهمل به وإبل العلم وصيبه، وأتيح به الاستفادة كثر الفوائد التى يدنو بها أربه، وشيم من برق شيمه بالشام ما وجد فى الجود صادق وفقد خلده - من علا فى العلوم نسبه، وتأكد فى الدين سببه، وشيد مبنى المعالى معربه، وصقل مرآيا الأنهام مهديه، وزاحم منكب الجوزاء فى ارتفاع القدر منكبه، وجمل مواكب المباحث فى الأصول والفروع موكبه، وسحت بدقائق الحقائق سحبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم العزيز فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفافه وإنصافه فأرشد حيث نختاره لذلك وننتخبه .

(١)

ولما كان المجلس العالى ... .. أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين فى إرشاده، وأفاد المنتبين درجات النهايه، وأفهم المستفيدين صواب الهدايه، وغدا سابقا [فى] حلبة العلماء إلى أقصى غايه. كم قرب إلى الأذهان دامض المشكل وأوضح مفهومه، وكم أشاع فرائد فوائده التى طبق الأرض بها علومه، وكم أباح لقط ألفاظه المشحونه بالحكم فتحلى الناس بذررها المثمرة والمنظومه، مع ماله من دين

(١) بياض بالأصل متروك لتلكه الألتاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح مانصه : "والبدايه بالباء مكان الهمز على نص عليه ابن برى وجماعة" .



متين ، واستحقاق للتقدم مبين ، وصلاحي بلخ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع  
لسنن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يقرن  
منصب القضاء بجماله ، وأن يعوض عن إمامه المنقود بإمامه الموجود ليستمر  
الأمر على حاله .

فلذلك رسم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضا ،  
وأندارهم تدوم رفعتها مدى الدد فلا تجد نقضا ولا نقضا - أن يفوض ... (١) ...

فليباشر ذلك بعلمه المأثور، وحكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه ، وأنصافه  
بالحق الذي ما يرح يوفيه ، قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقبا  
لخشية الله على عادته ، مديعا لليلة الخفيفة أنواع إفادته ، قاطعا بنصل نصه مشكل  
الإلباس ، جامعاً في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .  
والوصايا كثيرة وملاكمها التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجادته ، وما زالت  
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يحل  
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه ، إن شاء الله  
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا ، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين  
البساطي المذكور عند عوده إلى الوظيفة ، لأربع بقين من ذى القعدة سنة  
سبع وثمانمائة . وقد وافق عوده عود شيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن البلقيني  
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا ، وهي :

(١) ياض في الاصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لُزْبَةَ القضاء رَوْنَقَ « جَمَاهَا » وأسعدَ جَدَّهَا بِأَسْعَدِ قِرَانٍ  
 ظَهَرَتْ آثارُ يَمِينِهِ بِمَا آثَرَتْهُ مِنْ ظُهُورِ « جَلَالِهَا » ، وَأَجَابَ سُؤْلَهَا بِأَجَلٍ حَاسِمٍ  
 لَمْ تَعْدِلْ عَنْهُ يَوْمًا فِي سُؤَالِهَا ، وَأَسْعَدَ طَلِبَتَهَا بِأَكْلِ كُفٍّ لَمْ تَنْفَكْ عَنْ خِطْبَتِهِ وَإِنْ  
 أَطَالَ فِي مِطَاطِهَا ، وَأَكْرَمَ مَاتَهَا بِأَكْرَمِ كَافٍ مَا فَاتَهَا مَنَالُ مَاضٍ إِلَّا أَدْرَكَتْهُ بِهِ  
 فِي مَآلِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَتِ الْقَوْسُ بَارِيهَا ، وَأُعِيدَتْ مِيَاهُ الْأَسْتَحْقَاقِ إِلَى مَجَارِيهَا ،  
 وَرُدَّتِ الشَّارِدَةُ إِلَى مَالِكٍ أَلْفَتْ مِنْهُ بِالْآخِرَةِ مَا أَلْفَتْ مِنْ خَيْرِهِ فِي مَبَادِيهَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَخْفِقُ بِالْإِخْلَاصِ مَنَاطُهَا ،  
 وَيَزْدَادُ مَعَ طَوْلِ الْأَمَدِ نَشَاطُهَا ، وَلَا يَنْطَوِي عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -  
 بِسَاطُهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ رَفَعَ قَوَاعِدَ الدِّينِ وَشَادَ ،  
 وَقَامَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْقِيَامِ فَخَسَمَ بِسَيْفِ الشَّرْعِ مَادَّةَ الْفَسَادِ ، وَأَحْكَمَ بِسَدِّ الذَّرَائِعِ  
 سِدَادَ الْأُمُورِ فَجَرَتْ أَحْكَامُ شَرِيعَتِهِ الْمُطَهَّرَةِ عَلَى السَّدَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
 وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْتَنْشَقُ مِنْ مَعْدِنَتِهِمْ أَطْيَبُ عَرَفٍ ، وَخُصُّوا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ بِأَحْسَنِ  
 حِلْيَةٍ وَأَكْلٍ وَصَفٍ ، صَلَاةً تُؤْهِى عُمَرَا الْإِلْحَادِ ، وَتَقْصِمُهَا ، وَتُبْكُ أَعْنَاقَ أَهْلِ  
 الْعِنَادِ ، وَتَقْصِمُهَا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ الْأَبْصَارَ تَنْشَوِّفُ لِرُؤْيَا الْهِلَالِ مَعَ قُرْبِ الْغَيْبَةِ لِلْأَخْذِ مِنْهُ  
 بِنَصِيصِهَا ، وَالشَّمْسُ يُتَرَقَّبُ طُلُوعُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَإِنْ قُرْبَ زَمَانُ مَغِيْبِهَا ، وَالْمَسَافِرَ  
 يُسْرِّيا يَابَهُ وَإِنْ تَكَرَّرَ قُدُومُهُ مِنْ بَعِيدِ الْمَسَافَةِ وَقَرِيْبِهَا ، وَالسَّهْرَانِ يَتَطَلَّعُ مِنْ لَيْلَتِهِ  
 الطَّوِيلَةِ إِلَى طُلُوعِ بَحْرِهَا ، وَالْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ تَأْرِزُ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ  
 إِلَى جُحْرِهَا .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، (إلى آخر القابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتیه فى الورد والصدور إرادته وإصداره، وتنافس فى جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلاً على علم)، ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المربع الماحل، وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوائده، ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورقم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه، وسجل بثبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع، وحكم بموجب فضله فانهقد على صحة تقدمه الإجماع، ففرائد فوائده المدونة تؤذن بالبيان والتحصيل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفضاها عن الإجمال والتفصيل، وجواهر ألفاظه الرائقة، نعم الذخيرة التى تُقنى، ومدارك معانيه الفائقة، حسبك من ثمرة فكر تجتنى، وتهذيب إراداته الواضحة تُغنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة يُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبته، ووافر حرمتها، قد ألقت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه العالى أسانيدها، وعربت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لى عن هذا الجمال، وعجمت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى، وقرت بالإياب إليه عيناً «فألقت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونعول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقراراً للأمر فى نصابه، ورداً له بعد الشراك إلى مثابه، وإسعافاً للنصب بطلبته وإن أتعب غيره نفسه فى طلايه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يُدَيِّ المعروف ويُعيدُه ، ويُوفَّر نصيب الأولياء ويُزِيدُه - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِك بن أَنَسٍ الأَصْبَحِيَّ» رضى الله عنه ، على جارى عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدريس قبة الصالح والأنظار الشاهد بها توقيعهُ الشريف ، وأن لا يقرَّر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرِّس ومُعِيد إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعم القواعد وأكملها .

فليُعد إلى رُتبته السنية برفع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُحِفُه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُوصيه به ، ونؤكد القول عليه بسببه ، تقوى الله التى هى ملاك الأمور كلها ، وأولى المفترضات فى عقد الأمور وحلها ، فهى العصمة التى من لجأ إليها نجأ ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من لحاق قوارع الله مُلتجا . ونُنبِّع ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل التى تفرد بها مذهبهُ الشريف ضيقا وسعة ، وأختص بها إمامهُ الأَصْبَحِيَّ دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائل قليلة ، آثارها فى الورى كثيرة جليلة ، منها سَفَكُ دِمِ المتقِصِّ والسَّابِّ ، وتَحَمُّ قَتْلِهِ على البتِّ وإن تاب ، فعليه أن يأخذ فى ذلك بالاهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حقِّ أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوص عن القذى ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع من الأذى ، إلا أنا نُوصيه بالتثبت فى الثبوت ، وأن لا يعجل بالحكم بإراقة الدم فإنه لا يمكن تداركه بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات من كُتب الأوقاف والأملاك ، وتقريب ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع تحقُّقه دونَ حدسه ، ولا يطبق عنان الشهود فإنَّ الكاتب ربما أشتبَه عليه خطُّ

نفسه - ومنها : ثبوت الولاية للأوصياء، فيجريها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراده - ومنها : إسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مدة بقائه في يد المشتري، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيمضي الحكم فيه بأقوى العزائم، ويلزم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تستمل فوصيته بها كنقل التمر إلى حجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفه بالعناية الشاملة في المقام والرحيل، إن شاء الله تعالى، والاعتماد ... .. .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم شمساً منيره، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره، وقلد أمور الأمة بمن يعلم أن بين يديه كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذي أدخر منه للحكم في أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره، وأيقظ أيتنا لمن رقد الدهر عن فضله فبات عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريه .

نحمده حمد من توافت إليه النعم الغزيرة، وتوالت عليه المنن الكثيرة في المدد اليسيره، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عدم النظير نصيره،

(١) تقدمت في تقليد حنفي بأطول من هذا ويعض تغيير .

وَأَفْتَحَ دَوْلَتَهُ بِرَفْعِ مَنَارِ الْعَدْلِ فَأَمَالَ أَهْلَ الظُّلْمِ عَنْ تَعَاطِيهِ قَاصِرَةً وَأَيْدَى أَهْلِ الْبَاطِلِ  
عَنِ الْإِمْتِدَادِ إِلَيْهِ قَصِيرَةً ، وَخَصَّ الْمَنَاصِبَ فِي مَمَالِكِهِ بِالْأَكْمَنَاءِ فَإِذَا تَلَبَّسَتْ بِهَا  
هَمَمٌ غَيْرُهُمْ عَادَتْ خَاسِئَةً أَوْ أَمْتَدَّتْ إِلَيْهَا أَبْصَارُ مَنْ دُونَهُمْ رَجَعَتْ حَسِيرَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُصْلِحُ الْعَلَنَ وَالسِّرِّيَّةَ ،  
وَتُصْبِحُ بِهَا الْقُلُوبُ مُوقِنَةً وَالْأَلْسُنُ نَاطِقَةً وَالْأَصَابِعُ مُشِيرَةً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرِّسْلَ مُخْبِرَةً وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ بِمَبْعَثِهِ بَشِيرَةً ، وَأَجْتَبَاهُ فِي خَيْرِ  
أُمَّةٍ مِنْ أَكْرَمِ أَرْوَمِيَّةٍ وَأَشْرَفِ عَشِيرَةٍ ، وَأَظْهَرَ أَنْوَارَ مِلَّتِهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى الْغَىُّ بَصِيرَتَهُ  
وَهَلْ تَنْفَعُ الْعُمَى شَمْسُ الظَّهِيرَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَنْقَرِبُ  
بِدَوَامِهَا إِلَى اللَّهِ فَيُضَاعِفُهَا لَنَا أَوْضَاعًا كَثِيرَةً ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى الْأُمُورِ بَأْنَ تُشَادَ قَوَاعِدُهُ ، وَتُنْعَهَدُ مَعَاهِدُهُ ، وَيُعْلَى مَنَارُهُ ،  
وَتُفَاضَ بِطُلُوعِ شَمْسِهِ أَنْوَارُهُ ، وَتُكَلَّلُ بِهِ قُوى الدِّينِ تَكْلَةً الْأَجْسَادِ بِقُوى الطَّبَائِعِ  
الْأَرْبَعِ ، وَتُعَمَّرَ بِهِ رُبُوعُ الْمَلَّةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مِنْ مَصِيفِ لِمَلَّةٍ وَلَا مَرَبَعٍ ، وَتُثَبَّتَ  
بِهِ قَوَائِمُ الشَّرْعِ الَّتِي مَا لِلْبَاطِلِ فِي إِمَالَةِ بَعْضِهَا مِنْ مَطْمَعٍ ، أَمْرُ الْقَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ  
الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ خَلَا بِانْتِقَالِ مَبَاشَرِهِ  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَقَّفَ مَدَّةً عَلَى آرْتِيَادِ الْأَكْفَاءِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُ  
الْأَصْطِفَاءِ ، وَاخْتِيَارِ مَنْ تَكُلُّ بِهِ رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَيُعِيدُ لِدَسْتِهِ عَلَى بَسَاطَةِ سُلَيْمَانِهِ  
بِهَجَّةٍ صَدْرُهُ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّثْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقَبُ  
لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بِوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبَقِ ، وَالْمُعْطُوفَ عَلَى  
الْأُئِمَّةِ مِنْ أَصْحَابِ إِمَامِهِ - وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ - عَطْفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ

يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مِدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ تَقْلِ خُطَوَاتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِأَنَّمَا ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ، وَهَجَّرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ فَقَيَّدَ أَوَائِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَلَجَّ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي فَغَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَزَارَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ [ فَاسْتَوَى ] عَلَى أَزَاهِرِهَا ، وَأَتَمَّى إِلَيْهِ عِلْمَ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عُلَمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرْضَ كِفَايَةٍ لَا فَرْضَ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هِمَزَةً أَسْتَفْهَامَ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ يَنْ بَيْنَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلْيَتَوَلَّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَائِبًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَادِمًا ، وَيَتَثَبَّتُ تَثَبُّتًا مَنْ يَعْتَصِمُ بِجِبِلِّ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَإِنَّ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ، وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمَنْصِبِ حُلَةً تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتُدْفَعُ الظَّالِمَ عَنِ التَّطَاوُلِ إِلَى أَمْرِ نَزَعِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْحَقَّ مِنْ أَمْتِدَادِ يَدِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ إِلَيْهِ ، وَلْيُسَوِّبِ الْخَصْمَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ وَلِحِظِهِ ، وَيَعْدِلُ بَيْنَهُمَا فِي إِنْصَاتِهِ وَلَفْظِهِ : لِيَعْلَمَ ذُو الْجَاهِ أَنَّهُ مُسَاوٍ فِي الْحَقِّ لَخَصْمِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنْ الطَّمَعِ فِي ظُلْمِهِ ، وَلَا يَنْقُضُ حُكْمًا لَمْ يَخْلَفْ نَصًّا وَلَا سُنَّةً وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلِيُشَارِكَ فِيمَا لَا يَجْهَلُهُ مِنَ الْقَضَايَا غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيَتَرَدَّدَ بِذَلِكَ مَعَ أَطْلَاعِهِ أَطْلَاعًا ، وَلِيَعْتَمِدَ فِي ذَلِكَ الْأَسْتَعَانَةَ



بآرائهم : فإنَّ الله تعالى لا يَنْتَرِعَ هذا العلم انتزاعاً ، وليسُدَّ مسالك الهوى عن فكره ،  
ويُصْرِفَ دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره ، وليجعل العمل لوجه الله  
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله ( والله يحكم لا معقب لحكمه ) .



وهذه نسخة وصية أوردها فى " التعريف " تشمل القضاة الأربعة ، قال :  
وصية جامعة [ لقاض ]<sup>(١)</sup> من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكايا ، ولا يكون  
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، ومتولى الأحكام الشرعية بها  
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ، وقد أصبح بيده  
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يُعرض [ بعضه ]<sup>(١)</sup> بعده على غيره من الحكماء ،  
وما منهم إلا من ينقد نقد الصيرفى ، وينفذ حكمه نفاذ المشرفى ، فليتروا فى أحكامه  
[ قبل إمضاءها ، وفى المحاكمات إليه ] قبل فصل قضائها ، وليراجع الأمر مرة بعد  
مرة حتى يزول عنه الالتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ، وما أشكل عليه بعد ذلك فليحل ظلمه  
بالاستخاره ، وليحل مشكله بالاستشارة ، ولا يرتقضا عليه إذا استشار فقد أمر الله  
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أقول السلف من جعلها بينه وبين  
خطا الاجتهاد سورا ، فقد تسنح للمرء ما أعيا غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن  
الصغير لما لم يفطن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [ و ] مامنه  
أن يتكلم إلا صغرسنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ، ثم إذا وضح له الحق

(١) الزائد من " التعريف " ص ١١٦ .



قضى به لمستحقه ، وسجل له به وأشهد على نفسه ببُتوت حقه ؛ وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقي الدهر ما كتبت يده . وليس بين الخصوم حتى في تقسيم النظر ، وإجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر ؛ وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر في استيداء الشهادات فرب قاض ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف ؛ ولا يقبل منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عادة ، ولا تصدئ للارتقاء بسختها ومات وهو حي على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقة وسيف وفاسق في فرجية وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ، ويقلد شهاداتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عارف لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحُدس وقد صقل التجريب مِرآة فهمه على طول القدم . ولينأن في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة التي تُفنى إلى ملل من استحق . وليمهد لرأسه ، ولا يتعلل بأن القاضي أسير الشهود وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين المسؤولون لمن توكلوا له الباطل ليُقضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ، فليُكف بمهابته وسائس أفكارهم ، ومساوى جفأهم ؛ ولا يدع لجنى أحد منهم ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يد اعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعة . وليطهر بابه من دنس الرسل الذين يشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودَّ لو حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمله وهو لا يُحصى ، ومنها النظر في أمور أوقاف أهل مذهبه نظر العموم ، فليعمرها بحجيل نظره فرب نظرة أنفع من مواقع الغيوم ؛ وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُص من بينهم بالتقديم ، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيل عارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو جراحه منه التكليم . وهذه الوصايا إنما ذكرت على سبيل الذكرى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكرا ؛ وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصافه أوقافاً من هذه المثابة ، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكل ويتأسمه ثوابه ، وتقوى الله تعالى هي جماع الخير ولا سيما لصاحب هذه الوظيفة ، ولمن وليها أصلاً وفرعاً لا يستغنى عنها ربُّ حكم مطلق التصرف ولا خليفه .

ويُزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيثُ نجلس ، وأنه ذو الطَّيْلَسَان<sup>(١)</sup> الذى يخضع له ربُّ كل سيف ويُسَلِّس ؛ ولْيَتَحَقَّقْ أنه إنما رفعه علمه وتقاه ، وأن سبب دينه لادُنْيَاه هو الذى رَقَّاه ؛ فليقدر حق هذه النعم ، وليقف عند حد منصبه الذى يود لو اشترى سواد مداده بحجر النعم .

ويقال فى وصيته : وأمر دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حق كل فردٍ فردٍ من الجمهور ؛ فليحترز فى قضايها غاية الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه لها الحق من الصيانة والإحراز ؛ ولا يقبل فيها كل بينة للوكيل عن المسلمين فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضر عند الله فإنها ما تنفع ؛ وله حقوق فلا يجحد من يسعى فى تملك شئٍ منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى من رخص لنفسه وقال : (هو مال السلطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحدٍ من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطيلسان مثناة .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات ، وقد مات  
 آبؤهم ومنهم صغار لا يهتدون إلى غير الثدى للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات ،  
 فليأمر المتحدثين لهم بالإحسان إليهم ، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بنيتهم بمثل  
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم ، وليحذر منهم من لا ولد له :  
 ﴿ وَلِيُخَشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ . وليقص عليهم  
 في مثل ذلك أنباء من سلف تذكيرا ، وليتل عليهم القرآن ويذكّرهم بقوله تعالى :  
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .  
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه ، المأكولة بعدم أمانة المباشرين وهي  
 في ذمّه ، يتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما  
 لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبها وترجح عنده بها  
 العمل ، وأعدّ عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نصّ  
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب ، وراه قد حكم به أهل العلم ممن تقدّمه لرجحانه  
 عنده وللاستصحاب . وتواب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما  
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشدّ فاقه ، هذا إلى ما يتعرّف  
 من دياتهم ومن عفافهم الذى يتجرع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به  
 يتحلّى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقفلة لا يعرف الرجل ما هو  
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ،  
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل مالقه فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَزْوِيجُ الصَّغَائِرِ ، وَتَحْصِينُنَّ  
بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشُفْعَةُ الْجَوَارِ التِّى لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ  
رَأْيِهِمْ لَمَّا أَمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغَمِ الْأُتُوفِ ، وَلَأَقَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ  
بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَخُوفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِى هِىَ فِي أَسْرِ مَنْ طَلَّقَهَا وَإِنْ  
بُنَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِى يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِىَ بِالَّتِى تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَزَوَّجَ  
مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدَّعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ  
بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَرْهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلُ  
مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَنُ وَيَمُكَّتُ مُدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدَّعَى أَنَّ لَهُ بَيْنَةً أُخْضِرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ  
أَوَّلًا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صَالِحٌ ، وَعَظِيمٌ نَفْعٌ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضَ فِي هَذَا  
كُلَّهُ إِذَا رَأَاهُ بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْأَرْاءِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ  
وَشُيْبَةَ ، وَلِيُحْسِنَ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أَدْنَى إِلَيْهِ أَكْثَرُهُمُ الْإِغْتِرَابُ ، وَحَلَّقَ  
بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرُ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحْتَلِقُ الْبَازِى وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ  
تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ ، وَالْأُمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ  
الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيف المصلت على من كفره ، والمذهب بدم من طل دمه وحصل  
به الظفر ؛ ومن عدا قدره الوضع ، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول  
الشنيع ؛ فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد ، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذى به تفرد ؛ ولم  
يزل سيف مذهبهم بارز الصفحه ، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب  
مالك الذى ما فيه فسحة ؛ وفى هذا ما يصرح غدر الدين من القدى ، وما لم تطل دماء

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نُوصيه بالتحري في الثبوت ،  
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت ،] وإنما هو رجلٌ يحيا أو يموت ، فليتمهل<sup>(١)</sup>  
 قبل بتّ القضاء ، وليُعذر إليهم لأحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ؛ حتى  
 لا يُعجل تلافًا ، ولا يُعجل بما لا يتلافى ، فكما أننا نُوصيه أن لا ينقض في شدّ الوثاق  
 عليهم إبراما ، فهكذا نُوصيه أن لا يُصيب بغير حقه دما حراما ؛ وكذلك قبول الشهادة  
 على الخط ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ما شط ، فهذا مما فيه فُسحة للناس ،  
 وراحةٌ ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا للترع يد ولا إلزام  
 مجردا بمال ؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية ، وفيه  
 مصالحة وإلا فما معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور  
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الرّيع في وقف آسرتد وقد بيع ، وعُطل المشتري  
 من التكسب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله ،  
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مغله ؛ وسوى ذلك  
 مما عليه العمل ، ومما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم عدل . وفقهاء مذهبه في هذه  
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن مأواهم ، وليكرم بكرمه مثواهم ؛ وليستقر بهم  
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب ،  
 ولينسهم أوطانهم بيرة ولا يدع في مآقيهم دمعاً يفيض على الغرب .

ويزاد الحنبلى :

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة ، وما رموا به  
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة ؛ ونكتفى به في تعفية آثارها ، وإمالة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١ .

أذاها عن طريق مذهبه لتأمن السالكة عليه من عثارها ، فتعالى الله أن يُعرف  
 بكيف ، أو يُجاوب السائل عنه بهذا إلا بالسيف ، والانضمام إلى الجماعة والحدّ من  
 الأفراد ، وإقرار آيات الصفات على ما جاءت عليه من الاعتقاد ، وأن الظاهر غير  
 المراد ، والخروج بهم إلى النور من الظلمات ، وتأويل مالا بُدّ من تأويله مثل حديث  
 الأئمة التي سُئِلت عن ربّها : أين هو فقالت في السماء ، وإلا ففي البليّة بإثبات الجهة  
 مافيهما من الكوارث ، ويلزم منها الحدوث والله سبحانه وتعالى قديم ليس بحادث  
 ولا محلاً للحوادث ، وكذلك القول في القرآن ونحن نُحذّر مَنْ تكلم فيه بصوت  
 أو حرف ، فما جزاء من قال بالصوت إلا سوط وبالْحَرْفِ إلا حتف ، ثم بعد هذا  
 الذى يزعم به الجهال ، ويردّ دون غايته الفكر الجوّال ، ينظر في أمور مذهبه ويعمل  
 بكل ما صحّ نقله عن إمامه وأصحابه : من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه ،  
 فقد كان رحمه الله إمام حقّ نهض وقد قعد الناس تلك المدة ، وقام نوبة المحنة مقام  
 سيد تيم - رضى الله عنه - نوبة الردّه ، ولم تهّب به زعازع المريسي وقد هبت  
 مريسا ، ولا ابن أبي دواد وقد جمع له كلّ ذود وساق إليه من كلّ فطر عيسا ،  
 ولا نكت عهدة ما قدّم له المأمون في وصيّة أخيه من المواق . [ ولا روعه سوط  
 المعتصم وقد صبّ عليه عذابه ولا سيف الواثق ] .<sup>(١)</sup>

فليقف على أثره ، وليقف بمسنده [على مذهبه] كلّ أو أكثره ، وليقض بمفرداته  
 وما اختاره أصحابه الأخيار ، وليقلّدهم إذا لم تختلف عليه الأخبار ، وليحتزّ لدينه  
 في بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه في مثله ، والاستبدال بما فيه المصاحّة  
 لأهله ، والفسخ على من غاب مدة يسوع في مثلها الفسخ ، وترك زوجة لم يترك لها

(١) الزيادة من « التعريف » (ص ١٢٢) .

نفقة وخلّاهما وهي مع بقاءها في زوجيته كالمعلقة ؛ وإطلاق سراحها لتتزوج بعد  
ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ؛ وفيما يمنع مضارة الجار ،  
وما يتفرع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان  
على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولا هم لما جلا  
الزمان جُنح غيبه ؛ وكذلك الجوائح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى  
بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا مجرى المصلحة بدليل الإلزام ؛ وكذلك المعاملة التي  
لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم  
الغلال والمعامل هو الذي يزرع البدور ويحرث الأرض ؛ وغير ذلك مما هو من  
مفرداته التي هي للرفق جامعته ، وللعناية في أكثر معاشهم وأسبابهم نفعه ؛ فإذا  
استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وفقهاء مذهبه هم الفقراء لقلة المحصول  
وضعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرماح المعدة للثقاف ؛ نخذ بخواطيرهم ، ومد  
آمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم ؛ وأشملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقل به طلبهم  
لوجوه الغنى ويكثر طلبهم .

(١) عبارة "التعريف" « وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لها تابعه » .

## الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

### المرتبة الأولى

( ما كان يكتب فى النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم )

### المرتبة الثانية

( ما يكتب فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء )

وأعلم أنّ الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكتاب تسامحوا فيه فانتحوا لمن علت رتبته حيث أقتضى الحال الكتابة له فى الثلث بـ الحمد لله ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الافتتاح بـ «أما بعد» وهأنا أورد ماسنح من ذلك مما أنشأه الكتاب فى ذلك من الافتتاحين جميعا . ويشتمل على وظائف .

### الوظيفة الأولى

( قضاء العسكر )

وقد تقدم فى المقالة الثانية أنّ موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأنّ له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاة العسكر أربعة : من كلّ مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :



الحمد الذى رفع للعالم الشريف فى أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله  
دولتنا القاهرة رفعة ونخارا ، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين ملعوا فى غيايب  
مشكلاته بدورا وتدققوا فى إفاضته فى الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعمه التى حلت فحلت ، ومنته التى أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذخرا ، وتعالى  
للمسك بها فى الملا الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو أسبق  
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضحووا  
للمقتدين بهم شمساً منيرة وللمهتدين بعلومهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن  
تقيمها ، والأسماع تستديها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، ونبها على رفعة قدره ، وأطلقنا السنة الأعلام  
فى وصف مفاخره وشكره ، وأثنا قواعد مجده التى لو رام بنان البيان استقصاءها حال  
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلم حكمه ورفعنا فى أندية الفضائل ألوية فنونه وأعلام  
نصره ، من لم يزل دم الشهداء يعدل مداد أعلامه ، وتقيم منار الهدى أدلة فضائله  
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويُبصره ،  
وينصر الشرع بأمداد علمه وينصرون الله من ينصره ، وشيّد مذهب إمامه الإمام  
الفلانى فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدّد قواعد العدل فى قضايا  
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره فى لَمحه ملحه .

ولما كان فلان هو الذى نعتنا بما تقدّم من الخطاب خلائقه الحسنى ، وأثنينا  
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأدنى ، مع  
ما حواه من مواد فضائل تركو على كثرة الإنفاق ، وفرائد فوائد تجلب على أيدي

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَا تُمْ ، وَعَدْلٌ أَحْكَامٍ فِي الْخَلْقِ ، أَلَدَّ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى فِي جَفْنِ نَائِمٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نَوَطِدَ فِي عَسَاكَرِنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوطِنَ كَلًّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمِضِيهِ فِي أَقْضِيَّتِهِ النَّافِذَةِ مِنْ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قِضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، وَأَنْ تُبَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلِيَحْكُمُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَآتَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَيَبَيِّنَ لَهُ مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، وَعَيْنَهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادٍ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ وَأَعْتَدَى ، وَلِيَقِفَ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَاقَرَّرَتِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَيَأْمُرُ كَلًّا مِنَ الْمُتَقَاضِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تُفَادُ ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمْعُهُ فِي غِنَى عَمَّا يُبْدَأُ لَهُ مِنْهَا وَيُعَادُ ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ أُنْسِهِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسَدُّهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّئُهُ مِنَ الْخَطَا وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردتها فى "التعريف" وهى أن يقال :

وهو الحاكم حيث لا تتفد إلا أقضية السيوف ، ولا تزدهم الغرماء الا فى مواقف الصفوف ، والماضى قلمه وكل خطى يمد بالدماء ، والمضى سجله وقد طوى العجاج كالكتاب سجل السماء ، وأكثر ما يتحاكم إليه فى الغنائم التى لم تحل لأحد قبل هذه الأمت ، وفى الشركة وما تطلب فيه القسمة ، وفى المبيعات وما يرد منها بعيب ،

وفي الديون المؤجلة وما يُحْكَم فيها بغيّب ، وكلُّ هذا مما لا يَحْتَمِلُ طُولَ الأناة في القضاء ،  
 واشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء ، فليكن مستحضرا  
 لهذه المسائل ليُبَيَّنَ الحكم في وقته ، ويُسارع السيف المصلت في ذلك الموقف بتهبه ،  
 وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة ، وفيهم من يكون جرحه  
 تعديلاً له وزيادته ، فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيما القبول ، ولا يردّ منهم من  
 لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول ، وليجعل له مستقراً معروفاً في المعسكر يقصد  
 فيه إذا نصبت الخيام ، وموضعاً يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان  
 على يمين الأعلام ، ويلزم ذلك طول سفره وفي مدد المقام ، ولا يخالفه ليهم على  
 ذوى الحوائج فما هو بالصالحية بمصر ولا بالعادية بالشام ، وليتخذ معه كتاباً تكتب  
 للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود ، وليسجل لدى الحق بحقه وإلا فما آنس  
 باب الجحود ، وتقوى الله هي التي بها تنصر الجنود ، وما لم تكن أعلى ما يكون على  
 أعلام الحرب وإلا فما الحاجة إلى نشر البنود .

## الوظيفة الثانية

( إفتاء دار العدل )

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ،  
 والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفة جليلة ، لصاحبها  
 مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معناهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه « جمال الدين » ينسج على منوالها ، وهي :

الحمد لله جاعل العلم للدين جمالاً ، وللدنيا عصمةً وثملاً ، ولأسباب النجاة  
 والنجاح شارةً إذا تحلّى بها ذو التمييز كان أحسن ذوى المراتب حالاً ، وأجلهم

فى الدارين مَبْدَأُ وَمَا لَا ، وَأَحَقُّهُمْ بِرَبَّةِ التَّفْضِيلِ الَّتِى ضَرَبَتْ لَهَا السَّنَةُ الْمُطَهَّرَةُ  
فَضْلَ الْبَدْرِ عَلَى الْكَوَاكِبِ مِثَالًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِى خَصَّتْ دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَكْفَائِهَا ، وَأَصْطَفَتْ  
لِمَا قُرْبَ مِنْ مَجْلِسِنَا الْمُعْظَمِ مَنْ دَلَّ عَلَى أَنَّ التَّأْيِيدَ قَرِينُ أَصْطَفَائِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ الصَّوَابِ ،  
تَغْرِهَا ، وَيَتَفَتَّحُ عَنْ فَضْلِ الْخُطَابِ ، زَهْرَهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ  
الْمَخْصُوصُ بِحُكْمِ التَّنْزِيلِ ، الْمَنْصُوصُ فِي الصُّحُفِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى ذِكْرِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ  
عَلِمُوا أَنَّهُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَءِيلَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ كَالنُّجُومِ  
الْمُشْرِقَةِ ، مِنْ اقْتَدَى بِهِمْ أَهْتَدَى ، وَكَالْجُجُومِ الْحَرِيقَةِ ، مِنْ أَعْتَدَى وَجَدَ مِنْهَا شَهَابًا  
رَصَدًا ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا أَرْتَدُّنَا لَهُ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مَنْ سَمَّا فِيهِ فَرْعُهُ ، وَرَحَّبَ بِتَلَقَّى أَنْوَاعِ  
الْعُلُومِ ذَرْعُهُ ، وَبَسَقَتْ فِي فُنُونِ الْفَضَائِلِ أَفْنَانُهُ ، وَنَسَقَتْ فَرَائِدَ الْفَوَائِدِ فِي سَلَكِ  
الطُّرُوسِ بَنَانُهُ - فُتِيَا دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ الَّتِى أَحْكَمْنَا لَهَا تَابِعَهُ ، وَأَغْصَانُ الْعَدْلِ  
بِثَارِ فَنَائِوِيهَا مُورِقَةٌ يَابِعَهُ ، وَأَعْيُنُنَا إِلَى أَفْوَاهِ مُفْتِيهَا رَامِقَةٌ وَأَذَانُنَا لِمَقَالَتِهِمْ سَامِعَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ ثَمَرَةُ هَذَا الْإِرْتِيَادِ ، وَخُبَّةُ هَذَا الْإِنْتِقَادِ ، الْمَعْقُودُ عَلَيْهِ فِي اخْتِيَارِ  
الْعُلَمَاءِ بِالْخَنَاصِرِ ، وَالْعَرِيقُ فِي أَصَالَةِ الْعُلُومِ بِأَصَالَةٍ ثَابِتَةٍ الْأَوَاصِرِ ، وَالَّذِى إِذَا أَجَابَ  
تَدَفَّقَتْ أَنْوَاءُ الْفَوَائِدِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَضْوَاءُ الْفَرَائِدِ ، وَأَتَّخَذَتْ مَسَائِلَ فِقْهِهِ قَوَاعِدَ  
تَتَرَبَّى الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَيْهَا وَمَصَادِرُ وَحْيِهِ مَوَارِدَ - اقْتَضَتْ آرَاقُنَا الشَّرِيفَةُ  
أَنْ نُزَيِّنَ بِهَيْجَةِ هَذِهِ الْوُضُوفَةِ بِجَمَالِهِ ، وَنُنَزِّهَ إِشْرَاقَهَا بِنُورِ فَضَائِلِهِ الَّتِى لَوْ قَابَلَهَا بِدُرِّ الْأَفْقِ  
نَازَعَتْهُ حُلَّةُ كَمَالِهِ .

فلذلك رَسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعِدَلته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتِكَات الظلم كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليباشِر هذه الوظيفة السنية مفجراً ينابيع العلوم في أرجائها ، محققاً للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوحائها ، موصّحاً طُرُقها بإقامة براهينه وأدلّته ، مُبْدِياً دقائقها التي يُشْرِق بها أفقُ الفكر إشراق السماء بنجومها والأفق بأهلتها ، مُظهِراً من غوامضها ما يُقَرِّب على الأفهام منالها ، ويُفَسِّح لحياد القرائح مجاله ، وينقِّح لكل ذى ترو ورويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذى قطع إلى بلوغ الغاية مسالك اللبالي ، والإمام الذى غاص فكره من كل بحر لجج المعاني فاستخرج منها مكنون الآلى ، مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ، مليٌّ بما يلزم هذه الوظيفة من الخصائص والمزايا ؛ فإن البحر يابى إلا تدفقا ، والبدر إلا تألقا ، والله تعالى يزيد من فضله ، ويزين به أفق العلم ويزيد منا دنوا قُرب محله .

### الوظيفة الثالثة

#### (الحسبة)

وقد تقدّم أن موضوعها التحدّث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشتمل على حسبتين :

(١) الأولى - حسبة القاهرة : وهى أعلاهما قدرا ، وأنخمهما رتبة ؛ ولصاحبها مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو يتحدّث في الوجه البحرى من الديار المصرية فى ولاية النّواب وعزلهم .

(١) أى والثانية حسبة القسطنطينية التى سيأتى لها توقيع بعد صفحات .

قلت : ولم تزل الحِسْبَةُ تُؤَلَّى للتعممين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيدية شيخ ،  
فولَّاهَا للأمير سيف الدين منكلى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُوبِيَّة . على  
أنَّ فى سِجَلَات الفاطميين ما يشهد لها فى الزمن المتقدم . وربما أُسِنِدَتْ حِسْبَةُ  
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسْبَةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدد عوائد الإحسان ، ومُجْرِى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،  
على ما أَلْفَوْه من الرُّتَب الحِسان ، ومضاعف نِعَمنا على من آجَتْنى لنا بحُسن سيرته  
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نِعَمه التى لا تُحصى بعدها ، ولا تُحصَر بحدها ، ولا تُستَرادُ بغير شُكْرِ آلاءِ  
المنعم وحمدها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقيمها فى كُلِّ حُكْم ، وتحاولُ  
سيوفنا جاحديها فتنهض فتَنطِقُ بالحجة عليهم وهم بكم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله  
أشرف من أتمم بالعدل والإحسان ، وأعدل أمرٍ أُمته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا  
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آحتسبوا فى سبيل الله جلَّ عتادهم ،  
وآحتسبوا أنفسهم فى مقاطعة أهل الكُفر وجهادهم ؛ فلا تُنتهب جنائبها فى الوجود ،  
وتسرى نجائبها فى التَّهائم والنُّجود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى مَنْ دعاه إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بَدْره ، وإعلاء رُتَبته ،  
وإدناء منزلته ؛ وإعلام مُحْلِص الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يُضيع أجر  
مَنْ أحسن عملا ، وأنَّ كرمنا لا يُجيب لمن أسلف سوابق طاعته فى أيامنا الشريفة  
أملا ؛ مَنْ لم تزل خِدمته السابقة إلى الله مقربته ، وعن طُرُق الهوى مُنكبه ، وبالله

مَذْكُورُهُ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَوْفَرُهُ؛ مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ بِمَعْرُوفٍ، وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ؛ وَنَهْيٍ عَنْ مَنكَرٍ، وَاحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أَتَى فِيهِ بِكُلِّ مَا تُجْمَدُ خَلَاتِقُهُ وَتُشْكَرُ، وَاجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَاجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَرْضِينَا مِنْ أَتِّبَاعِ سِيرَتِنَا السَّرِيَّةِ؛ وَشِدَّةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَامَ، وَرِفْقٍ بِالْخَلْقِ إِلَّا فِي يَدَعٍ تُتَنَكَّرُ بِهَا حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ غِشٍّ إِنْ لَمْ يُحْصَ ضَرَرُهُ الْخَاصَّ فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْمُ الْعَامَ.

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي آخِضٌ مِنْ خِدْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا، وَأَسْلَفَ مِنْ طَاعَتِنَا، مَا أَقْتَضَى تَقْرِيْبَهُ مِنَّا وَاسْتِدْعَاءَهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقْنَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الرِّعَايَا وَكَانَ مَشْكُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلَيْسَتْ تَقَرُّ فِي ذَلِكَ مَجْتَهِدًا فِي كُلِّ مَا يَعْمُ الْبَرَايَا نَفْعُهُ، وَتُجَلُّ لَدَيْهِمْ وَقَعُهُ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ، إِلَى مَا لَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ يَضِيقُ بِالْإِحْتِكَارِ، عَلَى ضَعْفَائِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ؛ وَيَذُبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبَهَ تَعْطِيلِهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامَلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيمِهَا وَتَحْلِيلِهَا؛ وَيُرِيهِمْ بِالْإِنْصَافِ مَنَارَ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنَ الْمُطَفِّينَ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، وَيُقَابِلُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّأْدِيبِ الَّذِي يَرَدُّعُ مِنْ أَصْرَفِهِ عَلَى الْمَخَالَفَةِ وَيَزَعُ؛ وَيُلْزِمُ ذَوِي الْهَيْئَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ مَنَاصِبَهُمْ، وَتُؤَافِقُ مَرَاتِبَهُمْ، وَتَنْزِعُهُ عَنِ الْأَدْنَسِ مَكَاسِبَهُمْ، وَتَصُونُ عَنِ الشَّوَائِبِ شَاهِدَهُمْ وَغَائِبَهُمْ؛ وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي الْبُيُوعِ أَنْ يَغْنَبُوا ضَعْفَاءَ الرِّعَايَا وَأَغْيَاءَهُمْ، وَلَا يُفْسِحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.

وليحمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التى غدت لها الشريعة الشريفة مبيحة ، ويحنبهم العقود الفاسده ، والحيل التى تغر بتدليس السلع الكاسده ، وهو أخبر بالبيع المنصوص على فسادها فى الشرع الشريف ، وأدري بما فى عدم تحريرهم المكاييل والموازين من الإخسار والتطفيف ، فليفعل ذلك فى كل ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدخره عند الله ويحتسب ، ولتكن كلمته فى ذلك مبسوطه ، ويد تصرفه فى جميع ذلك محيطه وبما يستند إليه من أوامره محوطة ، وليؤص نوابه بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإشارة طريقته كل حال حالك ، ويقدم تقوى الله على كل أمر ، ويتبع فيه رضا الله تعالى لارضا زيد وعمرو ، والخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة الفسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً إليها ، وهى :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الشاهد بالعدل الذى تقوى به كلمة الإيمان وتضر ، والغامر بالجود الذى لا يحصى والفضل الذى لا يحصر، العامر ربوع ذوى البيوت بتقديم من أنعقدت الخناصر على فضله الذى لا يجحد ولا ينكر .  
نحمده على نعمه التى لا تزال السنة الأقلام ترقم لها فى صحف الإنعام ذكراً ، وتجدد لها بإصابة مواقع الإحسان العام شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك فيؤول فجراً ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى قمع الله به من آغتر بالمعاصى وغرر ، وأقام بشريعته لواء الحق الأطهر ومنار العدل الأظهر ، وعلى آله وصحبه



الذين سلكوا من الهداية بإرشاده مَنَهِجَ الحق الأَنُور ، وَاحْتَبَسُوا نفوسَهم في نُصرتِه  
فَفَارَزُوا من رضاه بالخط الأَوْفَى والنصيب الأَوْفَر .

وبعد ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصُورَه ،  
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيِّدَةً منصُورَه ، وأحكامنا المشهورة  
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطُورَه ، وألهمنا من أتباع الشرع الشريف  
ما غَدَّتْ به قلوبُ الرعايا أمانةً مسرُورَه - قصدنا أن نختارَ لمراتب الديانة والعفاف  
مَنْ لم يزل بيته بالصدارة علياً ، ووصفه بأنواع المحامد والممادح ملياً .

ولما كان فلان هو الذي ورث السَّيادة ، عن سلفٍ طاهر ، وتلقَّى السعادة ،  
عن بيتٍ فروعه التقوى فأزرت بالروض الزاهي الزَّاهِر ، وسرت سرَّاءه بحسن سيرته  
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، ونثقل في المراتب الدنيئة فأرْبى  
في حُسن السلوك على غيره ، وسلك من الأمانة الطريق المُثلى ، وأَعتمد ما عَدِمَ به  
مُضاهيا ومِثْلا ، وجنى ما نطق بإنصافه فَضَّلُ الكيل والميزان ، ورجاه من أهل  
الخير كل ذي إحسان وخشية أهل الزَّيغ والبُهتان ، وكانت الحِسبة المباركة بمصر  
المحروسة قد أَلِفَتْ قضاياه وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفة وشكرت نقضه  
وإبرامه ، وفارقها على رَغْمِها منه آختيارا ، وعادت له خاطبة عَقيلة نَراَهته التي  
لا تُجاري .

فلذلك رَسِمَ بالأمر الشريف العالى أن يفوض إليه كذا . فليَقَدِّم خيرة الله  
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليُقيم منارها بإقامة حدودها الشريفة ، وليُنظر في الكيل  
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، وليُنشر لواء العدل الذي طالما خَفَقَتْ  
بُيُودُه في أيَّامنا حتَّى غدا قلبُ المجرم وهو خافق ، وليُحسِّن النظر في المطاعم

والمشارب ، وليردع أهل البدع ممن هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الأئمة ما يغني عن الإسهاب في الوصايا ، ويعين على السداد في نفاذ الأحكام وفصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الحبير بما يأتي ويذر ، والصذر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أو صدر ؛ والله تعالى يعمر به للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أيماننا الشريفة ثوبا بالثواب معلما ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردها فى "التعريف" وهى :

وقد ولي أمر هذه الرتبة ، ووكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ؛ فلينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وما يحصر بالمقادير وما لا يحصر ، وما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر ؛ وما يشتري ويبيع ، وما يقرب بتحريره إلى الجنة ويبعد من النار ولم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . وليعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عرضت عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ؛ ولينفق أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ ولتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمناء من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به . وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعته مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والنقود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف مالا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليصد لمهمات بصدره الذى لا يخرج ،

وليعرض منها على المحاك من رأيه مالا يجوز عليه بهرج ، وما يعلق من الذهب  
المكسور ويروبص من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم  
عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شمس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس  
الحرباء ، وليقيم الضمان على العطارين والطريقية من بيع غرائب العقاقير إلا ممن  
لا يستراب فيه وهو معروف ، وبخط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف .  
والطريقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال  
الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القليل هو في الحقيقة  
شيطان لا إنسان ، امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا ينجز لهم  
صدع ، وصب عليهم النكال وإلا فما يجدي في تأديبهم ذات التأديب والصفع ،  
وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يجدد ضعفاء الناس من هذه الأسباب  
الرثيثة ، ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل بباطل درهما ، أو أخبر مشترايا  
بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ، أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى  
يضعف منه الجلد ، وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من  
الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الظباء والجآذر ، ومن يقدم على ذلك  
ومثله وما يحاذر ، أرسقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم بإقدامك ، ولا تدع منهم  
إلا من اختبرت أمانته ، واخترت صيانتته . والنواب لا ترض منهم إلا من يحسن  
نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ، وتقوى  
الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه  
بمذهب مالك .

## الوظيفة الرابعة

## (وكالة بيت المال)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وأن متوليها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأن له مجلسا بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظركسوة الكعبة الشريفة وصارا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل ، ومكمل الرتب السنية ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدمت منه خلتان : الحرص والأمل ؛ جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامة زينة أيماننا التى نلتفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سرى النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، ألسنة الأسل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاد ، لها الغمود جفون والسهام أهداب ، والسيوف مقل ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة العامية والافصواب العربية مشروياته بالياء .

المتنبى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفوا بأسنة سنته العلل والغلل ، وتفردوا بكمال المفخر فإذا خلعت الأقلام على أوصافهم حلا غدت منها في أبهى من الحلل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائها ، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو المهم المقدم لديه ، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخرته هو المرئى المصور بين عينيه ، مع ما أتصف به من محاسن سجايا جبلت عليها طباعه ، وخص به من سوابق مزايا رحب بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، ربتان يعم نفعهما ويخص ، ويحسن وقعهما بما يبيديه من أوصافه ويقص ، ويتعلق كل منهما بجماعة الأمة فردا فردا ، ويشتملان على منافعهم على اختلافها بدأ وإعادة وعكسا وطردا ، ويكون المتصدى لهما مناقشا على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون ، ومناضلا عنهم وهم غافلون ، ومشمررا للسعى في مصالحهم وهم في حبر الدعة رافلون ، ومتكلفا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلا بالتحري في المحاورة عنهم وإصابة شكلة الصواب ، ومؤديا في نصيحهم جهده تقربا إلى مراضينا وله عندنا الرضا وابتغاء ثواب الله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آئلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ، راجعة إلى ما يعمهم مساره ، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ، صائنة حقوقهم من تعدى الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملة الناصبه ، وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعمها ،  
 وأكد الوظائف العامة وأكملها استقصائية لمصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ  
 على ذوى الهيئات أقدارهم ، ويبين بتجنب الهنات فى الصدر مقدارهم ، ويصون  
 بتوقى الشبهات إيرادهم وإصدارهم ، وينزه معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه  
 تنافى كمال الصحة وتناقضها ، ويحفظ أقواتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ،  
 إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبها ، وتتبع الأقوال  
 التى تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ، ولذلك لا تجتمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة  
 العمل ، واقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له فى التعرض إلى غيره أمل ،  
 وسمت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التيق أفضل ما يرتقى ، وعرضت عليه  
 أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما يلتقى ، وتحلى  
 بالأمانة ، فصارت له خلقا وسجية ، وأنس بالنزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنجاة  
 نجيته ، وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتشبث بأهدابه ، وآتصف  
 به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ، واحترز لدينه  
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متهما ولا عليها بظنين ،  
 وأجتنى ثمار المحامد الحلوة من كمال الأمانة المبره ، وعلم أن رضا الله تعالى فى الوقوف  
 مع الحق فوقف معه فى كل ماساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه  
 آدابه ، وتجاوزته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم  
 ولا أولى به ، وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،  
 وتوهت بذكره العلوم الدينية التى أتقنها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ، فأوصافه  
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وَأَجْتَمَاعِهِ ، الْمُنْبَهَةِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا كُلُّ مَا يَجِدُ مِنْ  
أَصْطِلَاعِهِ بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الرُّتَبِ وَأَطْلَاعِهِ ، فَهُوَ سِرٌّ مَا ذُكِرَ مِنْ نَعْوَتٍ وَأَوْصَافٍ ،  
وَمَعْنَى مَا شَهِرَ مِنْ مَعْدَلَةٍ وَإِنْصَافٍ ، وَرُقُومٍ مَاحِبٍّ مِنْ حُلَلٍ أُفِيضَتْ مِنْهُ عَلَى أَجْمَلِ  
أَعْطَافٍ - رُسَمٍ <sup>(١)</sup> أَنْ يَفُوضَ <sup>(١)</sup> تَفْوِيضًا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ فِي أَحْسَنِ  
مَوَاقِعِهِ ، وَنَضَعُ بِهِ الْحُكْمَ فِي أَحْمَدِ مَوَاضِعِهِ ، وَيُحَلُّ مِنْ أَجْيَادِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ مَحَلَّ  
الْفَرَائِدِ مِنَ الْقَلَائِدِ ، وَيَقَعُ مِنْ رِيَاضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَقُوعَ الْحَيَا الَّذِي سَعِدَ بِهِ  
رَأْيُ الرَّائِدِ .

فَلْيَبَاشِرْهُمَا تَيْنِ الْوُظُفَتَيْنِ مُرْهَفًا فِي مَصَالِحِهِمَا هَمَّةً غَيْرَ هَمَّةٍ <sup>(٢)</sup> ، مُجْتَهِدًا مِنْ قَوَاعِدِهِمَا  
فِيمَا تَبَرَّأَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُ الدِّمَّةُ ، مُحَاقِقًا عَلَى حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ حَيْثُ كَانَتْ  
مُحَاقَقَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ بِذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مُتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ فَلَا يَغْدُو لِمَا يَجِبُ  
لَهُ مُهْمَلًا ، وَلَا لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مُمَاطِلًا ، وَاقِفًا مَعَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلِيلِيِّ فِي الْأَخْذِ  
وَالْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سَيَّانٍ مَنْ تَرَكَ حَقًّا أَوْ أَخَذَ بَاطِلًا ، مُجْرِيًا عَوَائِدَ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ  
تُدِيرِهِ ، وَعُزِيفَ مِنْ إِتْقَانِهِ وَتَحْرِيرِهِ ، وَشُهِرَ مِنْ أَعْتِمَادِهِ لِلْوَاجِبِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ،  
مُكْتَفِيًا بِمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ مَصَالِحِهَا ، مُنْتَبِهًا إِلَى مَا سَبَقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ مِنْ  
أَسْبَابِهَا وَمَنَاجِحِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ فِي أَجْتِهَادِهِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا يَدَّخِرُهُ لِمَعَادِهِ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية وكيل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلّا حق رجل واحد ، والمكلف  
بالمخاصمة عنهم حتى يُقَرَّ الجاحد ، وهو القائم للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) بياض في الموضعين والغرض منه الاختصار والميض له مفهوم مما تقدم مرارا . (٢) أى غير ضعيفه .

ومنا بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمُعَدّ لتصحيح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المنقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابتُ القدم والأقدام غير ثابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكم ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إماتة كل مخاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يجد بدا من الإشهاد عليه بَعْدَ الدافع ، والانتهاى إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقل ولا شفاعة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [ وُمتحن الشهود ]<sup>(١)</sup> ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولهم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغلبة بحسب الأوقات الحاضرة .

ونحن نوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتهاى فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحذر من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحقوقها ميراثه ، وتحوز بحظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [ مستحقه ]<sup>(١)</sup> إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيتته منكراً ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهادتهم فى الاستفسار منهم على جمرهم ؛ وتبّع باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكيمه ويتبخرت ؛ فإن تحققت صحة شهاداتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .



وإلا فأشهرهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخفف عنهم العذاب ولا يفتّر؛ وكل ما يُباع أو يُؤجر أرجع فيه إلى العوائد، وتقلّد أمر الصغير، وجدّد لك أمراً منّا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والتأني كلّ التأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته، وشهود القيمة عليهم المدار، وبشهادتهم يُقدّر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوى الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبر والجدار، ومن اشترى العقار واستغله وبني الدار، وإلا فاعلم أن مثله لا يرجع إليه، ولا يعول ولا سيمّا في حق بيت المال عليه، فاتفق<sup>(١)</sup> مع ولاة الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كلّ الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهادة؛ ولك أن تدعى بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجّح، وأن بيتهم تكون عنده أوضح، فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجلّه الله تعالى - ونحن لا نغيّر العوائد، ولا ننقض ما بنيت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعيّنّت، وإقامة البيّنات عليها إذا تبيّنّت؛ والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستنيبهم عنك بالأعمال لا تُقرّ منهم إلا من تقرّ به عينك، ويوفّق به عند الله لا بما تُحصّله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعمله مصلحاً، ولأمله مُنجحاً، لا تغبرّ عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كلّ وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضاً والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم.

## الوظيفة الخامسة

## ( الخطابة )

وهى من أجل الوظائف وأعلاها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .  
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلعة الجبل المحروسة ، حيث مُصَلَّى السلطان ،  
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى أنار بالذِّكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذِّكرى بصائر أصفياه ،  
وأنال أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، واختار لإذكارنا بآلاء الله  
من فُرسان المنابر مَنْ يُجاهد الأعداء بدُعائه ، ويُجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم  
كلُّ منهم أنَّ فى مؤلِّم صَوادِعه دواء دائه ، فإذا أفتَحَ بحمد الله أثنى عليه بهواده علمه  
حقَّ ثنائه ، ونزَّهه بما ينبغى لُسُبحات وجهه وجلالِ قُدسه وتقدُّس أسمائه ، وأثنى  
كما يجبُ على نبيِّه صلى الله عليه وسلم الذى آدمَ ومنَّ بعده من الرُّسلِ تحتَ لوائه ،  
وإذا تُليتْ على خيلِ الله خُطبته تشوَّقَتْ بقاء أعداء الله إلى لقاءه ، وخطبتِ الجنانَ  
من بذل نفوسها ونفائسها بما أقتنَّه فى سبيل الله لا تقائه .

نحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متبعين ، وعلى حمده فى كل  
ملا من الأولياء مجتمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تحتال بذكرها أعطاف  
المنابر ، وتتعطر ألسنة الأقلام بما تنقله منها عن أفواه المحابر ، ونشهد أن محمداً  
عبده ورسوله الذى هدى الله من تقدَّم من الأمة بحُبره ومن تأخر بحُبره ، وجعل  
روضة من رياض الجنة بين قبره ومنبره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أَوَّلُ مَنْ عُقِدَتْ بِهِمُ مِنَ الْجَمْعِ صَلَوَاتُهَا، وَأَكْرَمُ مَنْ زُهِيتَ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَنَابِرِ صَهَوَاتُهَا؛ صَلَاةٌ لَا نَزَالَ تُقِيمُهَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَنُدِيمُهَا فِي كُلِّ مَثَرٍ فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدٌ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوْلَى الْمَنَابِرِ أَنْ يُتَادَ لَهُ مِنْ أُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَامَةٌ عَصْرُهُ، وَرُحْلَةٌ مِصْرُهُ، وَإِمَامٌ وَقْتُهُ الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ، وَعَالَمٌ زَمَانُهُ الَّذِي يَقُومُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِمَّا يَأْخُذُ فِي الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا يَدَعُ، مِنْبَرٌ نَذَرٌ بِآلَاءِ اللَّهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَإِنْ لَمْ تَنْزَلْ لَهَا مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَنُبْنَهَ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَنُشَوِّقُ عَلَيْهِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النُّصْرِ وَالْأَجْرِ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْأَبَدِ إِلَيْهِ مُبَادِرِينَ، وَإِلَى إِقَامَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ بِهِ مُبَاكِرِينَ .

ولما كان فلان هو الذي تَعَيَّنَ لِرُقِيِّ هَذِهِ الرُّتْبَةِ نَحْطِبُ لِحَطَابَتِهَا، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كُفُوُّهَا الَّذِي تَتَشَوَّقُ النُّفُوسُ إِلَى مَوَاعِظِهِ فَتَرْغَبُ فِي إِطَاتِهَا لِإِطَاتِهَا - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَحَلِّيَ بِفَضَائِلِهِ أَعْطَافَ هَذَا الْمَنْبَرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَخْتَصَّ نَحْنُ وَأَوْلِيَائُنَا بِسَمَاعِ مَوَاعِظِهِ الَّتِي تُرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي أَفْقِ الْمَنَابِرِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً، وَيُقِيمُ شَعَائِرَ الدِّينِ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ بِكُلِّ مُشْرِقِ الْعَلَانِيَةِ طَاهِرِ السَّرِيرَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا : فَلْيَحَلِّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّبْ لغيره جَيَادُهَا، وَيَحَلِّ هَذِهِ الْعَقِيلَةَ الَّتِي لَا تُزَانُ بِسِوَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَجْيَادُهَا، وَيَرْقَ هَذِهِ الْهَضْبَةَ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ صُعُودُهَا، وَيَلْقَ تِلْكَ الْعَصْبَةَ الَّتِي تَجْتَمِعُ لِلأَوْلِيَاءِ بِهِ (؟) حُشُودُهَا. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْإِبْلَاحِ عَنِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَالْإِعْلَامِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ

جاهد فى الله حقَّ جهاده ، والإنذار لمن قَصَّرَ فى إعدادِ الأُهبَةِ ليومِ معادِهِ ، وهو  
 محضَر من حُماة الإسلام ، ومَشْهَدٍ مِمَّنْ قَلَدْنَاهُ أَمْرَ أُمَّةٍ سَيَدِنَا مَجْدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ  
 وَالسَّلَامِ ، فَلْيَقْصُرْ خُطْبُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَحُضُّ عَلَيْهَا ، وَعَزْمَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُشَوِّقُ  
 إِلَيْهَا ، وَمُعْدَلَةً يَصِفُ مَا عَدَّ اللَّهُ لَوْلَاةِ أَمْرٍ قَدَّمَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَتَوْبَةٍ يَبْعَثُ الْهِمَمَ ، عَلَى  
 تَعَجِيلِهَا ، وَأَوْقَاتٍ مَكْرُومَةٍ يَنْبَغُ الْأَمَمُ ، عَلَى أَحْتِرَامِهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَعْجِيلِهَا ، وَدُنْيَا يُنْذِرُ مِنْ  
 خَدَاعِهَا ، وَيَسِّتٍ لِلْغُتْرِ بِهَا مَا عَرِفَ مِنْ خِلَاتِقِهَا الْمَذْمُومَةِ وَأَلْفٍ مِنْ طِبَاعِهَا ، وَأُخْرَى  
 يُوَضِّحُ لِلْمُعْرِضِ عَنْهَا وَشَكَّ قُدُومَهَا ، وَيَحْذَرُ الْمُقْصِرَ فِي طَلَابِهَا مِنْ عَذَابِهَا وَيَبَشِّرُ الْمُشْمَرَّ  
 لَهَا بِنَعِيمِهَا . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَلْسِنَةِ لَمْ تَعُدْ الْأَسْمَاعَ ، وَلَمْ  
 يُحْصَلْ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ تَعَقُّلِ الْقَرَأْنِ وَالْأَشْجَاعِ ، وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقُلُوبِ وَقَعَتْ  
 فِي مِثْلِهَا ، وَأَثْمَرَتْ فِي الْحَالِ بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى فَرْضِ الطَّاعَةِ وَنَفْلِهَا ، وَسَكَنَتْ فِي السَّرَائِرِ  
 طِبَاعَ طَاعَةٍ تَأْبَى عَلَى مُحَاوَلِ نَقْلِهَا ، وَقَدَحَتْ فِي الْبَصَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ يُعْهَدَ  
 مِنْ قَبْلِهَا . وَلْيَجْعَلْ خُطْبُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَنَاسِبَةً لِأَحْوَالِ مُسْتَمِعِيهَا ، مُتَنَاسِبَةً  
 فِي وَضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ إِدْرَاكِ مَنْ يَعْبَى غَوَامِضَ الْكَلَامِ وَمَنْ لَا يَعْبَاهَا ، نَخِيرُ الْكَلَامِ  
 مَا قَلَّ وَدَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصَرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مُنْبِئِينَ عَنْ فَقْهِهِ فَمَا قَصَّرَ  
 مَنْ حَافِظٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَخْلَّ ، وَلْيُوشِّحْ خُطْبُهُ مِنَ الدُّعَاءِ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يُرْجَى  
 أَنْ يُوَافِقَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ ، وَإِذَا تَوَخَّى الْغَرَضَ بِدُعَائِهِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ فَقَدْ تَعَيَّنَتْ  
 - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْإِصَابَةُ ، وَهَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 وَتَرْفَعُ الْمُحْسِنِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ - وَقَدْ فَعَلَ - مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ،  
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وليرق هذه الرتبة التي رُفِعَتْ له ذُرا أعوادِها ، وقُدِّمَتْ له من المنابر مُقَرَّبَاتُ جِياذِها ، وليصعد منها على أعلى دَرَجِه ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المُشْرِق مُسَرَّجِه ، وليرغ حق هذه الرتبة الشريفة ، والذروة التي ما أُعِدَّتْ إِلَّا لِإِمَامٍ فَرِدَ مثله أو خليفه ، وليقف حيث تُحَقِّقُ على رأسه الأعلام ، ويتكلم فتخرس الألسنة وتُجْفُ في فم الذرا الأعلام ، وليقرع المسامع بالوعد والوعيد ، ويذكر بأيام الله مَنْ (( كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيد )) .

ويلين القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة والحديد ، وليكن قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليسبل عليه درع التوبة قبل أن يتكلم ، وليجعل لكل مقام مقالا يقوم به على رؤوس الأشهاد ، ويفوق منه سهما لا يخطئ موقعه كل فؤاد ، وليقم في المحراب مقام من يخشى ربه ، ويخاف أن يخطف الوجل قلبه ، وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما انفقت عن مثل دُرته المكنونه ، وصناديق الصدور ما أطقت على مثل جوهرته المخزونه ، وليؤم بذلك الجم الغفير ، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير ، وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأول الأعمال التي توضع في الميزان ، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان ، وليقم بالصلاة في أوقاتها ، ويرسخ بها الناس في أول ميقاتها ، وليخفف مع الإتمام ، وليتحمل عمن وراءه فإنه هو الإمام ، وعليه بالتقوى في عقد كل نيّة ، وأمام كل قضيه ، والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور ، وينصب له مع الأئمة المُقْسِطِينَ يوم القيامة عن يمين الرحمن منابر من نور ، بمنه وكرمه .

## الوظيفة السادسة

( الإمامة بالجموع ، والمساجد ، والمدارس البكار التى تصدر التولية )

عن السلطان فى مثلها )

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراما ،  
وتخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قرة أعين وجعله للتقين إماما ، وقدمه  
على أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو مخلصها جلالا وساما ، والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد الذى أم الناس وعلمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محمودا  
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقا واعتصاما - فإن خير الرتب  
فى هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة  
وأم ، فاخترها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سناءها ورفعها ، فزاد بذلك  
سموا إلى سموه ، وحصل على تضاعف الأجر ومؤدب ، وهو فلان .

رسم - لا زالت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصالة والصدارة بجزيل فضلها ،  
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع  
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جاريا فيه على أجمل العادات ،  
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمد منه من تأهيل معاهد العبادات ، ورعاية  
لتكثير المبائر ، وترجيحا لما أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار ،  
وتوفيرا للنجاح التى عرفت من بيته الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل بار ، ووثوقا

بأنه يعتمد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الاستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة السابعة

( التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة )

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِبَ به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله متم فضله على كل أحد ، ومقر النعمة على كل والد وولد ، الذي خص أوليائنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد ، وأستصحاب المعروف فما يزرع منهم خاتم من يدٍ إلا ليد .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد ، ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجدد ، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول ، ومواهبنا الجزيلة ... (١) ... تتحول ، وكرمنا يمهّد منازل السعود لكل بذر يتنقل ، وشيئنا الشريفة ترعى الذمم لكل من أنفق عمره في ولائها ، وتحفظ مالها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها ، مع ما نلاحظه في استحقاق التقديم ، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم ، وحصل

(١) بياض بالأصل ولعله لا تزال لأوليائنا تتحول . وفي اللسان "التحول التعهد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكثير ، واستمد من نور والده وهو البدر المنير ، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع ، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع ، والواحد الذى ساد فى رتبة أبيه وما خلت من مثله - لا أخل الله منه البقاع ! .

وكان المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى ، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله ، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا تردُّ العيون كليله ، ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن ينوه بذكره ، ويُنَبِّه على المعرفة بحق قدره ، فأثر الزول له عمًا باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه ، ويقرر فوائده وينشر أعلامه ، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه ، فعلمنا أن البركة فيما اشار ، وأن اليمين بحمد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه ، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يرتب فى هذا التدريس عوضًا عن والده ، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز ، وأولى بمصر من سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده ، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بمدده ، والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير ، وتقريب وتقريب ، وتأثيل وتأثير ، وتقليل وتكثير ، ونص وتأويل ، وترتيب وترتيل ، وفى كل ما تزداد به رفعتك ، وتطير به سمعتك ، ويحسن به الشئ على دينك المتين ، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المين .



وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبركنا وبأيك وباستحقاقك ما آرتدَّ به كثيرٌ عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ، فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعيُّ لك به الراية ، ويأتمُّ بك إمام الحرمين في النهايه ، فقد أمسيت جارا للبحر فاستخرج جمانه ، واجتهد لتصيب في فتاويك فإن أوليك سهام رميها من مكانه ، وسبيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتماد<sup>(١)</sup> .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الدست ، كُتب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد خزانة الخاص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلا بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمدا لله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقربها من ذوى الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإنتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علم علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتهاجها ، وجعل عوارفنا ترعى الذرية الصالحة في عقبها وتولى كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مواجها ، والشهادة له بالوحدانية التي تنفى شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمائها حتى صارت كأنبيا بني إسرائيل بحسن استنباطها للجمل وجميل استخراجها ، وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه الملة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى إلى آخر ما يقال في مثله .

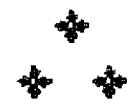
مدارس العلم بصالح العمل ، وإظهار سرّ الفوائد للطالبيين ، وحلّ عقود مُشكلاتها  
بجميل الاطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من  
مذهبه المذهب خير محضول ، ونشأ في حجر الفضائل ، وأقتدى بحكّام بيته الذين لهم  
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ، وله في الآباء والأبوة ،  
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مرجؤه ، طالما سارت أحكام عمه - أجله الله -  
في الأقطار ، وحكم فأبدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار ، وله العفاف والتقى والمآثر  
الجميلة وجميل الآثار ، والفتاوى التي أوضح بها مشكلاتها ، وفتح مقفلاتها ، والفصل بين  
الخصوم بالحق المجلى ، والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر ، والتصميم  
الذي آقترن بغزارة العلم والوقار الظاهر ، فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء  
العاملين ، وله البشرى بما قاله أصدق القائلين ، في النبأ الذي تتم به الزيادة والنماء :  
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

ولما كان المجلس السامى هو الذى أستوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى  
مالكاً مالكا أزمة الفضائل حائراً من أثوابها أنحر ملبوس ، وله بخزانة خاصنا  
الشريف وإضطبلاته السعيدة الشهادة البينة ، والكتابة التي هي العز الحاضر  
فلا يحتاج معها إلى إقامة بينه ، والكفالة التي نطق بها الأفواه مسرة ومعلنة ،  
والأمانة التي حذا فيها حدوا أبيه وأتبع سننه .

فلذلك رُسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُنقى المراتب الدينية لمن أضحى محله  
مناسبا لمحلها ، أن يستقر ... (١) ... فلينب عن عمه في هذا التدريس ،  
وليقف ما يسر النفوس من أثره النفيس ، وليفد الطلبة على عادته ، وليبذل لهم من

(١) بياض بالأصل ومراده في تدريس زاوية الشافعى الخ .

النقول ما يُظهر غزير مادته ؛ وليستنبط المسائل ، وليجب بالأدلة المسائل ؛ وليرجح  
المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة  
بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وليترصد من العلوم ليبلغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ،  
والله تعالى يسدّد له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لتربة الإمام الشافعي  
رضي الله عنه ، كُتِبَ به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين  
ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافعي عيّ البعث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن  
لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع  
من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق لما عدل إلى شرح وجيز سواء الرافي .

نحمده على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلّها ، وأستيداعها عند أهلها ، وتأثيرها  
بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يترن بها المقال ، ويتبين بها  
الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه موضح الطرق إلى الحق  
المبين ، وناهجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبّع الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق  
وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام  
المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهّز جيش العسرة فثبت جأش المسلمين ،

وممنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى « محمد بن إدريس » رضى الله عنه هو شهادة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتأخّط ، وطراز ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ، وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تُسَدّ إليه الرّحال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ، ومن يحسن إلى ضريحه المنيّف الاستناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرمى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! ، وما أسعد حلقة تجمع بين يدى جدته يتصدّر فيها أجل خبر ، ويتصدّى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : « قال صاحب هذا القبر » - حسن بهذه المناسبة أن لا ينتصب فى هذا المنصب إلا من يحمّد هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدّر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطّة فيقال قد جعل الله به دارة هذا البدر وعمرّه من هذا المدرّس داره ، الذى يفتقر إلى تنويع نعمه ، وتنويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ، ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يحتلّ ومن يحتلّ ، ومن يهنا المستفيدون من عدوبة ألفاظه وصفاء معانيه بالموارد الهني ، ومن إذا سحّ سحابه المطال اعترف له بالهمم والهمول المزنى ، والذى لسعد جدّه من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم ببنيه من أشبال ! ، وأعزّز به من فاتح أبواب إشكالات تجزّ عن فتحها القفال ! ، ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأقياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مضره جلالة ولا يُنكر لبحر المضر الإشارة

بالأصابع ولا القياس ؛ ومن يزهُو بتقلى قلبه ورقى جوابه لسان التعويل ولسان التعويد ، كما يَمِيس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيذ ، ومن يَفْخَر [ به ] كلُّ عالم مفيد إذا قال : أنا بين يديه طالب وأنا له تلميذ ، ومن حينما ألفت وجدت له سُوددا جمًّا ، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارة ، ومن هنا خطابة ، ومن هنا مشيخة ، ومن هنا تدريسا ، ومن هنا حُكْمًا ! ! ! ! ، فهو الأصل ومن سواه فروع ، وهم الأئمة وهو الينبوع ، وهو مجموع السيادة ، المختار منه الإفاده ، فما أحسنه من اختيار وما أتمه من مجموع ، وكان قاضى القضاة ، سيد العلماء ، رئيس الأصحاب ، مقتدى الفرق ، قُدوة الطوائف ، الصاحب تقي الدين « عبد الرحمن » ولد الصاحب قاضى القضاة تاج الدين بن [ بنت ] الأعرى أدام الله شرفه ، ورحم سلفه ، هو منتهى رغبة الراغب ، ومُستهى مُنية الطالب ، ومن إذا أضاعت ليالى القُوس بأقمار فتاويه قيل ( بياض العطايا فى سواد المطالب ) ، ومن نتفق الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب ، ومن عليه يحسن الاتفاق ، وبه يجمل الوفاق ، وإذا ولي هذا المنصب أبتهج بولايته إياه مالك فى المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضى الله عنهم فى العراق ، وأهترت به وبجاورة فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طربا ، وقالت " الأم " لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجدك وإبائك جدًا وأبا ، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضى الله عنهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً ، وهذه نسمات صبا ، كانت الإفادة هنالك تعرفها منك من الصبا .

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك المحراب بارئها ، وخص بشق سهامها من لا يزال سعدة مبارئها ، وجل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [ عليه ] الدرر تحسد دراريها ، وألم حسن الاختيار أن يجرى القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه ، ويجل فى أثناء الطروس وضعه وموضعه .

فُرِسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أجهز الله بالصواب ،  
وكشف بارتبائه كل آرتياب ، ولا زال يختار وينتقى للنصاب الدينية كل عالم  
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية الناصرية  
المجاورة لصريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليخول ولينول كل  
ذى استفاده ، وليجمل منه بذلك العقد الثمين من علماء الدين بأخف واسطة تفخر بها  
تلك القلادة ؛ وليذكر من الدروس ما يهيج الأسماع ، ويرضى الانتجاع ، ويجاد به  
الانتفاع ، ويحتلبه من أخلاف الفوائد ارتضاء الارتضاع ، ويتناقل الرواة  
فوائده إلى علماء كل أفق من البقاع ؛ وليقل فإن الأسماع لفوائده منصفته ،  
والأصوات لمباحته خاشعة والقلوب لمهابته محبته ؛ ولينفض قوى المسائل بما  
يحصل لها أعظم انتعاش ، وليمت ما أماته إمامه من البدع فيقال به له : هذا محمد  
ابن إدريس مذقمت أنت عاش ؛ ولتسمع بعلمه من به من الجهل صمم ، ولتستنطق  
من به من الفهاهة بكم ، وليحقق عند الناس بتعصبه لهذا الإمام أنه قد قام بالتنويه  
به الآن الحاكم ابن الحاكم أخو الحاكم كما قام به فيما سلف بنو عبد الحكم .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أقسامها ،  
وجهينة أخبارها ، ومطلع أنوارها ؛ فلا يعاد ، عليه ما منه يستفاد ، ولا ينثر عليه دُر  
هو منظمه في الأجياد ؛ والله تعالى يعمر بسيادته معالم الدين وأكافه ، ويزين بفضل  
المتين أوساط كل مصر وأطرافه ، ويضيف إليه من المستفيدين من بإرفاقه  
وإشفاقه يكون عيشه خفضا بتلك الإضافة ، ويجعله لا يخص حنوه بمعهد دون  
معهد ولا بمسافة دون مسافة ، ويبقيه ومنفعته إلى سارية سارية الإطافة واللطافة ،  
والطافة بهذه الولاية تقول لكل طالب في القرافة الق رافه .

قلت : ولما توفّي قاضى القضاة بدر الدين بن أبي البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام فى بعض الحركات ، فسافر ابنه أفضى القضاة جلال الدين حتى أدرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزّة ، فولاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضى نور الدين بن هلال الدولة الدمشقى حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله باطفه الخفى - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سجعتين ، هما :

الحمد لله الذى أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آبائهم فى بّ علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسُطر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعُلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضى جلال الدين المذكور : إنَّ هذا التوقيع يبقّى أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكلمته على هذا الأسلوب . فسمع القاضى كاتب السر كلامه ، فكتب لي بتكلمته على ظهره ، وعاد به القاضى جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتدكأت عن ذلك ، ثم لم أجِدُ بداً من إكمالهِ وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلمته به ، فجاء منه تلو السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصّ برياسة العلم أهل بيتٍ رأَتْ كُهوْلُهُم فى اليَقْظة ما يَمْتَنى شيوخ العلماء أن لو رأَوْه فى منامهم .

وجاء من وسطه :

أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُنَوَّهَ بِذِكْرِهِ ، وَتَقَدَّمَ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذَا الْمَقَامَ فَحُجِبَ دُونَهُ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ .

وجاء فى آخره :

وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْقِيهِ إِلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ ، وَهَذِهِ الرُّتَبَةُ وَإِنْ كَانَتْ بِدَايَتِهِ فَهِيَ نِهَائِيَّةٌ غَيْرُهُ (وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا) .

وَقَدْ أَعَوَزَنِي وَجَدَانُ النُّسخَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ إِثْبَاتِهَا فِي هَذَا التَّأْلِيفِ لَضَيَاعِ مُسَوِّدَتِهَا وَلَمْ يَحْضُرْنِي مِنْهَا غَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَفِيَا تَقَدَّمَ مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ مِنْ تَوْقِيعِ الْقَاضِي تَقَى الدِّينِ ابْنِ بَنْتِ الْأَعْرَضِ مَا لَا يَنْظُرُ مَعَ وُجُودِهِ إِلَى غَيْرِهِ .



وَهَذِهِ نُسْخَةُ تَوْقِيعِ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ بِمِصْرَ ، الْمُخْتَصَّةُ بِالْمَالِكِيَّةِ ، الْمَعْرُوفَةُ بِالْقَمَحِيَّةِ ، بِمِصْرِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَنْشَأَتْهُ الْقَاضِي الْقُضَاةُ جَمَالُ الدِّينِ الْأَقْفَهْسِيُّ ، وَهِيَ :  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ مَعَالِمَ الْمَدَارِسِ مِنْ أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ بِجَمَالِهَا ، وَمَيَّزَ مَرَاتِبَ الْكَلِمَةِ بِإِجْرَاءِ سَوَائِقِ الْأَفْكَارِ فِي مَيَادِينِ الدُّرُوسِ وَفَسَّيْحِ مَجَالِهَا ، وَعَمَّرَ مَعَاهِدَ الْعِلْمِ بِأَجَلِّ عَالَمٍ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ الْمُنَاطَرَةِ كَانَ رَأْسُ فُرْسَانِهَا وَرَئِيسَ رِجَالِهَا ، وَنَاطَ مَقَاصِدَ صَلَاحِ الدِّينِ بِأَكْمَلِ حَبْرٍ إِذَا أُورِدَتْ مُنَاقِبُهُ الْمَأْثُورَةُ تَمَسَّكَ أَهْلُ الدِّيَانَةِ مِنْهَا بِوَثِيقِ حَبَالِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى اخْتِيَارِ الْجَوْهَرِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْعَرَضِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ وَإِصَابَةِ الْغَرَضِ .



ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خصَّ أهل العلم بكريمِ حبائه ،  
 وشرف مقامهم فى الخليفة فجعلهم فى حمل الشريعة ورثة أنبيائه ، شهادة تُعذبُ  
 لقائلها بحسن الإيراد وردا ، وتجدد لمتحليها بمواطن الذكر عهدا فيتخذ بها عند  
 الرحمن عهدا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي علم وعلم ، وأكرم  
 رسول فصل الأحكام إذ شرع ونذب وأوجب وحلل وحرم ، صلى الله عليه وعلى  
 آله وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدرُّكوا دقيق معانيه ، وأهتموا  
 بالحديث روايةً ودرايةً ففازوا بتأسيس فقه الدين وإقامة مبانيه ، صلاة تُحيط من  
 بحار العلم بزائريها ، وتأخذ من الدروس بطريقها فتقارنُ الحمد فى أولها وتصحَب  
 الدعاء فى آخرها ، ما تُتبع بالمنقول مواقع الأثر ، وعول فى المعقول على إجابة الفكر  
 وإجادة النظر ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممها ، وأخلصت فيه نيته وخلصت  
 من تبعاته ذممها ، وتبعته فيه آثار من سلف من الملوك الكرام ، وأعارته كلى نظرها  
 وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التى هى مسقط حجر الاشتغال بالعلم  
 ومستقر قاعدته ، وقطب فلك تطلابه ومحيط دائرته ، وميدان فُرسان المشايخ ومدار  
 رجاليها ، ومورد ظمأ الطلبة ومحط رحالها ، لاسيما المدارس الأيوبية التى أسس  
 على الخير بناؤها ، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألق برقها وأستطار ضياؤها .

ومن أثبتتها وثيقه ، وأمثلها فى الترتيب طريقه ، المدرسة القمحية بالفسطاط  
 الآخذة من وجوه الخير بنطاقها ، والمخصوص بالسادة المالكية امتداد رواقها ،  
 إن أعترت رعاية المذاهب قالت : مالك وما مالك ، وإن عجلت حِسبة المدارس  
 فى البر ، كانت لها فذلك ، قد رتب بها أربعة دُروس فكانت لها كالأركان الأربعة ،  
 وجعلت صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم بُرا وأعم منفعة .

ولما كان المجلس العالى ، القاضى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ،  
الأفضلى ، الاكملى ، الأوحدى ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ،  
الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الجمالى : جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء  
العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ، قدوة البلغاء زين الأمة ، أوجد الأئمة ،  
رحلة الطالبين ، نحر المدرسين ، مفتى الفرق لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ،  
خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، أبو محمد « عبد الله الأقفهسى »  
المالكى - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان ، والمحدث بفضل  
فى الآفاق وليس الخبر كالعيان ، ماولى منصبها من المناصب إلا كان له أهلا ، ولا أراد  
الأنصراف من مجلس علم إلا قال له مهلا ، ولا رمى إلى غاية إلا أدركها ، ولا أحاط  
به منطقة طلبة إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحررها ، إن أطل فى مجلسه أطاب ،  
وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاب ، وإن أورد سؤالا عجز مناوئه عن  
جوابه ، أفتح بابا فى المناظرة أحجم مناظره عن سد بابيه ، وإن ألم يبحث أربى  
فيه وأناف ، وإن أفتى بحكم آندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف ، فنوادره  
المدونة فيها البيان والتحصيل ، ومقدماته المبسوطة إجمالا يغنى عن التفصيل ،  
ومشارقه النيرة لا يأفل طالعها ، ومداركه الحسنة لا يسأم سامعها ، وتهذيبه المهدب  
جامع الأمهات ، وجواهره الثمينة لا تقاوم فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات -  
أقتضى حسن رأى الشريف أن ننوه بذكره ، ونقدمه على غيره ، ممن حاول ذلك  
فامتنع عليه (( والله غالب على أمره )) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ،  
الزینى - لا زالت مقاصده الشريفة فى مذاهب السداد ذاهبه ، ولأغراض الحق  
والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسة

الصَّلاحِيَّة بِمَصْرِ المحروسة المعروفة بِالْقَمْحِيَّةِ عِوَضًا عَنْ فُلَانِ الفُلَانِي ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ .

فَلْيَتَّقْ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَيَبْسُطْ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ لِسَانَهُ فَمَنْ كَانَ بِمَثَابَتِهِ فِي الْفَضْلِ حَقٌّ لَهُ أَنْ يَقُولَ وَيَطُولَ ، وَمِلَّاكُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَهِيَ خَيْرُ زَادٍ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعَنْهُ تُؤْخَذُ وَمِنْهُ تُسْتَفَادُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ مِنْ مَقَاصِدِهِ الْجَمِيلَةِ غَايَةَ الْأَمَلِ ، وَيَرْقِيهِ مِنْ هَضَابِ الْمَعَالَى إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد ابن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، في شعبان سنة خمس وثمانمائة، وهو :

الحمد لله مُطْلِعِ شَمْسِ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَمُبَلِّغِ دَرَارِي الدَّرَارِيِّ النَّبِيَّةِ الذِّكْرِ بِسَعَادَةِ الْحَدِّ غَايَةَ غَيْرِهَا فِي مَبَادِيهَا ، وَجَاعِلِ صَلَاحِ الدِّينِ أَفْضَلَ قَصْدٍ فَوْقَ الْعَنَاءِ سِهَامَهَا بِإِصَابَةٍ غَرَضُهُ فِي مَرَامِيهَا ، وَمَجْدِدِ مَعَالِمِ الْمَدَارِسِ الدَّارِسَةِ بِخَيْرِ نَظَرٍ يَقْضَى بِتَشْيِيدِ قَوَاعِدِهَا وَإِحْكَامِ مَبَانِيهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ صَرَفَ إِلَى الْقِيَامِ بِنَشْرِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ أَهْتِمَامَنَا ، وَجَعَلَ بِخَيْرَتِهِ الْعَائِدَةِ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي حُسْنِ الْأَخْتِيَارِ اعْتَصَامَنَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مُفِيضُ نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ مِنْ وَافِرِ إِمْدَادِهِ ، وَمَخَصَّصُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ بِدَقِيقِ النَّظَرِ تَخْصِصَ الْعَامِّ بِقَصْرِهِ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَوْفَرُ الْبَرِيَّةِ فِي الْفَضْلِ سَهْمًا ، وَالْقَائِلُ

تنويهًا بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عَلَمًا » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حُلُّوا مِنَ الْفَضْلِ جَوَاهِرُهُ الثَّمِينَةُ ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ ضُرِبَتْ أَبَاطُ الْإِبِلِ مِنْهُمْ إِلَى عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَبَرَّتْ بِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ الدِّمَمُ ، وَغَدَتْ النُّفُوسُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِ مُشْتَغَلَةً ، وَالْفِكَرُ لَشَرَفِ مَحَلِّهِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مُنْتَقِلَةً ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْاِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ سَبَبًا مُوَصُولًا ، وَلَطَابَتِهِ رَبْعًا لَا يَزَالُ يُجَالَسُ الذِّكْرُ مَأْهُولًا ، لِاسْمِ الْمَدَارِسِ الَّتِي قَدْ قَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ عَهْدُهَا ، وَعَدَّبَ بِاسْتِمْرَارِ الْمَعْرُوفِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَرَدُّهَا .

ولما كانت المدرسة الصَّلاحية بِفُسْطَاطِ مِصْرَ المحروسة قد أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بُنْيَانُهَا ، وَمُهِّدَتْ عَلَى الْخَيْرِ قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا ، وَأَخْتَصَّتْ طَائِفَةُ الْمَالِكِيَّةِ مِنْهَا بِالْخَصِيصَةِ الَّتِي أَغْنَى عَنْ بَاطِنِ الْأَمْرِ عُنوانُهَا ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي خَاطَبَتْهُ الرُّتَبُ الْجَلِيلَةُ لِنَفْسِهَا ، وَعَمِيَّتْ لَهُذِهِ الْوُظُفَةُ فُضَائِلُهَا الَّتِي قَدْ آنَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ بَرْوَعُ شَمْسِهَا ، وَعَمِيَّتْ مِنْهُ الْمَعَاهِدُ الْجَلِيلَةُ حَسَنَ النَّظَرِ فَتَأَقَّتْ فِي يَوْمِهَا إِلَى مَا أَلْفَتْ مِنْهُ فِي أُمْسِهَا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُفَرِّدَ بِهِذِهِ الْوُظُفَةَ الَّتِي يَقُومُ إِفْرَادُهَا فِيهَا مَقَامَ الْجَمْعِ ، وَنَجْمَعُ لَهُ مِنْ طَرَفَيْهَا مَا يَتَّفِقُ عَلَى حُسْنِهِ الْبَصَرُ وَيَقْضِي بِطَيْبِ خَبَرِهِ السَّمْعُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمُؤَلَوَّى ، السُّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، النَّاصِرِي ، الرَّيْنِي : - لَا زَالَ يُقِيمُ لِلدِّينِ شِعَارًا ، وَيَرْفَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مِقْدَارًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي الْوُظُفَةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ ، وَبَانَ مِنْ عَفَّةِ الْمَشْهُورَةِ وَنَزَاهَتِهِ ، وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْإِفَادَةِ ، وَعُرِفَ [ عَنْهُ ] مِنْ نَشْرِ الْعُلُومِ فِي الْإِبْدَاءِ

والإعاده ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدّمته على أبناء زمانه ، ورفّعتّه إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليباشر تدريسها مُظهرًا من فوائده الجليلة ما هو في طيّ ضميره ، مضمرا من حُسن بيانه ما يُستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربا إلى أذهان الطلبة بتهديب ألفاظه الرائقة ما يُفِيد ، مُوردا من علومه المدوّنة ما يجمع له بين نواذر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوفيا نظرها بحسن التدبير حقّ النظر ، موفّرا رزقها بما يُصدّق الخبر فيه الخبر ، قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُخيب لراج أملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يُضيع أجر من أحسن عملا . وملاك الوصايا تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيّلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويبلّغه من رضاه نهاية سؤله وغاية أمله ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كُتب له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جمالا تنهّفت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتُحقّق شواهد الحال من فضله ما يُتَمَح فيه من لوائح المخايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلّت على وليّ فأقلع عنه غمَامُها ، ولا استقرّت بيد صفيّ فأنزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزهر بمعالم الدين غروسها ، وتينع بثمار الفوائد المتتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأولهم فى دلو المرتبة مكاناً وإن كان آخرهم فى الوجود عصراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الحائزين بقربه أنخر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لحلق الذكر نظاماً ، ولأولها افتتاحاً ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شئنا الشريفه ، وسجايانا الزاكية المنيفه ، أنا إذا منحنا منحة لا نستعيده ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننتقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نُقصيه ، وإذا أنعمنا على صفيٍّ إنعاماً لا نعدّه عليه ولا نُحصيه .

ولما كان تدريس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ، وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ مجال جداله تنفطر المرائر ، وبميدان مباحثه تشتهر البلق من مضمّرات الضمائر ؛ ويسوق مناظرته يميز النضار عن الشبه ، ومحك مطارحته تبين الحقائق من الشبه ؛ وبمظان مجلسه يُعرف العالى والسافل ، وبمعركة فرسانه يُعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بحسام لسانه على الأقران يصول ؛ ولم يزل فى جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة فى الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم فى الولاية كل زمن إلا فى القليل النادر ؛ وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ( إلى آخر ألقابه ) أدام الله تعالى نعمته قد أشتلت ولايته عليه لأبتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم يجد الغير إليه استطرافاً - اقتضى حسنُ رأى الشريف أن نتبع ذلك بولاية ثانية تؤكد حكم الولاية الأولى ، ونردفه بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع ولو بوجه أولى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ،  
الزنى - لا زال يعتمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد  
النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر فى مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى  
المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع  
المعارض وإبطال ما كُتب به وما سيكتب ما دام ذلك فى يده ، على أتم العوائد  
وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلتلق ما فُوض إليه بكلتا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها  
نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ، ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب  
تقطع على إدراكه حشرات ، ويتصد لالقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال :  
هنا تسكب العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من ... (١) صدره من كمينه ، ويُفض  
على جد أولهم الجافة ماسح به فكره من ينابيع معينه ، مستخرجاً لهم من قاموس قريحته  
دُرر ذلك البحر الزاخر ، مُظهرها من مكنون علمه مالا يعلم لِمَدَّه أَوَّل ولا يُدرك لِمَدَّاه  
آخراً ، ويُنفق من ذخائر فضله ما هو بإنفاقه ملى ، متفقدا بفضل غنائه من هو عن  
فرائده المُرِحة غير غنى ، مقررراً للبحث تقريراً يزول معه الالتباس ، مسنداً فروعه  
النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، معتمدا لما عليه  
جادة مذهبه فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ،  
مُقبلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى آسمالتهم طاقة جهده محسناً  
إليهم جهد طاقته ، مربياً لهم كما يُربى الوالد الولد ، مُوفياً من حقوقهم [فى] التعليم  
ما يبق له ذكره على الأبد ، منمياً ناشئتهم بالتدريب الحسن تنمية الغُروس ، جاهداً  
فى ترقيةهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظن فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

للفَتَاوَى وإلقاء الدُّروس ، سالكا من مناهج التقوى أحسن المسالك ، مُورِدا من  
تحقيقات مذهبه ما إذا لمحَ اللامحُ لم يشك أنه لِرِمام المذهب مالك ، والله تعالى  
يُجْريه على ما ألقه من مَوارد إنعامه ، ويمتّع [هذه الرتبة] السَّنيّة : تارةً يجالس  
دُرُوسه وتارةً يجالس أحكامه ، والأَعتماد ... .. .



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمى ، من إنشاء الشَّهاب  
«محمود الحاكِمى» للشيخ قُطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمدُ لله الذى أطلع فى أفق السَّنة الشريفة من أعلام علمائها قُطباً ، وأظهر  
فى مطالعها من أعيان أئمتِّها نُجوماً أضاء بهم الوجودُ شرقاً وغرباً ، وأقام لحفظها  
من أئمة أعلامها أعلاماً أحسنوا عن سندها دفاعاً وأجملوا عن مُتونها ذباً ، وشرف بها  
أهلها فكلماً بعدت راحلتهم فى طلبها آزدادوا من الله قُرباً ، واختار لحملها أمناء شغفت  
محاسنهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حباً ، وسلكوا باتباعها سنن السنن فأمِنُوا  
أن تُروّع لهم الشُّبه سُرْباً ، وألهمنا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا  
إليه مقاماً كريماً ومَنزلاً رَحِياً ، وعصم آراءنا فى الارتياذ له من الخلل فلا نختار  
له إلا من تُسرُّ باختياره طَلَبَةٌ وتُعَبِّط بتعيينه أئمةٌ ونُرضى بآرتياده رَبّاً .

نحمده على نِعَمه التى صانت هذه الرتبة السَّنيّة بأكفائها ، وزانت هذه المرتبة  
الشريفة بمن لم تَمِل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية  
فلكا تُشرق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تَفْنى الدُّهورُ دون إطفائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجادل عن سُنَّته الشريفة  
بالسَّنة أسنَّته ، مجالِدٍ عن كلمتها العلية بقبُض معاقِد سُيوفه وإطلاق أعنته ، باعث



بالجهاد دعوتها إلى كل قلب كان عن قبولها في حجب أكنته . ونشهد أن هذا عبده  
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم  
بها سلم ، فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكمه الذي لا يتمكن يد  
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يدقها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى  
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عاضوا على سنته بالنواجذ ، وذبوا عن شريعته بسيف  
الجلاد القواطع وسهام الجدال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويملأ بها طول  
البسيطة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجهت إليه إلى ارتياد أئمتيه ، وتوفرت الدواعي على  
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من  
أئمتيه - علم الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي  
جعلت أواخر زمنه في صحة ثقله ومعرفة أسرار كآوائله ؛ وأن نختار لذلك من نشأ<sup>(١)</sup>  
في طلبه حتى أكتهل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلّة حتى أكتمل ؛ وغدّى بلبان  
التبحر فيه حتى أمتزج بأديمه ، وجدّ في تحصيله وأجتهد حتى ساوى [في] الطلب بين  
حديث عمره وقديمه ؛ وحفظ من متونه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب  
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لا فظا ؛ فإنه بعد كتاب  
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يُحكم بنصوصه ، وتفاوت رتب العلماء في حسن  
العمل بمطابقه ومقيّده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكام الملة فملأت  
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها  
على المحجة التي استوى في الإشراق ليلها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة  
نورها ومناورها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يدبّون عن سنة نبهم ذب اللوث ، ويحودون

(١) لم يتقدم ما يعطف عليه ولعل الأصل « فوجب أن نهتم به أجل اهتمام ، وأن نختار الخ » .

على الأسماع بما ينفع الناس فى أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها ونقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويعالون فى العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى عني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة فى علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وُصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقى منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رحلة زمانهم ، ونظر فى علومه فأتقنها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، فى أسماء الرجال ، فإلى أطلاعه يرجع فى تخرج المجرى وتعديل الصحاح ، وكان منصب تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى كثيرا لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناه لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتقان الكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشره بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على ... .. .

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، فى براعة الاستمالة والوصايا ، وهو فى الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بيضا للبقية ولم له لم يكمله اتكالا على ما هو معروف ومشهور فى مثله .

وهذه نُسخ وصايا أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس — وليطَّلَع في مُحَرَّابِهِ كَالْبَدْرِ وَحَوْلَهُ هَالَةٌ تَمْلِكُ الْحَاقَّةَ ،<sup>(١)</sup>  
وقد وَقَّتْ أَهْدَابُ ذَلِكَ السَّوَادِ مِنْهُ أَعْظَمَ أَسْوَدَادًا مِنْ الْحَدَقَةِ ، وَلِيَرَقَّ سَجَادَتَهُ الَّتِي  
هِيَ لِبَدَةِ جَوَادِهِ إِذَا أَسْتَنَّ الْحِدَالَ فِي الْمِضْمَارِ ، وَلِيُخَفِّفَ [أَضْوَاءَ] أَوْلِيكَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ  
هُمْ كَالنُّجُومِ كَمَا تَتَضَاعَلُ الْكَوَاكِبُ فِي مَطَالِعِ الْأَقْمَارِ ، وَلِيُرْزَ لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِرَابِ  
كَمِينُهُ ، وَلِيُفِضْ عَلَى جَدَاوِلِهِمُ الْجَافَّةَ مَعِينَهُ ، وَلِيَقْدِفْ لَهُمْ مِنْ جَنَابَاتِ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ  
دُرَرُ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَجَّاجِ ، وَلِيُرِهِمْ مِنْ غُرَرِ جِيَادِهِ مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّ سَوَابِقَهُ لَا يَهْوِلُهَا قَطْعُ  
الْفِجَاجِ ، وَلِيُظْهِرْ لَهُمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ الْوَقَارُ ، وَلِيَهَبْ مِنْ مَمْنُونِ فَضْلِهِ  
مَا يَهَبُ مِنْهُ عَنْ ظَهْرِ غِنَى أَهْلِ الْاِفْتِقَارِ ، وَلِيَقَرِّرْ تِلْكَ الْبُحُوثَ وَيَبَيِّنْ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا ،  
وَمَا يَرُدُّ بِهِ مِنْ مَنَعِهَا وَتَطَّرِقَ بِالنَّقْضِ إِلَيْهَا ، حَتَّى لَا تَنْفَصِلَ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ  
الترجيحِ ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَلِيَقْبِلْ فِي الدَّرُوسِ طَلْقَ  
الْوَجْهِ عَلَى جَمَاعَتِهِ ، وَلِيَسْتَمْلِهِمْ إِلَيْهِ بِجُهْدِ اسْتِطَاعَتِهِ ، وَلِيُرَبِّهِمْ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَ ،  
وَلِيَسْتَحْسِنَ مَا تَجِبُ بِهِ أَفْكَارُهُمْ وَإِلَّا فَاكْمَرْجُلُ بِالْجَبِّ لَبِثَ فِكْرٌ وَأَدُّ ، هَذَا  
إِلَى أَخَذِهِمُ بِالِاسْتِغْثَالِ ، وَقَدْحِ أَذْهَانِهِمْ لِلِاسْتِغْثَالِ ، وَلِيُنَشِّئِ الطَّلِبَةَ حَتَّى يَتِمَّ مِنْهُمْ  
الْعُرُوسُ ، وَيُؤَهِّلَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُظَنُّ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ وَيُلْقِي الدَّرُوسَ .

وصية مقررئ :

وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه ، وصلاح قُربه ، وصباح  
القبول المؤذن له برضا ربه ، وليجعل سُورَهُ لَهُ أَسْوَارًا ، وَآيَاتِهِ تُظْهِرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون  
أنظر ”المصباح“ .

أنواراً ؛ ولتتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وايجمع طرقه وهى التى عليها الجمهور ويترك الشواذ ؛ ولا يرتد دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله إحصار ، ولتوسع فى مذهبيه ولا يخرج عن قراءة القرآن السبعة أئمة الأمصار ؛ وليبذل للطلبة الرغاب ، وليشبع فإن ذوى النهمة سغاب ، ولير الناس ما وهبه الله من الإقتدار فإنه آحتضن السبع ودخل الغاب ؛ وليتم مباني ما أتم « ابن عامر » و « أبو عمرو » له التعمير ، ولقه « الكسائى » فى كسائه ولم يقل جدى « ابن كثير » ؛ وحم به « الحمزة » أن يعود زاهب الزمان ، وعلم أنه لا « عاصم » من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ؛ وطفق يتفجر علما وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم وهو « نافع » ؛ وليقبل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد آنتسب ؛ وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النماء ، ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء ؛ فليقدر حق هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سئل فعلم الله ما يتناهى « وفوق كل ذى علم عليم » .

### وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرق أهل الحديث مطلقاً ؛ وصح [فى] الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن ؛ وأن سنده هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى ؛ وأن مثله لا يوجد فى نسبه المعرق ، ولا يعرف مثله للحافظين « ابن عبد البر » بالمغرب و « خطيب بغداد » بالمشرق ؛ وهو يعلم مقدار طاب الطالب فإنه طالما شد له النطاق ، وسعى له سعيه وتجشم المشاق ؛ وأرتحل له يشتد به حرصه والمطايا

مُرْزَمُهُ ، وَيَنْبَهُهُ لَهُ طَلَبُهُ وَالْجُفُونَ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونَ مُهَوَّمَةٌ ، وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضْجِرُهُ طَوْلُ الْوَقُوفِ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرُفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيقُ بِهِ عَلَى قِصَرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مُعَامَلَةً مِنْ جَرَّبٍ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرَبَاءَ مِنْهُمْ وَيُؤْنِسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوَنَةً مِنْ قَرِيبٍ وَآوَنَةً تَغْرَبُ ، وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحُ قَصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيَنْتَقِ لَهُمْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحِ ، وَلْيُوضِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِّحْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيبِهِ مَا كَانَ يُسَارِ إِلَيْهِ السَّيْرُ الْحَثِيثُ ، وَلْيُؤْتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ، وَيَبْصُرَهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْمَعْتَلِّ الَّذِي تُتَنَاقَرُ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَةٌ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنْ دَرَايَةِ أَوْ يَقْنَعُ فِيهِ بِمَجْتَزِدِ رَوَايَةٍ ، وَمِثْلُهُ مَا يُزَادُ حَالِمًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

### وصية نحوي :

وَهُوَ زَيْدُ الزَّمَانِ ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، وَعَمَرُو الْأَوَانَ ، وَقَدْ كَثُرَ مِنْ سَيِّبِيهِ الْمَلَلُ ، وَمَا زِنَى الْوَقْتُ وَلَكِنَّهُ الَّذِي لَمْ تُسْتَبَحْ مِنْهُ الْإِبِلُ ، وَكَسَائِي الدَّهْرِ الَّذِي لَوْ تَقَدَّمَ لِمَا آخَتَارَ غَيْرَهُ الرَّشِيدُ لِلْأُمُونِ ، وَذُو السُّودَدِ ، لَا أَبُو الْأَسْوَدِ ، مَعَ أَنَّهُ ذُو السَّابِقَةِ وَالْأَجْرُ الْمُنُونُ ، وَهُوَ ذُو الْبِرِّ الْمَأْثُورُ ، وَالْقَدَرُ الْمَرْفُوعُ وَلِوَاؤُهُ الْمَنْصُوبُ وَذَيْلُ نَخَارِهِ الْمَجْرُورُ ، وَالْمَعْرُوفُ بِمَا لَا يُنْكَرُ لِمَثَلِهِ مِنَ الْحَزْمِ ، وَالذَّاهِبُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ بِكُلِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي لَمْ يُبْقِ مِنْهَا لِحُسُودِهِ إِلَّا الْجَزْمُ ، وَهُوَ ذُو الْأُبْنِيَةِ الَّتِي لَا يُفْصَحُ عَنْ مِثْلِهَا الْإِعْرَابُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَفْصَحُ مِنْهَا فِيمَا أُخِذَ عَنِ الْأَعْرَابِ ،

والذى أصبحت أهدأ به فوق عمام الغمام ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يشكر منه  
 أمسه ويومه وغده وإنما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل  
 ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزياده ، وليكن للطلبة نجما به يهتدى ، ويرفع  
 بتعليمه قدر كل حبر يكون خبرا له وهو المبتدا ، وليقدم منهم كل من صالح  
 للتبريز ، وأستحق أن ينصب إماما بالتميز ، ولورد من موارد أعذب النطاف ،  
 وليجز إليه كل مضاف إليه ومضاف ، وليوقفهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم  
 دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السماء ، وليبين لهم  
 الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة ، وليدلم على أحسن الأفعال لا ما يشته  
 فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ، وليحفظهم المثل وكلمات  
 الشعراء ، ولينصب نفسه لحد أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ، ويعامل  
 جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كله فليرق بهم فما بلغ أحدا علما بقوة  
 ولا غاية بعسف .



وهذه وصية لغوى أوردها فى التعريف (١) .

(١) بياض بأصله ، ولم تذكر هذه الوصية فى نسخة "التعريف" التى بيدنا .

## الوظيفة الثامنة

## (التصدير)

وموضوعة الجلوس بصدر المجلس بجامع أونحوه . ويجلس متكلم أمامه على كُرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرقائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ماسنح له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكُرسى .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصارى » الشهير بـ « الشاب التائب » بالجامع الأزهر ، وهى :

(١) رسم ... لا زالت صدقاته الشريفة تخص المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس كان لرتبته أجمل صدر يحتبى من علماء التفسير ، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه فى الحقيقة تفسير تفسير ، وتصطفى من سرارة الأمثال من دار نعته بين « الشاب التائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامى أدام - الله تعالى رفعتة - فى كذا وكذا ، لأنه الإمام الذى لأتسامى علومه ولا تُسام ، والعلامة الذى لا تُدرك مداركه ولا تُرام ، والخبر الذى تتعقد على فضله الخناصر ، وفارس الحلبة الذى يعترف بالقصور عن مجارة جواده المناظر ، وآية التفسير التى لا تُنسخ ، وعقد حقيقته الذى لا يُفسخ ، والماهر الذى استحق بمهارته التصدير ، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أى بالامر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أونحو ذلك .

جمع سلامة لا جمع تكسير ؛ وترجمان معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب  
العجاب ، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب ، وزاهد  
الوقت الذى زين بالعلم العمل ، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول ، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول ؛ وليبين  
من معانى كتاب الله ما أجمل ، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل ، وليسلك  
فى تفسيره أقوم سبيل ، ويعان بأسراره الخفية فسر كتاب الله أجدر أن يكون  
عن علن ، وليجر فيه على ما ألف من تحقیقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن ؟ ،  
ولياخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان ، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان  
إلا الإحسان ، ويحض شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سندهم  
فإن « الشاب التائب » حبيب الرحمن ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرا ، ويرفع  
مجلسه السامى على محل الثريا ( وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا ) . إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة التاسعة

( النظر )

وموضوعة التحدث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها ، وعمل مصالحها ،  
وأستخراج متحصل جهاتها ، وصرفه على الوجه المعتبر ، وما يجرى مجرى ذلك .

وتشتمل على عدة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس<sup>(١)</sup> وهو الوقف : فقد تقدم فى المقالة الثانية  
أنه كان أصل وضعه أراضى اشتراها ( الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه )

(١) فى المختار « والحبس كالقفل ما وقف » وهو المراد هنا .



وَوَقَفَهَا عَلَى جِهَاتٍ رُبَّهَا ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي إِضَافَةِ الْأَوْقَافِ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ  
وِزَارَةُ الصَّاحِبِ بِهَاءِ الدِّينِ ابْنِ حَنَّا فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ بَيْبَرسَ الْبُنْدُقْدَارِي ، فَأَفْرَدَ  
لِلْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالرُّبُطِ وَالزَّوَايَا وَنَحْوِ ذَلِكَ رِزْقًا ، وَقَصَرَ تَحْدِثَ نَاضِرِ الْأَحْبَاسِ  
وَمُبَاشِرِيهِ عَلَيْهَا ، وَأَفْرَدَتْ الْأَوْقَافُ بِنَاضِرِ وَمُبَاشِرِينَ كَمَا سَيَأْتِي :

وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري<sup>(١)</sup> ، كُتِبَ بِهَا «لْمَهْدَبِ  
الدِّينِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَبَّرَ بِحِكْمَتِهِ الْوُجُودَ ، وَعَمَّ بِرَحْمَتِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ، وَحَالَ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ  
بَيْنَ ضَرِّ الدَّاءِ كَمَا حَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ ، نَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ ،  
وَنُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرَ الثَّنَاءِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى الْجَنُوبِ وَفِي السَّجُودِ ، وَنُسْتَرِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ  
فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اللَّهُ بِهَا وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمِ  
شُهُودٌ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبَشِّرُ لِأُمَّتِهِ بِالْجَنَّاتِ وَالْخُلُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الْوُعُودِ .

وبعد ، فَإِنَّا لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ بِنَا شَعَائِرَ الْإِيمَانِ ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْصُورًا بِنَا  
عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَجَاهِدْنَا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، وَشَيْدْنَا لِعُلُومِهِ  
وَشَرَائِعِهِ كُلِّ بَدِيعِ الْإِتْقَانِ ، وَرَتَّبْنَا فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ كُلِّ رَفِيعِ الشَّانِ ، وَآخَرْنَا  
لَهُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطَّبِّ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ، وَرَأَيْنَا كُلَّ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَّا  
مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ سَلَكَ فِي سِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ ، قَدْ أَهْتَمَّ بِعِلْمِ الْأَدْيَانِ وَأَهْمَلَ

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر في مواقع الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان ؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُحفل بـبیمارستان ، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم : « العلم علما » ؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المضطر إليه ، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه ، ولا أعد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه ، ولا نصب له شخصا يمثل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه ، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه ، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه ؛ وأنشأنا بـبیمارستانا يبهر العيون بهجه ، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة ، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه ؛ لو حله من أشفى لعوجل بالشفاء ، أو جاءه من أكمده السقم لاشتفى ، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا ؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين ، ويظرف سماع جملته الأذنين ، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين ؛ وأبحنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ومأمور وأمير ، وساويننا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير ، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير ؛ وجعلنا فيه مكانا للاشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يُجهل ، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعذب منهل ، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل ؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس ، وينتفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرءوس ، ويؤمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس ؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة ، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه ، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجبا وأضحى به معجبه .

ولما كان المجلس السامى « مهذب الدين » هو الرئيس المشار إليه ، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه ؛ وكان هو الحكيم « بقراط » ، بل الجليل « سقراط » ، بل الفاضل « جالينوس » ، بل الأفضل « ديسقوريدوس » - اقتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزف إليه تجرُّ أذياه ، وأن يقال : ( لم يكُ يصلح إلا لها ولم تكُ تصلح إلا له ) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدن ، وثقة بأنا للجوهر قد آلتقطنا ، وبالخير قد آغتبطنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كفيلا ، ولينتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالقرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه ويثني إليه الإعنة ، وليبطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتدبيره جملة البر فإنه « جالينوس » الزدان ، وليبذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل متمر من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة كحّالين وجرائحيه ، وقوما مجبرين ، وبالحدید عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عاملين ، وليأمر كلّا منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حظّه ، وليأخذ به بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتّر عنهم في الاشتغال لحظه ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفته ، ولكل فن من فنونه جماعة محاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفه ،

وليكشف لهم ما أشكل عليهم من غوامضه فليس لها من دون إيضاحه كاشفه ؛  
لينشر في هذا المكان المبارك من أرباب هذه العلوم قوم بعد قوم ، ويظهر منهم  
فى الغد - إن شاء الله - أضعاف ما هو ظاهر منهم اليوم ؛ وليقال لكل من طلبته  
إذا شرع فى إجازته وتزكيته : لقد أحسن شيخه الذى عليه تأدب ، وإن من خرج  
هذا «المهذب» ؛ عاملاً فى ذلك بشروط الواقف أعز الله نصره ، واقفاً عند أمره  
أمضى الله أمره ؛ والخير يكون . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأعباس مفتحة بـ «أما بعد» وهى :

أما بعد حمد الله الذى أذن أن ترفع بيوته ويذكر فيها أسمه ، ويكثر فيها قسم  
ثوابه ويجزل قسمه ، والصلاة على سيدنا محمد الذى عظم به قطع دابر الكفر وكثر  
حسمه - فإن خير من عول عليه فى تأسيس بيوت الله وعمارة ربوعها ، ولم شعثها  
وشعب صدوعها ، والقيام بوظائفها ، وتسهيل لطائفها ، وتأهيل نواحيها ، لهُبوط  
الملائكة لتلقى المصلين فيها ، من كان ذا عزم لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وحزم لا يلئم  
بأفعاله لمم المآثم ، ونظر ثاقب ، ورغبة فى اختيار جميل المآثر والمناقب ، ومباشرة  
ترعى قوانين الأمور وتكتنفها أكتاف مراقب .

ولما كان فلان ممن هذه الأوصاف شعاره ، وإلى هذه الأمور بدأه ، وكما كتب  
الله به للدولة أجرًا كع وساجد ، وكما شكرته وذكرته السنة أعلام الجوامع وأفواه  
محاريب المساجد - أقتضى منيف الملاحظة والمحافظة على كل قريب من بيوت  
الله وشاهد ، أن خرج الأمر الشريف - لا يرح يكشف الأوجال ، ويدعوله  
فى الغدو والآصال رجال - أن يفوض لفلان نظردىوان الأعباس والجوامع  
والمساجد المعمورة بذكر الله تعالى .

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [ إن ] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ، وإن عزل أو ولي ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ، وليجتهد كل الاجتهاد في [ صرف ] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ، وليأخذ أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصاييحها وآلاتها ، وحفظ مائفظون به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ، وليحترز في إخراج الحالات إذا خرجت وأخرجت ، وفي مستحقات الأجائر إذا استحققت وإذا عجلت ، وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نزلت ، وفي الاستثناءات التي أهيئت وكان ينبغي لو أهلت ، وإذا باشر [ و ] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مبادر ، ويكفيه تدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأحباس ، للقاضي « بدر الدين حسن » الشهير بابن الداية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غيبت عني ، فلم أجدها لأثبته هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهي :

الحمد لله الذي حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالي الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموقر ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها  
فى القلوب نور على نور ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع  
البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت فى التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله  
عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات  
أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ،  
فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما أقطع عملهم بها وهم فى برزخ المهالك ، ووليها  
بعدهم الأمناء من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ، وأجروا برها الدار  
فى كل دار ، وصانوا معالمها من الأغيار ، وشاركوا واقفها فى الصدقة لأنهم خزان  
أمناء أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبه ، ولا يئسى المصالح وهى عن  
فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير ذائبه ، وهو أهل أن يناط به  
التحدث فى جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه نزه نفسه عما ليس له  
فلو كانت أموال غيره غنما ما أختص منها بصوفه ، فلذلك رسم ... (١) ... .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمير ، مأمونة التغيير ،  
مخصوصة بالتعبير ، لينظر فى هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع ومباني ،  
ومساكن ومغانى ، وخانات مسبله ، وحوانيت مكمله ، ومسقفات معموره ،  
وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعمارة فإنها تحفظ العين وتكفى البناء  
دثوره ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن فى ذلك سروره ، ويندرج فى هذه

(١) بيض له فى الأصل لعله من أمثاله السابقة .

الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقيم شعارها ، وليحفظ آثارها ، ويرفع منارها ، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب ، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب ، والله تعالى يجمع على محبته القلوب ، بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقلام ، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا ، ما زال يتولاه الوزراء وكتب السر ومن في معناهم .  
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال ، ومعلي درجة من أضفى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجدد نعيم من لم يخصه اعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومنه التي لا تبرح تشمل الأصفياء غواطفها ، وآلائه التي تسد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهوائف نثرا ونظما ، صلى الله

(١) تقدمت في وظائف الطبقة الثانية من ذوات التواقيع ببعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرُّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص  
فى محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلوا  
على خدع الدنيا الساحره ، صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب  
والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بإنعام النظر فى مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على  
اعتبار مناجيها واعتماد مناجيها - أمر جهات البر التى تقرب والدنا السلطان الشهيد -  
قدس الله روحه - بها إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع فى إنشائها فأحسن فيها  
كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التى  
أعدّها بين يديه ، وحلّ منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريرته إلى مقعد صدق  
عند ربه ، وعمر بها مواطن العبادة فى يوم سلمه بعد أن عفى على معاقل الكفر  
فى يوم حربيه ، وأقام بها منار العلوم فعلا مناهلها ، وأعدّ للضعفاء بها من مواد البر  
والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قصرت عن التطاول إليه أموالها ، وأن نرتاد لها  
من إذا فوضنا إليه أمرا تحققنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ، واعتقدنا تمية أمواله ،  
واعتمدنا فى مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك  
مالا نحتاج فيه إلى إخبار ولا اختبار ، ولا يحتاج فى بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا  
أحتاج إليه النهار ، لنكون فى هذا بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ،  
أو جدّد لها وقفا لكونه أتى بيوت الإحسان فى آرتياد الأ كفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذى صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمين الآراء  
فى استئثارنا به لمصالحنا الخاصة واختصاصنا ، واعتدنا بحجّل نظره فى أسباب التدبير  
التي تملأ الخزائن ، وتدلل على أن من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

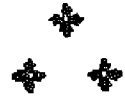


الكائن ، وتُحقّق أنه كما في العناصر الأربعة معادن فكذا في الرجال معادن ؛ ونُبّهت أوصافه على أنه ما ولي أمراً إلا وكان فوق ذلك قدراً ، ولا اعتمد عليه فيما تضيق عنه همم الأولياء إلا رُحِب به صدراً ، ولا طلع في أفق رتبة هلالا إلا وتأملتُه العيون في أجلّ درج الكمال بدراً ، يُدرك ما نأى من مصالح ما يليه بأذنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر ؛ فنحن نزداد كل يوم غبطة بتدبيره ، ونتحقّق أن كل ما عدقنا به إليه : من أمرٍ جليل فقد أسندناه إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدّق بجميل نظره أمر هذا المهّمّ المقدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظر في مصالحها من آكد الأمور المتعينة علينا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عَمِيماً ، وبرّه يقدر في الرتب من كان من الأولياء كريماً - أن يفوض إليه كيّس وكيّت .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهمّ ، وقصد بها النفع المتعدّي إلى العلماء ، والفقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخصّ المصالح وأعمّ ؛ ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسدّ خلأها ، ويزيح علأها ، ويعمّر أصولها ، ويمتدّد محصولها ، ويحفظ في أمانها أموالها ، ويقيم معالم العلوم في أرجائها ، ويستنزل بها موادّ الرحمة لساكنها بالسنّة قرائها ، ويستعيد صحّة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف - قدس الله روحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصاريفها ، وتقديم ما قدّمه مع ملاءة تدبيره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتمييز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعزّ وجودها ويحتلّب ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق من أيدي

أمنائه وثقائه ، ولا مُودَع لها أوفَق من أمانة من يتقي الله حقَّ ثقائه ؛ ليفعل في ذلك جميعه ما عرَفناه من تديره الجميل خُبراً وخبراً ، وحمدناه في كل ما يليه ورُداً في المصالح وصَدراً ؛ فإنه - بحمد الله - الميمونُ نظراً وتصرفاً ، المأمونُ نزاهةً وتعففاً ؛ الكريمُ سجيّةً وطباعاً ، الرحيبُ في تلقى المهمات الجليلة صَدراً وباعاً ؛ فلذلك وكلّناه في الوصايا إلى حُسْن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطراره ؛ والله تعالى يسدده في قوله وعمله ، ويحقق بالوقوف مع مَراضى الله تعالى ومَراضينا غايةَ أمله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومنها - نظر الجامع الناصرى بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، كُتِب به للقاضى جلال الدين القزوينى وهو يومئذ قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، وهى :

الحمد لله الذى زادنا الدين رفعةً وجلالاً ، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبلاً ، وأحسن لنظرنا الشريف فى كلِّ اختيارٍ مآلاً ، ووفَّق مرامى مرامنا لمن أخلصنا عليه اتِّكالا .

نحمده حمداً يتواتر ويتوالى ، ويُقَرَّب من المنى مآلاً ، وتُنِير به معاهد نعمة عندنا وتتلألاً ، ونُدِمْه إدامةً لا نَبْغى عنها حوْلاً ولا اتِّقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نصدقها نيةً ومقالاً ، ونرجو بالتعالى فيها القبول منه تعالى ، ويتراسل عليها القلب واللسان فلا يعترى ذاك سهو ولا يخاف هذا كلالاً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كرم صحابةً وآلاً ، ودلهم على الرُّشد فورثوه من علماء الأمة رجالاً ، صلى الله عليه وعليهم صلاةً نسترعى عليها

من الحَفَظَةِ أَكْفَاءً أَكْفَالًا ، ونَسْتَمِدُّ لِرُقْمِهَا الْمَذْهَبَاتُ بُكْرًا وَأَصَالًا ، وتَسْمُو إِلَيْهِ  
الْأَنْفَاسُ سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا فَخَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظَلَالًا ، وما بَلَغَ  
سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بَيَاضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ بَنَى حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، <sup>(١)</sup> وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] سَنَّتَهُ الْحُسْنَى تَبْقَى فليَتَّخِذْ  
مَعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ بَرًّا فَلَا بُدَّ مِنْ مَبَاشِيرٍ عَنْهُ يَضُمَّنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ  
بِهِ مَعَ تَأْثِيرِهِ التَّخْلِيدَ ، وَمَنْ تَاجَرَ لِلَّهِ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخُو بِالمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا لِمَنْ يَقُومُ  
مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ جَمِيلًا فَشَرَطَ صَلاَحَهُ أَنْ يُسَنِّدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالمُرَاقَبَةِ  
تَقْيِيدٌ ، فَيَا يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنْ التَّأْسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ، أَوْ مَعِينِ  
أَجَلٍ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْلَاصِنَاهُ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَبَاشِيرِ أَنْفَعٍ ، مِنْ سَيِّدِ آرْتَدَى  
بِالْمَجْدِ وَتَلَقَّعَ ، وَتَرَوَّى بِالْعُلُومِ وَتَضَلَّعَ ، أَوْ مُشَارِكٍ فِي الْخَيْرِ أَوْلى مِنْ وَلِيٍّ قَلَدْنَاهُ دِينَنَا  
قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَيْنَاهُ بِالْمَنْصِبَيْنِ : الْحُكْمَ وَالْخَطَابَةَ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ  
وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ، أَوْ أَحْسَنُ مَرَاقِبَةٍ مِنْ حَبْرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٍ يَدْعُو إِلَيْهِ  
دُعَاءَ أَقْوَابٍ أَوَاهٍ ، قَدْ آنَفَرَدَ بِمَجْمُوعِ الْحَاسَنِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قُدْرُهُ الْجَلِيَّ الْجَلِيلَ يَعْنِينَا  
وَعَنِ الْمَدَائِحِ يُعْنِينَا ، فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضْاحًا وَتَبْيِينًا ، وَلَكِنْ نَصَّرَحَ بِاسْمِهِ تَتَوِيهَا  
وَتَعِينُنَا ، وَتَحْسِنُنَا لِسِيرَةِ أَيْامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَزِينُنَا ، لَا عُذْرَ لِفِكْرٍ لَمْ يَنْضُدْ  
مُنَاقِبَهُ وَقَدْ تَمَثَّلَتْ مَعَالِيهِ جَوَاهِرُ ، وَقَلَمٌ لَمْ يُوشَّ الطُّرُوسَ بِمَعَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فُنُونِهَا  
أَنْوَاعَ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِيَّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْعَلَامِيُّ ،  
الْكَامِلِيُّ ، الْفَاضِلِيُّ ، الْقُدُّوِيُّ ، الْمُفِيدِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْحَاكِمِيُّ ،  
الْجَلَالِيُّ : حُجَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ ، بَرَكَةُ الْأُمَمِ ،

(١) مأخوذ من أشاد بنيانه اذا طوله . أنظر اللسان في مادة ش و د — ج ٤ — .

عَلَّامَةُ الْأُمَمِ ، عِزُّ السُّنَّةِ ، مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُنْفَتِحُ  
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلَغَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،  
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ  
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيَةِ سُيُوفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِهِ بِلسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ  
 يَفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حُلْمَهُ وَلَا يَزِلُّ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوَرَعَ  
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ، مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّيْتُ بِرُكَّةٍ دَارَةً مُزْنُهَا ، سَارِيَةً  
 مَنَاجِحُهَا سَارٌّ مُنْهَاجُهَا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ اللَّهِ إِلَّا حَنَّنَ مِنْهُ إِلَى سُبُحَاتِ  
 الْجَلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمْتُ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ  
 الْمَزَايَا نَرُدُّ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهْمَّنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتُقَلَّدَهُ مِنْ أَوْقَافِنَا  
 مَا يَخْلُفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ -  
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْدُو أُولَى الْأَبَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ  
 النَّاصِرِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظَرُ عَلَى التَّرْبَةِ  
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّيْنِ وَأَوْقَافِهِمَا .



وَمِنْهَا - نَظَرُ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى خِطِّ الْقَاهِرَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الصَّالِحَ طَلَائِعَ  
 ابْنَ رُزَيْكَ حِينَ قَصَدَ نَقْلَ رَأْسِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، بَنَى لَذَلِكَ جَامِعَهُ

(١) يريد المتخصصين ولما لم نعر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابي زويلة<sup>(١)</sup>، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر  
بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :  
الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيامنا الزاهرة ، محصورة في أكفائها ،  
ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة ، مقصورة على من حبه أوامرنا باعتنائها ،  
وخصته آلاؤنا باصطفائها ، الذي أجرى حسن النظر في مظان الآباء الطاهرة على يد  
من طلع في أفق العلياء من أبنائها ، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه  
وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيامنا من رفع أقدار ذوى السيادة والشرف ، وأتصف به  
إنعامنا من مزيد برِّ علم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في الشرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من أعترف ،  
ويشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي طهر  
الله بضعته الزهراء وبنينا ، وخصهم بمزية القربى التي نزهه أن يسأل على الهداية  
أجرا إلا المودة فيها ، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم ، وأحق بحاسن  
الشيم ، وما منهم إلا من ( تعرف البطحاء وطائته \* والبيت يعرفه والحل والحرم ) ،  
وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم ، وأتبعوه في ساعة العسرة فمنهم الذين  
أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من زينت به مواطن الشرف ، وعدت به العناية بخدمة من درج  
من بيت النبوة وسلف ، وعمرت به مشاهد آثارهم التي هي في الحقيقة لهم غرف ،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس في مادة زول .

[ونالت الدولة] من تديره الجميل بعض حظها ، وخصت بقعته المباركة من نظره بما ينوب في خدمة محله الشريف عن مواقع لحظها ، وجعلت به لابن رسول الله من خدمة أبيه معها نصيبا ، وفعلت ذلك إذ خبرت خدمته أجنبيًا علمًا أنها تتضاعف له إذا كان نسيبًا ، وحكمت بما قام عندها مقام الثبوت ، وأمرته أن يبدأ بخدمة أهل البيت [فإن] لازمها لديها مقدم على البيوت - من طلع شهاب فضله من الشرف السنّى في أكرم أفق ، وأحاطت به أسباب السؤدد من سائر الوجوه إحاطة الطوق بالعنق ، وزان الشرف بالسؤدد والعلم بالعمل ، والرياسة باللطف فاخترته المناصب واختالت به الدول ، وتقدم بنفسه ونفاسة أصله فكان شوط من تقدمه وراء خطوه وهو يمشى على مهل ، وأصطفته الدولة القاهرة لنفسها فتمسك من الموالاة بأوثق أسبائها ، وأعتمدت عليه في بث نعمها ، وبعث كرمها ، فعرف في ذلك الأمور من وجهها وأتى البيوت من أبوابها ، وحدث وفود أبوابنا العالية لحسن سيرته في إكرامهم السرى ، وأكتفت [حتى] مع ترك الكرامة إليهم ببشاشة وجهه التي هي خير من القرى ، وصان البيوت عن الإقواء بتديره الذى هو من مواد الأرزاق ، وزاد الحواصل بتثميته مع كثرة الكلف التي لو حاكمتها الغنائم لأمسكت خشية الإنفاق .

ولما كان فلان هو الذى تليت مناقب بيته الطاهر ، وجليت مفاخر أصله الزاهر ، وتجلت بشرف خلاله خلال الشرف التي تركها الأول للآخر ، وكان مشهد الإمام السيد الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة بقعة هي متجع الرحمة ، ومظنة إجابة الأمة ، وروضة من شرفت بانتقاله إليها ، وتربة شهيد الزهراء صلوات الله على أبيها وعليها ، وبه الآن [من] رواتب القربات ووظائف العلوم وجهات الخير ما يحتاج إلى اختيار من يجمل النظر فيه ،

ويسلك نهج سلفه في الإعراض عن عرض الدنيا ويقتفيه - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكُفء الكريم ، وأختبرناه لمصالحنا فخبّرنا منه الحفيظ العليم ، وأن نُقدّم مُهمّ ذلك البيت على مُهمّ بيوتنا فإنّ حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقّ بالتعظيم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسيمه على إقدار ذوى الرتب على ما يجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدّمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدّمناه من أسباب رجّحه لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكماله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليُمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرًا ثمرة تفويضها إليه ، مبينًا نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبها على سرّ التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهدًا في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موضحًا من شفقة الولد [على] ما نُسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك المشهد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من ... (١) ... لواء فضيل رفّعه في الحقيقة رفع لمجده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تمهيرا ، ورباعها تعميرا ، وحواصلها تمهيرا وتوفيرا ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عنايته به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عشرًا إن ذلك [ كان ] على الله يسيرًا . وصن ما بيدك عن شوائب الأدناس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وقد خبرنا من سيرتك وسريتك ما لا نحتاج أن نزداد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ما سلف مرةً أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التى أنت بها متّصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما اعتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

### المرتبة الثالثة

( من الوظائف الدينية ما يكتب فى قطع العادة الصغير ، مفتتحا

بـ «رسم بالأمر الشريف» )

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبما كُتب فيه بالسامى بغيرياء لمن قصد تعظيمه وهو قليل ، وبه يكتب لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرّسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفيد علاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضفى ملابس النعماء على كلّ على فتكسوه بهجةً وبهاء - أن يستقرّ فلان فى نظر البيارستان الصّلاحيّ بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاءته التى أشتهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ؛ ونزاهته التى أضفى بها



على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشر نظر السيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميز بها أوضاعه ، ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدا صلاحى ، وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بشمير ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ، ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تنميته وتركته حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من تواقع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب فى هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القصص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحدث فى وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرّفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحدث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

### الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية — الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

#### الطبقة الأولى

(أرباب التقاليد، فى قطع الثلثين ممن يكتب له «الجناب العالى»

وفىها وظيفتان)

#### الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقلام، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية نقلاً عن "مسالك الأَبصار"، أن ربها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كمنظر المال، لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجريان الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاةً فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كُتب بها للصاحب «بهاء الدين بن حنا». من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً، وجعل مكان سرها  
وشد أزرها علياً، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضياً.

نحمده على لطفه الذى أمسى بنا حفيّا، ونشكره على أن جعل دولتنا جنّة أورث  
تدبيرها من عباده من كان تقياً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
نسبح بها بكرة وعشيا، ونصلى على سيدنا محمد الذى آتاه الله الكتاب وجعله نبيا،  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً نتبع بها صراطا سويا .

وبعد، فإن أولى ما تتغمّت السنة الأقاليم بتلاوة سورة، وتتعمّت أفواه المحابر  
بالاستمداد لتسطير سيره، وتناجى الكرام الكاتبون بشكر مجمله ومفصله، وتناشدت  
الرواة بحسن لسانه وترنمت الحداة بطيب غزله، وتهادت الأقاليم تحف معجّله  
ومؤجّله، وعنت وجوه المهارق لصعود كلمه الطيب ورفع صالح عمله - ما كان فيه  
شكر لنعمة تمنّىها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها، وإفادة مصونها ومحفوظها،  
وإرادة مرموقها بحسن الاستيداع وملحوظها، وحمد لمنحة أفاءتها بركات أحسنت  
للملكة الشريفة مالا، وقربت لها منالا، وأصلحت لها أحوالا، وكأرت  
مدد البحر فكلمها أجرى ذاك ماء أبرت هي مالا، وإن ضنت السحب أنشأت  
هي سحبا، وإن قيل - بشح سيجنا - : روتق الأرض ذهب، عوضت عنه ذهبا،  
كم لها في الوجود من كرم وكرامه، وفي الوجوه من وسوم ووسامه، كم أحييت مهجا،  
وكم جعلت للدولة من أمرها مخرجا، وكم وسعت أملا، وكم تركت صدر الحزن  
سهلا، وكم تركت صدر الخزان ضيقا حرجا، كم استخدمت جيش تهجد في بطن  
الليل، وجيش جهاد على ظهور الخيل، وكم أنفقت في واقف في قلب بين صفوف  
الحروب، وفي واقف في صفوف المساجد من أصحاب القلوب، كم سبيل يسرت،  
وسعود كثرت، وكم مخاوف أدبرت حين درت، وكم آثار في البلاد والعباد أثرت  
وأثرت، وكم وافت ووفت، وكم كفت وكفت، وكم أعفت وعفت وعفت، وكم  
بها موازين للأولياء ثقلت وموازين للأعداء خفت، كم أجرت من وقوف،

وكم عُرفَتْ بمعروف ؛ كم بيوت عبادةٍ صاحبُ هذه البركات هو محرابها ، وسماءُ جُودِ  
هو سحابها ومدينة علم هو بابها ؛ تُثنى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحَنَادِس ،  
والأيام على تهجيرهِ لعيادة الفقراء وحُضور الجنائز وزيارة القبور الدَّوَارِس ؛ يَكْتَنُّ  
تحت جناح عدله الظاعن والمقيم ، وتشكرُ مباره يثرب وزمزم ومكة والحطيم ؛ كم  
عمَّت سننُ تفقُّداته ونوافله ، وكم مرَّت صدقاته بالوادي - فسَّح الله فى مُدَّتِهِ -  
فأثنت عليه رماله وبالنَّادى فأثنت عليه أرامله ؛ ما زار الشام إلا أغناه عن مِنَّة  
المطر ، ولا صحب سلطانَه فى سفر إلا قال : نِعْمَ الصَّاحِبُ فى السَّفر والحضر .

ولما كان المنفردُ بهذه البركات هو واحدُ الوجود ، ومن لا يُشاركه فى المزايا  
شريكٌ وإنَّ الليالى بإيجاد مثله غير ولُود ؛ وهو الذى لو لم تُسمَّه قال سامع هذه  
المناقب : هذا الموصوف ، عند الله وعند خلقه معروف ؛ وهذا الممدوح ، بأكثر من  
هذه الممدوح والمحامد من ربه ممدوح وممنوح ؛ وهذا المنعوتُ بذلك ، قد نعتته بأكثر  
من هذه النعوت الملائك ؛ وإنما نذكر نعوته ألتذاذا ، فلا يعتقد خاطبٌ ولا كاتب  
أنه وفى جلالته بعضُ حقها فإنه أشرف من هذا ؛ وإذا كان ولا بد للممدوح أن تجول ،  
وللقلم أن يقول ؛ فتملك بركاتُ المجلس العالى ، الصَّاحِبِ ، السيِّدى ، الورعِ ،  
الزاهدِ ، العابدِ ، الوالدِ ، الذُّحرى ، الكَفِيلِ ، المُهْدِى ، المشيِّدى ،  
العونى ، القَوَامِى ، النَّظَامِى ، الأَفْضَلِ ، الأَشْرَفِ ، العالمِ ، العادِلِ ، البهائى ؛ سيد  
الوزراء فى العالمين ، كهف العابدين ، ماجأ الصالحين ؛ شرف الأولياء المتقين ؛ مدبر  
الدول ، سدَّاد الثُّغُور ، صلاح الممالك ؛ قُدوة الملوك والسلاطين ، يمين أمير المؤمنين ؛  
على بن محمد : أدام الله جلاله . من تشرف الأقاليمُ بحياطة قلمه المبارك ، والتقاليدُ  
بتجديد تنفيذه الذى لا يُساهم فيه ولا يُشارك ؛ فما جُدد منها إنما هو بمثابة آياتٍ

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يحكم وفيها يشهد؛ حتى نتناقل ثبوته الأيام والليالي، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحال بما له من فخر الآلى.

فلذلك نخرج الأمر العالى - لا برح يكسب بهاء الدين المحمدى أتم الأنوار، ولا برحت مراسمه ترهو من قلم منقذه بذى الفقر وذى الفقار - أن يضمن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة، العامة، الشاملة، الكاملة : من المآثر الشريفة الصحابية، البهائية، أحسن التضمين، وأن ينشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف وقلم باليمن، وأن يعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة وملوكها وسلطانها من ملك وأمير، وكل مدينة ذات منبر وسرير، وكل من جمعته الأقاليم من نواب سلطانه، وذى طاعة مدعنه، وأصحاب عقد وحل، وظعن وحل، وذى جنود وحشود، ورافعى أعلام وبنود، وكل راج ورعيه، وكل من ينظر فى الأمور الشرعية، وكل صاحب علم وتدريس، وتهليل وتقديس، وكل من يدخل فى حكم هذه الدولة الغالبة من شمسها المضيئة، وبدورها المنيرة وشهبها الثاقبة، فى الممالك المصرية، والنوبية، والساحلية، والكركية، والشوبكية، والشامية، والحلبية، وما يتداخل بين ذلك، من ثغور وحصون وممالك - أن القلم المبارك الصحابي البهائي فى جميع هذه الممالك مبسوط، وأمر تدبيرها به منوط، ورعاية شفقتة لها تحوط، وله النظر فى أحوالها، وأموالها، وإليه أمر قوانينها، ودواوينها، وكتابها، وحسابها، ومراتبها، ورواتبها، وتصريفها، ومصرفها، وإليه التولية والصرف، وإلى تقدمه البدل والنعت والتوكيد والعطف، فهو صاحب الرتبة التى لا يحلها سواه وسوى من هو مرتضيه، من السادة الوزراء بنيه، وما سمينا غيره وغيرهم

(١) بالصُّحُوبِيَّة فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا الشهيد رحمه الله يخاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لأنه ما ظلم من أشبه أباه ؛ ففترلته لأتسامى ولا تُسام ، ومكانته لا تُرامى ولا تُرام ؛ فمن قدح فى سيادته من حساده زناد قدح أُحرق بشر شره ، ومن ركب إلى جلالته ، ثبج سوء أُغرق فى بحرهِ ، ومن قتل لسعادته ، حبَل كيدٍ فإنما قتله مبرمه لتحره ؛ فلتلزم الألسنة والأقلام والأقدام فى خدمته أحسن الآداب ، وايقُل المترددون : حِطَّةٌ إذا دخلوا الباب ؛ ولا يغترهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ، فمن تأدب معه تأدب معنا ومن تأدب معنا تأدب مع الله . وليتل هذا التقليد على رؤوس الأشهاد ، وتُنسخ نُسخته حتى تتناقلها الأمصار والبلاد ؛ فهو حجتنا على من سميناه خصوصا ومن يدخل فى ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم ؛ والله يزيد المجلس الصاحبى الوزيرى البهائى سيد الوزراء من فضله ، ويُبقيه لغاب هذه الدولة يصونه لشبله كما صانه لأسده من قبله ، ويمتّع بنيتِه الصالحة التى يحسنُ بها - إن شاء الله - نماء الفرع كما حسن نماء أصله ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتب به للصاحب تاج الدين محمد بن نجر الدين ابن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، تغمده الله برحمته ، وهى :

(١) فى التعبير بالصُّحُوبِيَّة تسامح فى العربية .

الحمد لله مكل شرف الوزارة بطلعة تاجها ، ومشرف قدرها بمن تشرق عليها  
 أشعة سعده إشراق الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الحفاء  
 في حلل سرورها وحلي آتياجها ، وتحلت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تتزين  
 عقود السعود بازديادها ، وترفل من آتسائها إلى أبهة بهائه بما يود ذهب الأصيل  
 لو أمترج بسوك آتساجها ، الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أيامنا وجددها ،  
 وبعث لها على فترة من الأكفاء من حسم الأدواء فكان مسيحها وشرع المعدلة  
 فكان محمدًا ، وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يختلف في أنه صاحبها ، ورجعها  
 إلى من خطبته لنفسها بعد أن أجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شدّ أزر ملكنا بأكرم وزير ، وأيمن مشير ، وأجل من ينهى إلى  
 بيت كريم ، وحسب صميم ، ومن إذا قال لسان ملكنا : « آتوني به أستخلصه  
 لنفسي » قالت كفايته : « آجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقر بها سرا وعلنا ، ونقر بها  
 هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها مجده رفعة وسنا ، ويلبس جفن الدهر عنها  
 وسنا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة  
 بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدّ الله [ به ] عضد من سألّه وزيراً من  
 أهله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تغرب شمسها ، ولا يعزب أنسها ،  
 ولا يتفاوت في المحافظة عليها غدا وأمسها ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من خطبت بحمده الأعلام ، وانتاحت به الدولة التي ابتسمت  
 بنسيمها ثغور الأيام ، وودت مسكة الليل لو مازجت أنفاسه ، وأمل بياض النهار  
 لو أخذ من غير سمة عوض ورق الورق قرطاسه ، وتحاشدت النجوم لتنتسق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آقبال  
إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدود، وأفترت به تُغور الممالك عن أحسن الدرِّ النَّضيد،  
وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلِّ نادٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّ بريد، واختالت به أعطافُ  
الدولة القاهرة فأوت من رأى السَّديد إلى كلِّ ركنٍ شديد، ونطق به العدل والحقُّ  
نخرس الظُّلم وما يُبدى الباطل وما يُعيد، وجرت به أقدارُ ذوى الرُّتب على أجهل  
مناهجها فأما أهل العدل فيُقرَّبون نجياً وأما أهل الظُّلم فأولئك يُنادون من مكانٍ  
بعيد، وبدت به وجوهُ المصالح سافرةً بعد الحجاب، بارزةً بعد طول الانتقال إلى  
الانتقال، داخلَةً بوفود المحامد من كلِّ باب، إلا الظُّلم فإنه بحمد الله قد سدَّ ذلك  
الباب. وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقَّ إلى نصابه، ورددناه إلى من  
هو أولى به بعد اغتصابه، وألبسناه من بهجة أيا منّا تاجاً ردَّ عليه عزّاً لا تطمع  
يدُ الذهب فى انتزاعه عنه ولا استلابه، وتقليده لمن يودُّ الفرقُ لو عُقد به إكليله،  
ويتمنى الطرف لو أدرك غاية مجده وإن رجع وهو حسيرُ البصر كليله، وتفويضَ  
ذلك إلى من كان له وهو فى يدٍ غيره، ومن به وببيته تمهّدت قواعده فما كان فيه  
من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرف من قبل المُقصر من عثارهم فى سيره،  
وما أحدث فيه من ظلم فهو منه بُراء إذ إنَّ ذلك على من أجترأ عليه، وما أُجرى  
به من معروف فإلى طريقهم منسوب وإن تلبَّس منه بما لم يُعط من نُسب إليه،  
وما خلا منهم هذا الدَّستُ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس، ولا تصدَّى  
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعِلية النفوس.

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتوحة بالبركات أيامها، ماضية بكفِّ  
الظلم ونشر العدل سيوفها وأقلامها، مستهلةً بالأرزاق سُحب فضلها التى لا يُقلع



غمامها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يُعين على الحق بآرائه، ويَجَلِّ الدست بهجته وروائه، ويُجْرى الأرزاق بوجهٍ لو تأمله أمرٌ ظامئٌ الجوانح لأرتوى من مائه، وكان المجلس العالى، الصاحبى، الوزيرى، التاجى : أدام الله تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذى تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله، وما زال يتشوف إليه تشوف البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محياه الذى هو كنور الشمس فى الدنو وكحلها فى الصعود، وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع فى أيامه لمالك عصره، والآراء تُقام منها جنود لتأييده وحشود لنصره، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه بموج البحر فى الحضر دون حصره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العَمِيمه، وكل جلال دولته بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن يُحَلَّى منه هذه الرتبة العلية بما حلَّ به الدين، وتُعقد له راية فضيلها المتين، ليتلقاها شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وبراً وبحراً، وشاماً ومِصرًا، ويُحَلَّى حِلَّه علم وعلم، وسيف وقلم، ومنبر وسرير، ومأمور وأمير .

فليتلقَ أمره بالطاعة كلُّ مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ فى طاعتنا المفروضة بين بيان التقليد وعنان التصريف، وليبادر إلى تدبير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة، ويمضِ القواعد على ما تراه آراؤه المنزهة عن المنازعة فى الأمر والمشاركة، وليُنشُر كلمة العدل التى أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويُمِيت بدع الظلم فإن الله يشكره على تلك الإماتة ويحمده عليها، ويسهل رِزق الصدقات، ووظائف القُرُبات، فإن ذلك من أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها، وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش سهامها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يُداوى بالرقى سهامها، وليعود بتائم التيسير

مواهبنا فإنَّ تمام النعمة تَمَّائها ؛ وليطلق قلمه فى البسط والقبض وليعد بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذمَّاه وبدوائه مُهيجته ؛ ويصنُّ عن شوائب الظلم حرمتَه ، ويخلص ذمتنا من المآثم وذمتَه ؛ وليعلم أنَّ أمور المملكة الشريفة منوطة بآرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآة تجلُّو عليه صورهَا ، ويقيم آراءه صُحفاً تتلو لديه سورَهَا ؛ ويأمر النواب بما يراه من مصالحنا ليدبوه سامعين ، ويسهر بخفنه فى مصالح البلاد والعباد لترقد الرعايا فى مهاد الأمن وا عين ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مرفعه الله من منارها ؛ ولا يعدل فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمضى فيها عزلاً ولا ولاية إلا بعد تتبُّعه الواجب فى ذلك واستقراءه ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعد إليه يرجع فى أوضاعها ، وعليه يعول فى اصطلاحها لانتفرادها فيه واجتماعها ؛ فايُفعل فى ذلك ما هو عليه بحسن الشئاء جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فإنه نعم المولى ونعم النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستمرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شدَّ أزر مُلكنا الشريف ، بمن أضاء فى أفق الدين علمه ، وشيّد قواعد عدلنا المنيف ، بمن أعلت منار الحق آياته فى أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل فى نكاية أعداء الله فعَل الحرب العوانِ سلّمه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كفت أقلامه كف الحوادث  
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يخشى ظلمه ، وصان ممالكنا المحروسة بآراء من إن  
صرف إلى نكايه أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعف كلمه ، وإن صرفه  
في حماية نعر لم يشم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حمى جانب إقليم عمر على  
الأيام ثل عروش ما حماه وشمه ، وإن أرففه لذب عن دين الله راعت عدو الدين  
منه يقطئه وسله عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،  
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بآراء من أصبح علمه علما للثقلين وعمله سنا  
للمقتدين ، وبجرت ينابيع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين  
وقمع بمهايتنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من  
نوعتنا ما فقد ، وأطفأ إعلانها عن حملتها لهب العناد وقد وقد ، وفوض أعتناؤنا  
بمصلح أهلها أمورهم إلى أكل من آتقى لنا التأييد من ذخائر العلماء وأفضل  
من انتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للدب عن أمته ، وجلا  
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظله من غممه وران عليه من غمته ،  
وعضدنا من أئمة ملته بمن أردنا مصلح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه  
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه  
قدم صدقه ، وأختصه الله بمؤازرة نبيه دون من آجته من خلقه ، ومنهم من  
كان الشيطان ينكب عن طوقه ، ونطق من الصواب بما نزل الذكور الحكيم على  
وفقه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ، ومنهم من قابل المعتدين

برَفَقِهِ وَقُتِلَ شَهِيدًا عَلَى حَقِّهِ ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَسْتَحْيِي مِنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ  
وَكَرَمِ خُلُقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَعَ [لَا] مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ مِنْ كُلِّ مُلْجِدٍ  
فِي دِينِ اللَّهِ بِمِثَابَةِ قِلَادَةِ عُنُقِهِ ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا تَوْرَعًا عَنْهَا وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُ مَا بَسَطَ  
اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ رِزْقِهِ ؛ صَلَاةً يُقِيمُ الْإِيمَانُ ، فَرَضَهَا ، وَيَمْلَأُهَا الْإِيقَانُ ، طَوْلَ الْبَسِيطَةِ  
وَعَمَرَضَهَا ، وَتَزِينُ كَوَاكِبُ ذِكْرِهَا وَمَوَاكِبُ نَصْرِهَا سَمَاءَ الدُّنْيَا وَأَرْضَهَا ؛ وَسَلَّمْ  
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رُقِمَتْ لِأَعْطَافِ فَضْلِهِ حُلَلُ الْكَلَامِ ، وَنُظِمَتْ لِأَجْيَادِ  
ذِكْرِهِ فَرَائِدُ الْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقْلَامِ ؛ وَوُشِّحَتْ التَّقَالِيدُ  
مِنْ مَنَاقِبِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ آتِّسَاقِ الدَّرَارِيِّ عَلَى هَالَاتِ الْبُدُورِ ، وَجُلِّيَ عَلَى الْمَسَامِعِ  
مِفَاحُهُ بِمَا هُوَ أَمْهِيٌّ مِنَ النُّورِ فِي الْعَيُونِ ! وَأَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ فِي الْقُلُوبِ ! وَأَوْقَعَ مِنَ  
الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ ، وَأُطْلِعَ فِي أَفْقِ الطُّرُوسِ مِنْ أَوْصَافِهِ شَمْسُ أُسْفَرِ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ  
ضِيَاؤُهَا ، وَأُنْشِئَتْ فِي أَثْنَاءِ السُّطُورِ مِنْ نَعْتِ مَا ثَرَهُ سَحْبٌ إِذَا قَابَلَتْهَا وَجُوهَ الْحَيَا  
سَتَرَهَا بِجُمَرَةِ الْبَرْقِ حَيَاؤُهَا ؛ وَأَوْدَعَتْ الْمَهَارِقُ مِنْ ذِكْرِ خِلَالِهِ لُطْفًا يَوَدُّ ذَهَبُ الْأَصِيلِ  
لَوْ نَابَ عَنْ أَنْقَاسِهَا ، وَمُنِحَتْ صُدُورُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَالِيهِ طَرْفًا نَتَمَّى الرِّيَاضُ الْعَوَاطِرُ  
لَوْ تَلَقَّتْ عَنْ أَنْفَاسِهَا - مِنْ سَمَتِ الْوِزَارَةِ بِاسْتِقْرَارِهَا مِنْهُ فِي مَعْدِنِ الْفَضَائِلِ ،  
وَأَتَّسَمَتْ مِنْهُ بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَعَادَتْ أَيَّامُهُ مَا فُقِدَ مِنْ مَحَاسِنِ السَّيْرِ الْأَوَائِلِ ؛  
وَأَبْتَسَمَتْ مِنْ عُلُومِهِ بِالْعَلَامَةِ الَّذِي نَتَفَرَّعُ مِنْ أَحْكَامِهِ أَحْكَامُ الْفُرُوعِ وَنَتَفَجَّرُ مِنْ  
تَوَاقِيْعِهِ عَيُونُ الْمَسَائِلِ ، وَأَتَّصَفَتْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ بِالْمُنْصِفِ الَّذِي هَجَرَ فِي أَيَّامِهِ هَجِيرَ  
الْحَيْفِ وَالظُّلْمِ فَالْأَوْقَاتُ فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ كُلُّهَا أَسْحَارٌ وَأَصَائِلُ ؛ وَأَبْتَهَجَتْ مِنْ إِنْصَافِهِ  
بِالْعَادِلِ الَّذِي سَهَّلَ عَلَى ذَوِي الْمَطَالِبِ حِجَابَ بَابِهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُطْرَقَ بِالشَّفَاعَاتِ  
وَلَا أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِالْوَسَائِلِ ، وَأَشْرَقَتْ مِنْ مِفَاحِهِ بِالْكَامِلِ الَّذِي حَسُنَتْ بِهِ حُلَلُ

الثناء فكأنها آبتسامُ تُغور النور في أثناء الخمائل ؛ فالعدل في أيامه كالإحسان شامل ،  
 والمعروف بأقلامه كالسُّحْب المتكفلة برى الأرض الهامل ، والظلم والإنصاف  
 مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يُردُّ عن هذا أمل ؛ قد أعطى  
 دسّت الوزارة الشريفة حقه : فالأقدار بآياته مرفوعة ، والمضار بمعدلاته مدفوعة ،  
 وكلمة المظلوم بإنصاف إنصاته مسموعة ، وأسباب الخيرات بحسن نيته لنيته الحسنة  
 مجموع ، والأقاليم بكلاءة أقلامه محوطة ، وأحوال المملكة بأرائه المشتملة على  
 مصالحها منوطة ؛ والثغور بحسن تفقده مفترقة المباسم ، مصونة بإزاحة الأعذار  
 عن مرّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالة الحمول التي لا تزال عيسها بإدامة  
 السرى دامية المناسم ؛ والبلاد بما نشرت أقلامه من العدل معموره ، والرعايا  
 بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معموره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه  
 أقلامه عن الحيف منهية وبالرفق مأموره ، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا  
 الزاهرة مرتفعة ، والرعية لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ؛ وبيوت  
 الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوفر على عمارة البلاد ،  
 والحمول متواليّة مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطوارف والتلاد ؛  
 والأموار بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والنفوس بالأمن على ما هي عليه  
 من التملّى بالنعم مغبوبة ، والمناصب مصونة بكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان  
 الذين تنبّهت لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ؛ ومجالس المعدلة حالية ، بأحكام  
 سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عالية ، بما يملأ فيها من فوائده التي أتعب السنة  
 الأقلام ما فيها من صفه .

ولما كان الجنب العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك  
 الشريفة ، هو الذى كرمته به مناسبتها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحلّت

بِعِلْمِهِ مَعَاظِفُهَا ، وَنَزَلَتْ عَلَى حُكْمِ حِلْمِهِ عَوَارِفُ رِثَا الْعَمِيمَةِ وَعَوَاطِفُهَا ، وَزَهَتْ  
 بِجَوَاهِرِ فُضَائِلِهِ أَجْيَادُهَا ، وَأَسْتَوَتْ فِي مَلَايِسِ حُلِّ الْمَسَرَّةِ بِهِ أَيَامُهَا الزَاهِيَةِ  
 وَأَعْيَادُهَا ، وَأَنَارَتْ بِمَعْدَلَتِهِ لِيَالِيهَا ، وَأَشْرَقَتْ بِالْإِتِّظَامِ فِي سِتَابِ<sup>(١)</sup> إِيَالَتِهِ لِآلِيهَا ،  
 فَكَمَّ مِنْ أَقَالِيمِ صَانِ قَلَمِهِ أُمُومَالَهَا ، وَمَمَالِكِ حَلَى عَدْلِهِ أَحْوَالَهَا ، وَبِلَادِ أَعَانَ تَدْبِيرِهِ  
 الشُّحْبِ عَلَى رِيَّيَا ، وَأَعْمَالِ أَبَانَ عَنْ أَسْتِغْنَائِهَا بِتَأْثِيرِهِ عَنْ مِنَّةِ الْحَيَا حَسَنُ مَسْمُوعِهَا  
 وَمَرْئِيَّيَا ، وَأَرْزَاقِ أَدْرَهَا ، وَرِزْقِ أَجْرَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ الْإِحْسَانِ وَأَقْرَاهَا ، وَجِهَاتِ يَرْ  
 أَعَانَ وَاقِفِيهَا عَلَيْهَا ، وَأَسْبَابِ خَيْرٍ جَعَلَ أَيَّامَنَا بِإِدَامَةِ فَتَحِهَا السَّابِقَةِ إِلَيْهَا ، وَقَدَّمَ  
 سِعَايَةَ أَزَالَهَا وَأَزَلَّهَا ، وَكَلِمَةَ حَادِثَةٍ أَذَالَهَا وَأَذَلَّهَا ، وَوُجُوهَ مَضَرَّةٍ رَدَّهَا بِيَدِ الْمَعْدَلَةِ  
 وَصَدَّهَا ، وَأَبْوَابِ ظُلْمٍ لَا طَاقَةَ لِلرَّعِيَّةِ بِسُلُوكِهَا أَغْلَقَهَا بِمَنْعٍ يُمْنِهِ وَسَدَّهَا ، فَدَأَّبَهُ أَنْ  
 يُسَدِّدَ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا بِاتِّخَاذِ الْيَدِ عِنْدَ الْفُقَرَاءِ سِهَامَ اللَّيْلِ الَّتِي لَا تَصُدُّهَا الدُّرُوعُ ،  
 وَأَنْ يَجِدَّدَ لِأَوْلِيَائِنَا مِنْ عَوَارِفِ آلَانَا أَخْلَافَ يَرْ تَرَوَى الْآمَالَ وَهِيَ حَافِلَةُ الضَّرُوعِ -  
 أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُزَيَّنَ بِحُجْدِهِ غُرَرُ التَّقَالِيدِ ، وَنَجِدَّدَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ وَزَارَتِنَا  
 الشَّرِيفَةِ إِقَاءَ الْمَقَالِيدِ ، وَأَنْ نُوشَى الطُّرُوسَ مِنْ أَوْصَافِهِ بِمَا يَجِدَّدُ عَلَى أَعْطَافِهَا  
 الْحَبَرَ ، وَنَرْدَدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقَالِيمِ مِنْ نُعُوتِهِ مَا لَا تَمَلُّ الْمَسَامِيعُ إِيرَادَ الْحَبَرِ مِنْهُ بَعْدَ الْحَبَرِ .  
 فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُويِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلَكِيِّ ، الْفُلَانِيِّ -  
 لِأَزَالِ الدِّينِ فِي أَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ مُشْرِقًا ضِيَائُهُ ، أَهْلَةً بِاعْتِلَائِهِ مُرَابِعَ الْوُجُودِ وَأَحْيَاؤُهُ ،  
 مَمْدُودَةً عَلَى الْإِمَّةِ ظِلَالُهُ الْوَارِفَةُ وَأَفْيَاؤُهُ - أَنْ يُجِدَّدَ هَذَا التَّقْلِيدَ بِاسْتِقْرَارِهِ تَجْدِيدًا  
 لَا يُبْلَى الدَّهْرُ حُلَلَهُ ، وَلَا تَقْوُضُ الْأَيَّامُ حِلَلَهُ<sup>(٢)</sup> ، بَلْ يُشْرِقُ فِي أَفُقِ الْمَمَالِكِ إِشْرَاقُ

(١) السِتَابُ بِكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَبِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ قِلَادَةٌ مِنْ مَسَكٍ وَقَرْنَقَلٍ وَمَحَابٍ بِلَا جَوْهَرٍ  
 جَمْعُهُ كَكَتَبٍ .

(٢) جَمْعُ حَلَةٍ بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى الْيَوْمِ وَهِيَ مِائَةٌ فَمَا فَوْقَهَا انْظُرِ الْمَصْبَاحَ .

النجوم الثوابت ، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفنان الناشئة في الأصول النوابت ،  
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملايسها ، وتضيء به مواطن العلوم إضاءة  
صباحة المصباح في يد قابسها ، وتسترنع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،  
وتجتلي به لأيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أعلامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها ، ويرسلها في نشر العدل  
على سجيته وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكنف الحوادث فإنما تزال  
أسباب الظلم بحسم مآدتها ، ولينطبقها في مصالح الأموال بما تظل له مسامح الحمول  
مصغيه ، ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الحصب حافظه ولما عده  
مغنيه ، وكذلك الخزان التي هي معقل الإسلام وحصونه ، وحماه الذي لا يتبدل  
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مصونه ، فليجعلها بتدبيره كالبحار  
التي لا تنقص بكثرة الوارد جماتها ، ولا تنزعها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق  
غماتها ، ولتكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه ، وآكد ما يؤمر به محاضره  
من الأولياء ومجالسه ، وأزكى ما يستجيد [ به ] لاستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،  
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذا اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي  
أن ينافس عليه حاضر دسسته وغائبه ، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويعد على  
إقامته رغائبه .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كأنه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته  
في مرآة لبه ، فيقرر كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل ثغر على  
ما يحصل به المراد في سداده ، فيغدو لأعداره بموالاتة الحمول إليه مريحا ، ويمسى  
بسد خلله لخواطر أهل الكفر متعبا وخواطرنا الشريفة مريحا ، وينظر في أحوال



من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجدد الاستطاعة لديهم ،  
ويُزيل أَعذارهم وَاَعْتِذارهم [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة  
لِلْأَعْداء<sup>(١)</sup>] إذا اتّوهم من فورهم ، ويكفّهم بإدراك الأرزاق عليهم عن اعتدائهم  
على الرعايا وجورهم ، ويتفقّد من أحوال مباحثيها وولاية الحكم والتحكّم فيها  
ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيرة ، والطفوات التي يرونها قليلة وهى  
بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ، ويتعهّد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها  
بالمُناسب ، ولا تغدو أوقافها المَعْدّة لآكتساب العلوم فى المكاسب ، بل يتعين أن  
يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر فى رتبها الأئمة الكفاء وإلا اتّخذ  
الناس رؤوساً جهّلاً فضّلوا وأضلّوا . ولكن أقلامه على كلّ ما جرت به العوائد  
فى ذلك محتويه ، وأيامه على أكمل القواعد فى ذلك وغيره منظويه ، فما ثمّ شىء من  
قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يمثّل ، وليقلّ فى مصالح دولتنا  
القاهرة يَكُن قوله أمضى من الظبّا وأُسرى من الصبّا وأسير من المثل ، فلا تُمضى  
فى ذلك ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بَدَل ، ولا عقد [ولا] حل ، إلا وهو معدّوق  
بآرائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ، متلقّى ما يقرّر فيه من تلقائه ، وفى الآكتفاء  
بسيرته ما يغنى عن إطرائه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذى شدّ لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أُرزا ، وخصّ أيّامنا  
الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تضع أو تحل وزرا ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتى بعد .



فِي أَفُقِ خِدْمَتِنَا هِلَالًا وَاسْتَقْلَّ بِحَسَنِ السَّيْرِ وَالسَّيْرَةِ بَدْرًا ، وَضَاعَفَ إِحْسَانَنَا لِمَنْ [لَا]  
نَرْفَعُهُ إِلَى رُتْبَةِ شَرَفٍ إِلَّا وَكَانَ أَجَلٌ الْأَكْفَاءِ عَلَى ذَلِكَ قُدْرَةً وَقَدْرًا ، وَجَمَلَ مُلْكَنَا  
بِمَنْ إِذَا أَتَتْخَرَتِ الدُّوَلُ بِيَعُضِ مَنَاقِبِهِ كَفَّاهَا ذَلِكَ جَلَالًا وَفَخْرًا ، وَإِذَا آدَخَرَتْ تَدْبِيرَهُ  
وَبَذَلَتْ مَا عَدَاهُ فَحُسْبُهَا مَا أَبَقَتْهُ وَقَايَةُ لِلْمَلِكِ وَذُنْخَرًا ، وَبَسَطَ عَدْلَنَا فِي الْأَقَالِيمِ بِيَدِ  
مَنْ حِينَ أَمَرْنَا الْقَلَمَ بِتَقْلِيدِهِ ذَلِكَ سَجَدَ فِي الطَّرْسِ شُكْرًا ، وَأَفْتَتَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ يَذْكُرُ النِّعْمَةَ  
بِهِ عَلَى آلَائِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا ، وَأَخَذَ فِي وَصْفِ دُرَرِ مَفَاخِرِهِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ لَهُ  
فَنَضَّدَهَا دُونَ أَنْ يَسْتَدْعِيَ رَوِيَّةً أَوْ يُعْمِلَ فِكْرًا .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ وَالَى إِلَى أَوْلِيَائِهِ ، مَوَادَّ النِّعَمِ ، وَأَضْفَى عَلَى أَصْفِيَائِهِ ، مَلَائِسَ  
الْكَرَمِ ، وَحَفِظَ لِمَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِهِ مَعَارِفَ مَعْرُوفِهِ الَّتِي هِيَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَّةٌ ،  
وَنَبَّهَ لِمَصَالِحِ رَعَايَاهُ مَنْ عَمَّ عَدْلُهُ وَإِنْ لَمْ يَغْفُفْ عَنْ مَلَا حِظَةَ أُمُورِهِمْ وَلَمْ يَنْمَ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نُعَلِّمُهَا وَنُعَلِّمُهَا ، وَنُرْخِصُ أَرْوَاحَ  
جَاهِدِيهَا وَنُعَلِّمُهَا ، وَنُوَالِي النِّعَمَ عَلَى الْمُتَمَسِّكِ بِهَا وَنُوَالِيهَا ، وَتَقَرَّبَ بِمِنْهَا رُتَبَ الْأَوْلِيَاءِ  
مِنْ إِحْسَانِنَا وَنُدْنِيهَا ، وَنَجِدُّ لَهُمْ بِتَأْيِيدِهَا مَلَائِسَ الْمِنَّةِ نُظْهِرُ عَلَيْهِمْ آثَارَ النِّعَمِ السَّنِيَّةِ  
فِيهَا ، وَنَرْفَعُهُمْ بِحَسَنِ عَنَانِنَا إِلَى أَشْرَفِ غَايَةٍ كَانُوا يُسْرُّونَ أَهْلِيَّتَهُمْ لَهَا وَاللَّهُ يُبْدِيهَا ،  
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَقَامَنَا لِنَصْرِ دِينِهِ فَقَقَمْنَا بِهِ كَمَا أَمَرَ ، وَأَبْقَى عَلَى  
أَيَّامِنَا حُكْمَ أَيَّامِهِ فَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى مَا سَبَقَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ مِنْ تَأْيِيدِ الدِّينِ بِعُمَرٍ ، وَخَصَّصْنَا  
مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى أَصْحَابِهِ بِأَجَلٍ صَاحِبِ يَنْوِبٍ عَنْ شَمْسِ عَدْلِنَا فِي مُحَوِّظَةِ الظُّلَمِ مَنَابِ  
الْقَمَرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الزُّهْرُ الْغُرْبُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ أَخْتِيرَتْ جَوَاهِرُ الْكَلَامِ لِرُصْفِ مَفَاخِرِهِ ، وَأَخْتِيبَتْ غُرَرُ  
الْمَعَانِي لَوْصَفِ آثَارِهِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَمَا ثَرِهِ ، وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَابِرِ

الأنادل بشيرة يُن أيامه ، وتطلعت مُقل الكواكب مشيرة إلى ما أقبل على الأقاليم  
من إقباله وسُحَّت سُحُبُ أَقْلَامِهِ ؛ وتبرجت زُهرُ النجوم لينتظم في عُقُود مناقبه  
سعودها ، وتأرجحت أرجاء المَهَارِقِ إِذ تَبَاجَّج من ليلٍ عن فجرِ عمودها ؛ وسارت به  
أنباء السُّعُود والتلم الناطق بذره وهو المخلِّق الميْمُون طائره ، والطَّرس الموشع بُشْكُره  
وهو المخلِّق الذى تملأ الدنيا بَشَائِرِه - من استخلصته الدولة القاهرة لنفسها فتملأها  
عينا وسرَّ بها قلبا ، واختصته بنحواصها الشريفة فرحب بها صَدْرًا ولبَّأها لبًا ، وكلف  
بمؤازرتها - إياها حتى قيل : هذه « تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَفَفَهَا حُبًّا » ، وأحلتها  
من وزارتها الشريفة بالمكان الأُسْنَى والحرم الحريز ، وأثنت على فضله الأسمى بلسان  
الكرم البسيط الوجيز ، وأعتمدت في أمور رعاياها على ما فيه من عدل وورع لا يُنكر  
وجودهما من مثله وهو فى الحقيقة عُمرُ بْنُ عبد العزيز ، وأدنته عنايتنا منأما فيه  
من فضلٍ عظيم ، وحسبٍ صميم ، ونسبٍ حديث مجده قديم ، وأصالته إذا انتخرت  
يوما تميم بقومها قالت أين تميمك من جدّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
تميم ، وغرسته لنفسها وطال ذلك الغرس وطاب الثمر ، واعتضدت بتدبيره  
فكان له عند أطراف العوَالى فى مكانه الأعزُّ أظرف سمر ، ووثقت بما فيه من  
عدل ومعرفة لا يُنكر من نحا الصواب اجتماعهما فى عُمر ، واشتقت له بإحساننا من  
نسبته وصفًا جميلًا ونعتًا جليلا ، وخصته لمزية ذلك الأشفاق بمزيد قُرْبنا فأُمسى  
فى خدمتنا جليلا وأصبح خليلا ، ورعت له ما قد تم من تدبير أتى عليه بنفسه ،  
وسدادٍ ظهرت مزية كل يوم منه على أُمسِه ؛ وسعى جميل ما برح فى مصالح  
الإسلام رائحا وغاديا ، واجتهادٍ فى أمور أدل الجهاد ما برح يدأب فيه علما بما أعتد  
الله لمن جهز غازيا ، ودان له من حُسن ملاحظته الأمور ما ليس للوصف به من

قَبْلَ ، وَتَأَمَّلْتُ مَا يُكْشَفُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ لَا وَنَعْمُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الْجَبَلِ ، وَأَيَقَنْتُ بِبَسْطِ الْعَدْلِ فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤَمِّرٌ وَالْعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقْتُ عِمَارَةَ الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ بِحُكْمِ الْعَدْلِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ عَامِرٌ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْفَخْرِيُّ - ضَاعَفَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي قَرَّبَتْهُ طَاعَتُنَا نَجِيًّا ، وَرَفَعَتْهُ وَلَا يَتَنَا مَكَانًا عَلِيًّا ، وَحَقَّقَ لَهُ اجْتِهَادُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ الْأَمَلِ مِنْ رِضَانَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَاتَّخَذَتْهُ لِحَاصِ الْأُمُورِ وَعَامَّتِهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ بِفَعْلَتِهِ لِمَصَالِحِ الْمُلْكِ وَزِيرًا وَصَاحِبًا وَوَلِيًّا ، وَأَنْجَزَتْ مِنْهُ لِتَدْيِيرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ مَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طَلَا ، وَأَجَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الَّتِي هِيَ مَلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الْأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غِمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَلَّدَتْهُ رِعَايَةَ الْأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا عِلْمًا أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِإِطْلَا ، وَقَلَّدَتْ جِيْدَهُ بِأَسْنَى حِلِّيْ هَذِهِ الرِّتَبَةِ الْجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمِ قُرْبِهِ مِنَّا عَاطِلًا ، وَرَفَعَتْ لَهُ لَوَاءَ عَدْلٍ مَا زَالَ لَهُ بِالْمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّمَتْ لَهُ بِبَلُوغِ الْغَايَةِ مِنْ أَفْقِ الْعُلُوفَةِ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ الْمُؤَهَّلُ لِلْكَمَالِ بِاعْتِبَارِ مَا يُشُولُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَنَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ وَمَا كَانَ لظُهُورِ مَخَائِلِ هَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ خَامِلًا ، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا فَمَا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوَزِيرِ عُمَرَى السَّيْرِ مَسْلُوكِ طَرِيقَا إِلَّا وَعَدَلَّ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَلِيلُ غَايَةَ مَدَارِ الْمَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبْلَةً تَوَجَّهُ وَجْوهُ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيمَا يُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِنَا إِلَيْهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لَبُوسًا ، وَيَعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ الْمَهَامِّ مَا بَغِيرَ عِزَائِمِهِ لِأَيُّوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي الْمَخَالِصَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَقُوضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يَجِب ، وعلمنا تحرزه لدينه ولنا فيما يأتى ويَجْتَنِب ، ومن تُزاد به مع نغره أيا من الشريفة نَحْرًا ، ويُصْبِح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رُتَبُ جَلالةٍ أُخْرَى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -  
لا زال يُصَرِّف الأقدار بيمين أَيْامه ، ويُشَرِّف الأقدار بيره وإنعامه ، ويُدِّر على الأولياء وإبل جوده الذى تَحْجَل الدِّيم من دَوامه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبراً وبحراً ، وشاماً ومصرًا ، على أجمل القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يُستغنى بِمَجْمَلِها عن مَفْصَلِها .

فليُعْط هذه الرتبة من جلالته حَظًا كانت من إبطائه على وجَل ، ويُجَارِ الغنائم بوابل إنعامنا الذى يُعَلِّم به أن حُمْرة البرق فى أشائه نَجَل ، ويُطَلِّق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بسطاً وقبضاً ، وإبراما ونقضا ، وتديراً يُعِين النِّيلَ والغمام على تَتَبُّع المحل ما وجدَ كُلُّ منهما أرضاً ، ويُعْمَل آراءه المباركة تديراً للمناجح وتدريباً ، وتقريراً للقواعد وتقريراً ، ونظراً يجعل لكل عملٍ من ملاحظته نصيباً ، وفِكراً يحاسبُ به على حقوق الله وحقوق خلقه فإنَّ الله هو المناقشُ على ذلك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى مُلْكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإنَّ الإنسانَ ضعيف ، ويُجْزِلُ لأولياء دولتنا موادَّ الارزاق فإنَّ سيفَ المنع الذى نُحاشِي أيا منّا عن تجريده أقلُّ نيكالية من التسويف ، ويمنعُ الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دُونَ أقوالهم فإنَّ منهم من يدعى العدل ويجور ويُظهر الرفق ويخيف ، وليتَّبِعْ أدواءَ المحل تتبع طبيب خبير ،

وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْيِيرِهِ فَإِنَّ الْبَرَكَهَ مَعْدُوقَةٌ بِحُسْنِ التَّدْيِيرِ ، وَيَسْتَقْبِلُ رَىَّ  
الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَرَمٍ يُغْتَفَرُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لَذَلِكَ الْكَثِيرِ ،  
وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفْقِ وَالْعَدْلِ أَوْضَاعَ مَا فَاتَ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَهُمْ  
بُيُوتُ الْأَمْوَالِ فِيُوَالِي إِيْتَانِ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي  
لَا يُطَّلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدْيِيرِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ  
مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِخَ تَلَا إِنْفَاقُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْخَزَائِنُ الَّتِي هِيَ مَعَاقِلُ الْإِسْلَامِ وَحُصُونُهُ ، وَحِمَاهُ الَّذِي لَا يُبْتَدَلُ بِغَيْرِ  
أَمْرِنَا الشَّرِيفِ فِي مَصَالِحِ الْمَلِكِ وَالْمِلَّةِ مَصُونُهُ ، فَيَجْعَلُهَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَمِيلِ كَالْبِجَارِ الَّتِي  
لَا تَنْقُصُ بِكَثْرَةِ الْوَرَادِ جَمَامُهَا ، وَلَا تَنْزَحُهَا السُّحْبُ عَلَى كَثْرَةِ مَا تَحْمِلُ إِلَى الْآفَاقِ  
غَمَامُهَا ، وَلِيُلاحِظَ مِنْ مَصَالِحِ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمَا تُثْمَلُهُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ أَفْكَارُهُ ، وَيَأْمُرَ  
فِي أَحْوَالِ مَنْ بِهِ مِنَ الْجُنْدِ بِمَا يُؤَكِّدُ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَيَجِدُّ الْأَسْتَطَاعَةَ لَدَيْهِمْ ، وَيُزِيحُ  
أَعْدَاءَهُمْ وَأَعْتِدَارَهُمْ بِوُصُولِ حُقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَيُوقِّرُهُمْ عَلَى إِعْدَادِ الْأُهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ إِذَا  
أَتَوْهُمْ مِنْ قَوَرِهِمْ ، وَيُكْفِّهِمْ بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ عَنْ أَعْتِدَائِهِمْ عَلَى الرِّعَايَا وَجَوَرِهِمْ ،  
وَيَجْعَلُ ثَغُورَ كُلِّ جَانِبٍ - بِتَيْسِيرِ مُحْصُولِهَا ، وَتَثْمِيرِ ذَخَائِرِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَوَارِدِ رِجَالِهَا -  
مُصَفَّحَةً بِالْصَّفَاحِ ، مُشْرِقَةً بِأَسْنَةِ الرَّمَاكِ ، مَسْدُودَةً مِنْ جِهَةِ الْعَدُوِّ عَنْهَا مَسَالِكُ  
الرِّيَاحِ ، وَيَتَفَقَّدُ مِنْ أَحْوَالِ مَبَاشِرِيهِ ، وَوَلَاةِ الْحَكْمِ وَالتَّحْكُمِ فِيهِ ، مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ  
مُنَاقِشُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ ، وَالْهَفَوَاتِ الَّتِي يَرَوْنَهَا قَلِيلَةً وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثْرَةِ  
الرِّعَايَا كَثِيرَةٌ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي إِذَا عَدَّهَا الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ قَالُوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا  
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، وَيَتَعَاهَدُ أُمُورَ الرُّتَبِ الدِّينِيَةِ فَلَا تَأْخُذُ مَنَاصِبَهَا  
بِالْمَنَاسِبِ ، وَلَا تُعَدُّ رِزْقُهَا الْمَعْدَّةُ لِأَكْتِسَابِ الْعِلْمِ فِي الْمَكَاسِبِ ، بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَرْتَادَ

لذلك العلماء الأعلام حيث حلّوا ، ويقرّر في مراتبها الأكفاء وإلا آتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فضّلوا وأضلّوا ؛ وقد جعلنا [أمره] فى ذلك جميعه من أمرنا ، فليقلّ يمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التى يسير بطريقها المثلى المثل ؛ ولا تُمضى ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بذل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلقّ من تلقائه ، متوقّف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، أكتفاء بما فيه من حسن الشيم ، واقتصرنا على ذكر بعض المزايا ، إذ مثله لا يدُل على صواب ولا يُزاد ما فيه من كرم ؛ لكنّ تقوى الله أولى ما ذكر به من لم ينل لربه ذاكرا ، وأحقّ ما شكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكرا ؛ والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالا بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شدّ أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حسن تدبيره لمن دلّت عليه بركة الاستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجميل الثناء المعنى وإليه بنان الاجتباء الإشارة ، وناول كتابها لمن هو أحقّ بتحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن لا شبهة بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لوضع الإشارة فى محلّها ، وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلّها .

نحمده على حسن إلهامه ، وشريف إفهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص فى أدائها ، محقّ فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن محمداً

عبده ورسوله خير من هو بالحق مبعوث وبالصدق منعوت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال مستمرة في كل وقت موقوت ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن يد الوزارة هي اليد الباسطة فيما قلّ وجلّ ، والمتحكمة فيما عُدق بالملك من كل عقد وحلّ ، والموقوف عند إشارة بنائها وإليها التحكم في كل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وولايه ، ونهاية كل نهى وأمر وما لها من غايه ، وربها من الملك كالروح الباصرة من العين ، واللسان المعبر عن كل زين وشين ، وحسبه أنه في المحلّ من ذات اليمين ، ومن مكانة التمكن في الحِرْز الحصين ، ولهذا لا يؤهل لها إلا من أنعقد على سُؤده الإجماع ، وأنقطعت دُون لحاق شرفه الأطماع ، وتأصل في نخارها وتفرّج ، وقام بفروض كفاية كفالتها وتطوع ، وسار حديث مناقبه في الآفاق ، وجاء بالأختيار والأختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنى ، وتعددت مناقبه فدلت على أنه الفرد إذا اتسقت عقوده مثنى مثنى . وكان المجلس العالى الفلانى ربّ حوزتها وسريها ، وروح بصر مرتبى هذه المحامد وإليه [أمر] مصيرها ، والذي حكمت له السيادة بمنالها وحكمته ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب في اختياره لها وأحكمته ، وقد حاز من متفرق لوازمها ما تفرّق فيمن سواه ، وحوى من أدواتها [مادل] على أن الله خلقه فسواه ، إن قال فالصواب موكل بمنطقه ، أو صمت فعظم مهابته قائم مقامه بجمل الخلق لا تخلّقه ، قد جمع إلى التواضع فرط المهابة ، وإلى الأبتداء بالمعروف حسن الإجابة ، إن ذكرت الصدارة فهو مالك زمامها ، أو الرئاسة فهو غيرة لثامها ، أو الكفالة فهو مصرف عنائها ، أو الوزارة فهو عين أعيانها ، لم تزل رتبها متشوقة لحلوله ، ممهدة لشريف تأهيله .



ولما تحلّى منها بهذه الحلى ، وسار حديث ملاءته بتحويلها فى الملاء ، وتلا لسان  
القلم سور هذه المحاسن وتلا الثانى بالأول منها إذا تلا ، رسم بالأمر العالى - أمتعه  
الله بما وهبه من حسن مؤازرته ، وشدّ عضد مملكته بالإمتاع بربح حسن معاملته  
لله وله ولتساجرته - أن تفوض الوزارة المفخّمة ، المكرّمة المبعّلة المعظّمة ، للمشار  
إليه : تفويضاً عاماً للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ، والمقيم  
والنازح ، والغادى والرائح ، والسائح والبارح ، والباغم والصادح .

فليباشر ما فوّض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، وليعطها من نيئه مناسيب نيئها ،  
وليأخذ أمرها بكتلتا يديه ، وليعزها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر  
شريف تحويلها عليه ، وليطابق فيها لسان نهيه وأمره ، وليعمل فى مصالحها صالح  
فكره ، فقد عُدقت به مهامها : جليلها وحقيرها ، وقليلها وكثيرها ، وأميرها  
ومأمورها ، وخليئها وضريرها ، وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ، ودانيها وقاصيها ،  
وطائئها وعاصيها ، ومستقبلها وحالها وماضيها ، وواليها وقاضيها ، ثقةً بتمام تدبيره ،  
وحميد تأثيره ، وأنه إن حكم فصل ، وإن قطع أو وصل كان الحزم فيما قطع ووصل ،  
إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه فى كل منهج سار ،  
تقطر السيادة من معاطفه ، وتجنّى ثمر المنى من أغصان قلمه يد قاطفه ، لاشئ يخرج  
عن حكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ، فولاية الحكم معدوقة بإشارته ، موقوفة  
على ما يشئته ببلغ عبارته . ومع جلاله قدره لا يحتاج إلى التأكيد فى الأموال وأستدرار  
أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ودّ أحلافها ، وبيوت الأموال وأستيداء  
حقوقها ، ومراعاة جانبها إذ هى الأمّ الحنونة بتجنّب عقوقها . والخزائن فهو أدرى  
بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الإشراف ، والأهتمام بحواصل تشریفها  
المستجيلة إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ، وثمّ دقائق ، هو أدرى بما لها من



طرائق ، وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الرائق ، فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المندوبة لتوصيلها ، والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويمتّع بحسن تديره المقرون بجميل السريّة والسّير ، والخطّ الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كلّ قريب ، فليجعل له أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تمامه ، وليجل رأيه في كلّ ما تشدّ به الدولة أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ، وليجعل العدل أصلاً يبنى على أسسه ، والعمل في أموره كلّها لسلطانته لا لنفسه ، وليدع منه الغرض جانباً ، وحظّ النفس الذي لا يبدو إلا من العدو ليصدق من دعاه صاحباً ، وليصبر كيف يثمر الأموال من جهاتها ، وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدراهم الحلال من شُبّهاتها ، ولينزه مطاعم العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ولا يرى به من العين إلا ما يحرم المجوع ، وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالمخاتل ، وليتجنب إطعام الجند منه فإن [ أكل ] الدرهم الحرام ما يُقاتل ، وليحسن كيف يولى ويعزل ، ويُسمن ويهزل ، وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوى غناء ، وإياه والعاجز ، ومن أراى المصلحة بين عينيه ألقى بينه وبينها ألف حاجز ، وليطهر بابه ، ويسهل حجابَه ، ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر الماسى والمصالح ، ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيانتُه ، ولا يدع من جميل نظره مَنْ صحت لديه كفايته ،

أَوْ تَحَقَّقَتْ عِنْدَهُ أَمَانَتُهُ ، وَلَيْسَ لَكَ أَقْصَدَ الطَّرُقِ فِي أَمْرِ الرُّوَاتِبِ الَّتِي هِيَ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ وَصَدَقَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَهِيَ إِمَّا لِمَنْ وَجِبَ لَهُ حَقٌّ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا أَوْ عَرِفَ صِلَاحَهُ وَهُوَ صُغُلُوكَ ، وَكَذَلِكَ مَا هُوَ لِأَيَّامِ الْجُنْدِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ خَدَمَ دَوْلَتَنَا الْقَاهِرَةَ بِمَا أَسْتَطَاعَهُ ، فَإِنْ غَالِبَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لَمْ يُخَلَّفْ لَهُمْ إِلَّا مَا نَسَمَحَ لَهُمْ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ ، وَنُجْرِيهِ لَهُمْ مِنْ جَارٍ هُوَ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَخْلَفُهُ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ مِنَ الْمَالِ الْمَتَمَلِّكَ وَالْوَقْفِ الْمَوْقُوفِ ، وَلِيُصْرِفَ أَهْتِمَامَهُ إِلَى أَسْتَخْلَاصِ مَالِ اللَّهِ الَّذِي نَحْنُ أَمْنَاؤُهُ ، وَبِهِ يَشْغَلُ أَوْقَاتَهُ وَتَمْتَلِئُ كَالْإِنَاءِ آثَاؤُهُ ، فَلَا يَدَعُ شَيْئًا يَجِبُ لِبَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مُسْتَحَقِّهِ ، وَلَا يَتَسَمَّحُ فِي تَخْلِيَةِ شَيْءٍ مِنْهُ كَمَا أَنَّا نُوَصِّيهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَلِيَبْقَى لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِتَوَاقِيْعِهِ ذِكْرًا لَا يَفْنَى ، وَبِرًّا لَا يَزَالُ ثَمَرُهُ الطَّيِّبُ مِنْ قَلَمِهِ يُجْنَى ، لِيَكُونَ مِنْ رِيَّاحِ دَوْلَتِنَا الَّتِي تَغْتَنِمُ مَا يُثِيرُهُ مِنْ سَحَابِهَا الْمَطِيرِ ، وَحَسَنَاتِ أَيَّامِنَا الَّتِي مَا ذُكِرْنَا وَذِكْرُ مَعْنَا إِلَّا وَقِيلَ : نِعَمَ الْمَلِكِ وَنِعَمَ الْوَزِيرِ .

### الوظيفة الثانية

( كِتَابَةُ السَّرِّ ، وَيُقَالُ لِمُصَاحِبِهَا "صَاحِبُ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ" )

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوُظَائِفِ أَنَّ مَوْضُوعَهَا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكِتَابَةُ أَجْوِبَتِهَا ، وَأَخْذُ خَطِّ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا وَتَسْفِيرُهَا ، وَتَصْرِيفُ الْمَرَاسِمِ وَرُودِهَا وَصُدُورِهَا ، وَالْجُلُوسُ لِقِرَاءَةِ الْقَصَصِ بِدَارِ الْعَدْلِ ، وَأَنَّهُ صَارَ يُوقَّعُ فِيهَا كَمَا كَانَ يُوقَّعُ فِيهِ بِقَلَمِ الْوِزَارَةِ .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بلقب «المجلس العالى» ثم استقرَّ أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بلقب «الجناب العالى» . وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السرّ ، كُتِبَ بها للمقرّ المحيوى «مُحيى الدين بن فضل الله» عند عودته إلى كتابة السرّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ... (١) ... من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كُتّاب الدّرج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانّ بفضله ، المستعان به في الأمر كله ، الذى رفع أول الأولياء من العلىاء إلى محله ، ووضع النعم عند من ينصّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلّ ما فوّض إليه من أجله ، وأبدع نظام السُّودد بأجمل حالٍ ما دام يحى جامع شمله ، وأودع سرّ ملكنا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلّه ، وأرجع الرياسة إلى من سمّا ثباتاً ، ونما نباتاً ، وعلا عزّماً ، ووفى حزماً ، فيؤمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجدد في يمن سجايه كمثلّه .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب في قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سابع ظله ، والمروى يوم العطش الأكر بسائغ نهله ، والنبيّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحداً من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سرّه وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُخِصُوا بِخَصْلِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،  
 خُصُوصًا الصِّدِّيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتُلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ  
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحْضِ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَ... (١) ...  
 فِي تَرْتِيبِهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَنَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ  
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْمَلِ الْفَضْلِ  
 وَأَجَلِّهِ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَضَمًّا بِهِمَا نُورُ الْهُدَى الْمُسْتَدِلَّةُ ، مَا شَفَى كُرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ  
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفَرْضِ وَلَائِهِ وَنَتَلَهُ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَنَا لَا تَزَالُ لِلْعُهُودِ حَافِظُهُ ، وَبِالْجُودِ مُتَحِفَةً وَبِالسُّعُودِ مَلَا حِظَّهُ ،  
 وَعَلَى الْمَعْهُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْمِهَا مُحَافِظُهُ ، وَلِلْخِدْمِ مَكَافِيهِ ، وَلِلْقِسْمِ مُوَفِيَةٌ وَبِالنَّعْمِ مُوَافِيَةٌ ،  
 وَبِمُؤَلُّوفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةٌ ؛ أَتَّبَاعًا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِيدَاعًا لِلنِّحَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقِّهِ  
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيجَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ اقْتِرَانُ بِالْاقْتِرَابِ ، وَلِفِعْلِهِ إِنْجَازُ لَوَعُودِ الصُّعُودِ  
 وَإِنْجَابٌ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَهْبَى جِلْبَابٌ ، وَلِهَ سَبْقِ وَلَاءِ لِمُلْكِنَا  
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصِدْقِ وُدِّ مَاضِيَ لَدِينَا وَلَا خَابَ ، وَقَدَمُ هِجْرَةٍ  
 كَمْ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارٌ وَأَنْتِصَابٌ ، وَتَعَدُّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ  
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا اسْتِجَابَ ،  
 وَلَا اسْتَوْعَاهُ سِرُّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا اسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبُ  
 بِأَمْلَحِ خِطَابِ ، وَلَا اسْتَثَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدُ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَّقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ  
 كِتَابَةِ بَيْتَابِ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفِيرِ السَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النَّعْمَاءِ  
 أَهْمَرُ سَحَابِ ، وَبِيرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابِ ، وَبِأَقْلَامِهِ  
 إِنْعَامُنَا يَهَبُ وَأَنْتِقَامُنَا يُهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنَعُ سِيَاحَ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

(١) بياض بالأصل ولعله فأحسن في ترتيبه الخ .

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمنا دُرر كلامهما  
الأدراج، وأطلعا زُهر أقلامهما من المَهَارِق في أبراج، وكم واصلت في ليل النَّقْصِ  
السَّرى والإدلاج، حتى أبدت صَبَاحَ النِّجَاحِ ذَا أَيْتِلَاجٍ، فلا عَجَبُ أن كان للنَّعمِ  
إليهما مَعَادٌ وَمَعَاجٍ، وَلِضِيقِ الخُطْبِ عِنْدَ بَاعِيهِمَا الرَّحْبِ فُسْحَةٌ وَأَنْفِرَاجٌ .

ولما كان المجلس العالى المَحْيَوِّ هو أسرى من تُلقَى إليه الأسرار، وتَبْقَى منه  
عند أخرى الأحرار، فكم لها صَانِ أَيْنَ صَارَ، وكم لخَوَاطِرنا الشَّرِيفَةِ من أفعاله سَارَ  
حَيْثُ سَارَ، وكم له من كَرَمنا دَارٌ في كل دَارٍ، فَمِنَّا لُقُربُهُ إِيثارُ، ولأَثْنَيْنَا عليه إِنْجَارُ،  
ولنا بفضائله إقرار، يُوجِبُ للنَّعمِ عِنْدَهُ الإقرار - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ  
أن نُعيدَ إليه مَنَصِبَهُ، وَنَزِيدَ لَدَيْهِ المَوْهِبَةَ، وَنَجْعَلَ وَجُودَ تَفْضِيلِهِ لِدَوْلَتِنَا أعْظَمَ مَزِيَّةٍ  
وَمُنْقَبِهِ، وَنَرَاهُ أَجَلَ كُفٍّ لَأَسْتَجْلَاءِ عَقَائِلِ الأسرار المَحْجَبَةِ، وَإِنْ كَانَ لِنَرَاهُ  
لَا يَخْطُبُهَا فَهِيَ لَوَجَاهَتِهِ تَرْغَبُ أَنْ تَخْطُبَهُ .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشَّرِيفِ العالى، المُولَوِيِّ، السُّلْطَانِيِّ، المَلَكِيِّ الفُلَانِيِّ -  
لَا بَرَحَ بِفَضْلِ اللَّهِ يَحْيَى الدِّينَ، وَبِتَأْيِيدِهِ يَبِينُ أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَبِتَسْدِيدِهِ يُصِيبُ  
عَيْنَ الصَّوَابِ فِي التَّعْيِينِ - أَنْ نَفُوضَ لِلشَّارِ إِلَيْهِ صَحَابَةَ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ  
بِالأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ شَرَّفَهَا اللَّهُ وَعَظَّمَهَا : عَلَى أَجْمَلِ عَوَائِدِهِ، وَأَكْمَلِ قَوَاعِيدِهِ، وَأَحْسَنِ  
حَالَاتِهِ فِي حُسْنِ مَقَاصِدِهِ، وَنُفُوذِ مَا يُبَلِّغُهُ مِنْ رِسَائِلِ عَدْلُنَا فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ  
وَمَوَارِدِهِ؛ وَلِيَسْتَقَرَّ بِأَسْمِهِ مِنَ الْمَعْلُومِ كَذَا وَكَذَا .

فَلْيَتَلَقَّ مَنَصِبَهُ الْمُبَارَكُ بِأَمَلٍ فِي كَرَمِنَا مَبْسُوطٍ، وَرَتَبَتِهِ الَّتِي يَحْمِي حِمَاهَا وَيَحُوطُ بِهَا  
مُضِيًّا لِلْمَهَمَّاتِ وَالْمَرَامِ، مُبْقِيًّا مِنْ يَمْنِ آثَارِهِ مَا تَضْحِي بِهِ ثُغُورُ الثُّغُورِ بِوَأَسْمِ،  
مُيَدِّدًا مِنَ عِنْدِهِ مِنْ كُتَابِنَا أَوْقَاتَ الْأُنْسِ فَأَيَّامُهُمْ [بِهِ] كُلُّهَا مَوَاسِمَ، وَبِهَا لَهِمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ

أَجَزُّ الْمَقَاسِمِ ، وَقَدْ وَفَّرُوا دَوَاعِيَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ إِذْ وَفَّرَ عَلَى نَفَقَتِهِمْ دَوَاعِيَهُ ، وَهُوَ لِسَانُ  
الدَّوْلَةِ وَهُمْ أَذُنُ صَوْنٍ لِمَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ وَاعِيَهُ ، فَحَقَّ لَهُمْ إِلَى وِدَادِهِ أَنْ يَجْنَحُوا ،  
وَبِإِسْعَادِهِ أَنْ يَنْجَحُوا ، وَعَنْ وَلَائِهِ لَنْ يَرْحُوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ  
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فَلَيْسَ بِرَأْسِ الْمُلْكِ بِهِ سُورُورٌ ، وَلِلدَّوْلَةِ مِنْ أَشْعَةِ إِيَّاهِ وَطَلْعَةِ شِهَابِهِ نُورٌ عَلَى  
نُورٍ ، وَبِهِمَا عِمَادُ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مَرْفُوعٌ وَبَيْتُ الْفَضْلِ الْأَوْفَى مَعْمُورٌ ، وَهُوَ وَبَلْ  
هَذَا الْغَيْثُ الْغَمْرُ وَشَبْلُ هَذَا اللَّيْثِ الْمَصُورُ ، طَالَمَا هَزَمَ الصُّفُوفَ مِنْ كُتُبِنَا  
بِالسُّطُورِ ، وَجَهَّزَ بَرْدًا سِرُّهَا بِالصُّونِ مَكْتُومٌ وَعَلَمُهَا بِالنَّصْرِ مَنُشُورٌ ، وَهُوَ كَكُزْ  
الْفَضَائِلِ وَكِتَابُهُ الدَّهَبُ شُدُورٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعُمَرِيَّةِ بِأُفُقِ الْعِلْيَاءِ نَجُومٌ وَأَهْلَةٌ  
وَبُدُورٌ ، وَلِلنَّيْرِ الْأَكْبَرِ إِشْرَاقٌ وَأُتْلَاقٌ وَسُفُورٌ ، وَغَيْرُهُ بِالْوَصَايَا الْمَأْمُورِ ، وَسِوَاهُ  
نُبَيْنٌ لَهُ قَصْدُ السَّبِيلِ حَتَّى لَا يَضِلَّ وَلَا يَجُورُ ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِمَا هُوَ مِنْ عِلْمِهِ  
مَذْكُورٌ ، وَفِي صَحَائِفِهِ مَسْطُورٌ ، وَلَا نَعْلَمُهُ سَدَادًا إِذْ هُوَ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ وَمَقْطُورٌ ،  
بَلِ الْهُدَى مِنْهُ مَلْتَمَسٌ ، وَمَقْتَنَى وَمَقْتَبَسٌ ، وَمَأْثُورٌ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ مَا فِي حَزْمِهِ قُصُورٌ ،  
وَلَا فِي عَزْمِهِ قُتُورٌ ، وَهُوَ بِحَرِّ الْعِلْمِ الْحَمِيطِ وَثَبِيرُ الْحِلْمِ الْمَوْفُورِ ، وَلَيْسَ التَّقْدِيمُ لَهُ  
بِمُسْتَعْرَبٍ بَلْ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْعَى لَهُ فِي خِدْمَتِنَا عَهْدًا قَدِيمًا ،  
وَيُبْقِيهِ لِلدَّعَاءِ مُوَاصِلًا وَمُدِيمًا ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليدٌ بكتابة السِّرِّ، كُتِبَ بِهَا لِلْقَاضِي شَهَابِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَنَاءٍ حَفِظَتْ مُلْكَنَا الشَّرِيفَ بِمَعَقِبَاتِهَا ، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ  
تَقْوَمُ كُتُبُهُ وَآرَأُوهُ مَقَامَ الْكُتَائِبِ وَرَايَاتِهَا ، وَسَنَّتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لِمَنْ نَجْتَنِي بِقَلَمِهِ النَّصَرَ

من ثمراتها ، وبينت الحُسنى في طريقته المُثلى حتى آنقسم الصُّبح من قسَماتها ،  
واقْتسم النُّجج من عاداتها ، وآتسم فكره بالنُّصح وقد ضَلَّت الأفكار عن إصاباتها  
فظَلَّت في غَفَلاتها .

نحمدُه حمداً يهبُّ مع الأنفاس في هَبَّاتها ، ويهبُّ من اللطائف الحِسان أفضل  
هَبَّاتها ، ويُنبِّه القلوب لتقييد شوارد النِّعم بِصدق نِيَّاتها ، ويُنافِس الكرام الكاتِبين  
على نفائس الشَّاء في تسبيح لغاتها بصَفيح سَمَوَاتِها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تملأ الصُّحف بحسناتها ،  
وتملأ الوجوه بالأنوار في توجُّهاتها ، وتلوح من سَمَاتِها سِمْيَاءٌ لا تشقُّ على الأبصار  
في توشُّماتها ، وتفخر برقمها الأقلامُ بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرِّماح  
في اعتدال قاماتها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدَّى الرسالة بما  
تحمله من أماناتها ، ورعى اليهودَ لمن أخلص في مُراعاتها ، ودعا الأُمَّة بِإذن الله  
إلى سبيل نجاتها ، وآستأمن على الوحي كُتَّاباً سَبَقُوا في السَّعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه  
السُّنة بِإباناتها والسُّور وآياتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه فُرسان البلاغة  
ورُواتها ، وحفظة الأسرار وثقاتها ، وصاغة المعاني في الألفاظ الغرِّبَنَفَثَاتِها ، وأو  
الأحلام التي لا تُطيشُها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تُذهلُها عن الأوراد في أوقاتها ،  
وتلقَّى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي اتَّسع نطاقُها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابُها  
أن تُخطَّاه الخدعُ بهفواتها ، صلاةً تزيد الأعمار بزكاتها ، وتزين الأعمال ببركاتها ، وسلم  
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ الملوك عمودُ بناؤه بسره ، وأرتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأمتناعه  
بعد العساكر المنصورة بكاتبٍ يُحَاتِلُ العدوَّ في مكره قبل مكره ، ويقا تل في الحرب

والسَّلم بنَفَازِ رَأْيِهِ وَنَفَاقِ سِحْرِهِ ، وَيَقَابِلُ كُلَّ حَالٍ بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ مِنْ صَدْمِهِ  
بَصْدَرِهِ أَوْ صَدِّهِ بَصِيرِهِ ، وَيَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَظْرَ الْبَصِيرِ بِأَمْرِهِ ، الْوَاعِي لِأَحْتِيَالِ  
عُذْرِهِ قَبْلَ آخْتِيَالِ الْبَاغِي فِي غَدْرِهِ ؛ إِذَا جَادَلَ فَبِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَإِذَا جَاوَبَ أَبْطَلَ  
الْأَهْوَالَ الزَّائِغَةَ ، وَإِذَا أَمَرْنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سَيَّرَهُمَا عَنَّا كَالشَّمْسِ الْبَارِغَةِ ،  
وَمَلَأَ بِهِمَا حُبًّا لَنَا الْقُلُوبَ الْفَارِغَةَ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا عَلَى طُولِ الْمَدَى كُتَّابًا ، وَانْتَخَبْنَا مِنْهُمْ  
كَثِيرًا آرْتَضَيْنَاهُمْ أَصْحَابًا ، وَمَارَسْنَا جَمَاعَةً أَرَدَدْنَا بِهِمْ إِعْجَابًا ، وَرَأَيْنَا طَوَائِفَ فِيهِمْ  
مَنْ إِنْ أَجَادَ اجْتَنَاءَ لَزَهَرَاتِ الْقَوْلِ حَادَ عَنْ الْجَادَّةِ اجْتِنَابًا ، وَإِنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ  
مَذَاهِبَ الْكُتَّابِ أَخْلَى بِمَقَاصِدِ الْمُلُوكِ إِنْ كَتَبَ عَنْهُمْ كُتَابًا .

وَلَمْ نَنْظُرْ مِنْ تَمَّتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الْمَشْرُوطَةُ ، وَمَتَّ بِالْدَائِرَةِ الْمَحِيطَةِ إِلَى الْفَضَائِلِ  
الْمُبْسُوطَةِ ، وَأَمْتَازَ بِفَهْمٍ لَا يُقْبَلُ عَلَى الْفَسَادِ وَلَا يَقْبَلُ الْأَغْلُوطَةُ ؛ إِنْ أَمْلَيْنَاهُ إِمْلَاءً  
ذَكَرَهُ ، وَإِنْ حُمِّنَا حَوْلَ مَعْنَى لَا تُؤَدِّي إِلَيْهِ الْعِبَارَةُ فَسَرَهُ ، وَإِنْ سَرَدْنَا عَلَيْهِ فَضْلًا  
مُطَوَّلًا خَبَرَهُ ، وَرَبَّمَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي اخْتِصَارِهِ فَاخْتَصَرَهُ ، وَإِنْ أَوْدَعْنَاهُ سِرًّا سَتَرَهُ ،  
وَصَانَهُ بِمَجْوَ غَيْبِ أَثَرِهِ ، وَكَتَمَهُ إِمَّا بِخَطِّهِ عَنْ قَلْبِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ أَوْ بِقَلْبِهِ عَنْ لَحْظِهِ فَلَمْ  
يَرَهُ ، وَإِنْ خَلَيْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِنَا الشَّرِيفَةِ اسْتَخْرَجَهُ كَمَا فِي خَوَاطِرِنَا  
وَأَظْهَرَهُ - كَالْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِيِّ ، الْأَجَلِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْعَادِلِيِّ ،  
الْعَوْنِيِّ ، الْعَلَامِيِّ ، الْقَوَامِيِّ ، النَّظَامِيِّ ، الْمَدَبَرِيِّ ، الْمَشِيرِيِّ ، الْفَاضِلِيِّ ، الْكَامِلِيِّ ،  
الْأَوْحَدِيِّ ، الْمُفَوَّهِ ، الْخَاشِعِيِّ ، السِّفِيرِيِّ ، الشَّهَابِيِّ : صَلَاحِ الْإِسْلَامِ  
وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، قُدْوَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، إِمَامِ الْفَضْلَاءِ  
وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، رَئِيسِ الْأَصْحَابِ ، مَلَاذِ الْكُتَّابِ ، سَفِيرِ الْأُمَّةِ ، عِمَادِ الْمَلَّةِ ، لِسَانِ  
السُّلْطَانَةِ ، مَدَبَرِ الدُّوَلِ ، مَشِيدِ الْمَمَالِكِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ ، وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي الْمَصْبَاحِ فَسَرَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ أَوْضَحَهُ وَبَيْنَهُ وَالثَّقِيلَ مَبَالِغَةً .



«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخلصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفه ، وأمتحنناه في الأمور الجليلة واللطيفة ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفه ، وأوقفناه مرة وأخرى أطلقنا تصرّيفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تثقيفه ، وكتب وأستكتب عنا سراً وجهراً فملاً قلباً وسمّعا ، وباشر مراسمتنا العالية مصرّاً وشاملاً وضلاً وقطعا فعزّ رفعة وعمّ نفعاً ، وأنشأ التقاليد وقلّدها ، ونفّذ المهمّات وسدّدها ، ووقع التواقيع وأطلق بها وقد قيّدها ، ومشى المصالح باحتراز ما بدّدها وأحتراس ما عقّدها ، وجهّز البرد بهمة ما قيّدها طلب الراحة ولا أقعدها . وهو كاتبٌ مُلوك ، وصانعٌ سُلوك ، وشارعٌ سُلوك ، وصانعٌ ذهبٍ مسبوك ، وناسجٌ وثى محووك ، وجامعٌ صفاتٍ ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدّو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخى بالقرينة إلا شكّلها ، ولا يسمح بخاطبةٍ إلا لمن تعيّن لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من أستوجبها ولا ينحسّ بالحسنى إلا أهلها ؛ نأمره بالتّهيل فيزّل قواعد العدوّ ، ونشير إليه بالتّهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوّ ؛ وقد رضيناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتاب ونسبنا من مضى ، وتعيّن علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونجمله على هذا المقتضى ، وأن نُطلّعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلّده مُهماً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيت أثلوا مجده ، وأثروا سعده ، وأرثوا عندنا وده ؛ وبني كما بنوا ، وأجتنى من السؤدد ما آجتنوا ، ورمى في خدمة الدّول إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدره في الكمال هو المَعلى ، وأدبه بحمد الله قد لحظته سعادة أيّامنا الزاهرة فإفيه لَوّ ولا لَوّلاً ، سوى أنه اتّفق معارضٌ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التّلف ، ودقّ عنه شأن كاتب السر فسقط من حيث

طَمَعَ فى السُّقُوطِ وما عَرَفَ ؛ ورام الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ وما يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقَدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا أَدَارُهُ فى خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مُتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فى مَسَرَّى لَوْ طَمَحَ إِلَيْهِ طَرَفُ الشَّهْمَا لَتَقَطَّعَ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرِّ هُوَ مُسْتَوْدَعُ الْخَبَايَا ، وَمُسْتَطْلَعُ الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَا وَطَّلَاغُ الشَّنَايَا) ، وَفِي آسِئْدَادِهِ يُعْرَفُ بِالْمُنَى وَيُعْرَفُ بِالْمَنَايَا ؛ وَلَهُ الْكِتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالتَّجْمِيعِ ، وَالتَّنَاصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّأْمِينِ وَالتَّرْوِيعِ .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْتَرِضُ بِإِجْبَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَّارَ فى غَيْرِ مَطَّارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ جَنَّةَ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ لآخِرَتِهِ أَزْهَدَ مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ تَقْوِيَةً لِكَاتِبِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فى تَصْرِيفِهِ ، وَبَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانُ السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكَفَى بِذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِى ، الْمَوْلَوَى ، السُّلْطَانِىَّ ، الْمَلَكِىَّ ، النَّاصِرِىَّ - لِأَزَالِ إِذَا عَزَمَ صَمَّمَ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمَّمَ ، وَإِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فى شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرَتِهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْتَقِلَّ الْمَجْلِسَ الْعَالِى ، الْقَضَائِىَّ ، الشَّهَابِىَّ « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَى بَصْحَابَةِ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ الْعَالِى ، الْقَضَائِىَّ ، الْمُحْيَوَى : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فى الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكًَا بَلْ مُنْفَرِدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابَةٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ، أَسْتَقِلَّ كُلُّ مَنْهُمَا بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقَرُبٍ مِمَّا يُضْمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابَةٍ

السر الشريف ، والتصرف في المهمات الشريفة والتصريف ، وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفرضه ، وقراءته بين أيدينا ، واستخراج مراسيمنا الشريفة في كل مناب ، ومُشافهة وخطاب ، وأبتداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ، وإليه أمر البريد والقصاد والنجاب ، ومن أشتمل من الدجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاءة الصباح المنشورة يد ليلة منجابه ، وتعيين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ، وإليه الحمام الرسائل وترجمته ، وزجائنه ومدرجته ، ومن يصل من رسل الملوك إلى أبوابنا العالية ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منتسب وغريب ، وبعيد وقريب ، وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابة مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من نستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في آجتائهم ، يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ، كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ، يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشي منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريحه ، فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالحبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ، ونحن نختصر [ له ] الوصايا لأنه الذي يُمليها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعاينها ، والباقية الصالحة خير لمن يقتفيها ،

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويغنيننا بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يفارق قرابه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد بعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .  
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبى بفضله ، وأكّد النعمى بوصله ، وأودع سرّ ملكنا الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محلّ شرفه وشرف محله ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلوله بدرجات الصعود ونقله ، وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأينع الفرع الزاكي الذى يحيا أصله بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمّها على أبويه من قبله ، وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نحمده على إضفاء ظله ، ونشكره على إصفاء نهله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدله ، وأغدق نوء نداها ، بمستهلّه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّ ، وألهم به سبيل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السرّ الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ، صلى الله عليه وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعة منه ونبعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلّهم من أجله ، خصوصاً مَنْ بادر إلى الإيمان فُخِّصَ من السَّبقِ  
بخصّله ، ومن أيدّ به الدينَ وفرّ الشيطانُ من ظلّه ، ومنّ جهّز جيشَ العسرةِ حتّى  
غزّا العدا بجهله ورجله ، ومن كان بابَ مدينةِ العلمِ وما نَحَ جَزَلَه وفتحَ قُفْلَه ؛ وعن  
بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا مَنْ جاهد حتّى قام الدينُ بنصره ونصّله ،  
صلاةً دائمةً يجعلها اللسانُ أهمَّ شُغْلَه ، ويتلقّى قادمُها في موطنِ القبولِ بأكرمِ نُزْلَه ،  
ما رمى قوسَ العزمِ بصائبِ نبّله ، وحمى حمى الملكِ بلبثه وشبّله ، وفوضَ أجلّ  
المناصبِ إلى فاضلِ العصر وأجلّه .

أما بعدُ ، فإنّ آراءنا لا تزالُ للمصالحِ مُراعِيَه ، ولا تَبْرَحُ بالإسعادِ إلى الأولياءِ  
ساعيَه ، فتدعو إلى مقامِها من وفّر على الإخلاصِ دواعِيَه ، وتُدّنى من مُلكِها مَنْ له  
بالخفايا أعظمُ بصيرةٍ وفي جميلِ القضايا أجملُ طواعِيَه ، وتُلقي أسرارها إلى مَنْ له  
لسانُ حقٍّ ناطقٌ وأذنٌ خيرٍ واعيَه ، وتقدّم مَنْ له قدمٌ صدقٌ ثابتةٌ ويدٌ بيضاءٌ طولى  
في المهمّاتِ عاليه ، لتغدو سهامُ أقلامِه إلى الأغراضِ راميَه ، وصوائبُ أفكارِه  
عن حمى الملكِ محاميَه ، وتكونَ عبارتهُ للمتاصدِ موفيةً وإشارتهُ لموعدِ اليَمْنِ موافيه ،  
وتُضحى ديمُ نعمتنا الواكفةُ لسوابقِ خدمه مُكافيه ، لما يتّصلُ بذلك من المصالحِ ،  
وتُتاجى خواطرنا الشريفةُ به المناجِحِ ، ويقبلُ عليه وجهُ الإقبالِ ، في كلِّ حالٍ ، ويغدو  
إليه طرفُ الإجلالِ ، وهو طامِحٌ ، فنجملُ به ممالكنا مضراً وشاماً ، ونُسَدِّدُ به مرمى  
ونُصيبُ مراماً ، ونحفظُ له ولأبيه في خدمتنا حقّاً وذيماً ، ونكونُ له في الحالتين  
برّاً وإكراماً ، ونُعَلِّى محلّه إعلاناً بعلوِّ مكانه وإعلاماً ، فيؤلّفُ للرياسةِ نظاماً ،  
ويُضاعفُ للرتبةِ إعظاماً ، ويُعَمِّلُ يراعاً بل حُساماً ، ويَجْلُو وجهَ المنى طلقاً ويبدو  
بعدَ البشرِ بساماً ، ويُحسِّنُ بأعباءِ المهمّاتِ قياماً ، وحيثُ نقلته أوطانه هِضابَ  
المجدوقلته ، وأينَ وجهته أعلتُ قدره ونوّهته ؛ وكلما أوفدته أفاضتُ عليه ملبسَ

العزَّ وجدِّدته ، وأختصَّته بالتصرف وأفردته ، وانتضت ماضى اجتهداه وجرَّدته ، وأجرته من إجراء فضائلها على ما عودته ، وأستقلَّت له منائحها من كثير المواهب ماخولته ، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرار خفيظها ، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها ، وباشر مهماتنا فأمضاها ، وسرَّ خواطرنا وأرضاها ، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تضاهى ، وقد أجباد أوليائنا من تقاليد عهودا ، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بعيدا ، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهاز بريدا ، وأبان بمقاله عما فى أنفسنا فلم يبق مزيدا ، وصان الأسرار فجعل لها فى خلد خلودا ، وجمع أشات المحاسن فأضحى فريدا ، كم لعمه فى خدمتنا من هجرة قديمه ، ولأبيه من موالاة هى للمخالصة مواصلة ومديمه ، وكم لها أسباب فى الرياسة قوية وطرائق فى الهداية قويمة ، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتفهمه ، وقدر على يديهما وصوله إلى رتب العلاء وتقديمه ، فمنفعتهما عميمه ، ونفعتهما صميمه ، ولهما فى الشام ومصر أجمل شيمه ، وكم له هو أيضا من تقدُّمات أقتضت تكريمه ، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه ، وكتابة حلل المهارق بوشيا مرقومه ، فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه ، أو «عبد الحميد» لكنت مناهجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه زميمه ، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمَّن ألفاظه معانيه العقيمة ، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه ، وأقتدى بسبله المستقيمة ، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرئت بها سقيمه ، أو رأى «ابن العديم» خطه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه ، أو «الولى» لاستجدى من صوب إجادته أغزر ديمه ، أو نظره «ابن مقسلة» لوجدت مقتلته نُصرة خطه ونعيمه ،

أو «أَبْنُ الْبَوَابِ» لَكَانَ خَدَيْنَ بَابِهِ وَخَدِيمَهُ ، فَهُمْ صُدُورٌ صُدُورُهُمْ سَلِيمُهُ ، وَأَمَانُهُ  
مَعْدُودَةٌ وَأَمْثَالُهُمْ مَعْدُومَةٌ .

أَقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُثَقِّقَ إِلَيْهِ مَنْصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَنُقَرِّرَ عَيْنَهُ بِدُنُوهِ مِنَّا  
وَأَقْتَرِبَاهُ ، وَنَمَتَّعَ الْبَصَرَ وَالسَّمْعَ بِخَطِّهِ وَخِطَابِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمُؤَلَّوِيَّ ، السَّاطِنِيَّ ، الْمَلَكِيَّ ، الْفَلَائِيَّ -  
لَا بَرَحَ يُعِيدُ نِعَمَهُ كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ سَرِّهِ ، وَيُسِّرُ الْقُلُوبَ بِكَافٍ أَوْدَعَهُ سِرِّهِ ، وَيُجَمِّدُ  
لِأَحْمَدِ الْأَوْلِيَاءِ عَوْدَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ <sup>(١)</sup> .

فَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةُ بِشُكْرِهَا وَلْيَتَرَقَّ مَنْصِبًا رَفِيعًا يَنَاسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ ، وَلْيَبْسُطْ قَلَمَهُ  
فِي تَنْفِيزِ مُهِمِّ الْمَالِكِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلْيَحْفَظْ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ ، وَلْيُلاحِظْ  
الْمُهَمَّاتِ بِفِكَرِهِ ، وَلْيَحَافِظْ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَانَا طَوَّلَ دَهْرِهِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ  
صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسْدِيدِهَا ، مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَعْدِيدِهَا ، وَلَا إِلَى  
تَكْرِيرِهَا وَتَرْدِيدِهَا ، لِأَسَمِيَّا وَقَدْ سَلَفَتْ لَهُ بِهَا خِبْرَةٌ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِيعَابِ ذِكْرِهَا  
وَلَا إِلَى تَجْدِيدِهَا ، وَتَقَدَّمَتْ لَهُ مَبَاشَرَةٌ اسْتَبْشَرْنَا بِمِثْلِهَا وَأَثْنَيْنَا عَلَى حَمِيدِهَا ،  
وَأَسْتَدْنَيْنَا سَنَاهَا وَأَسْتَغْنَيْنَا عَنْ سِوَاهَا بِوُجُودِهَا ، وَلَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَوْفَرُ التَّوْفِيقُ ، وَهُوَ  
الْحَقِيقُ بِمَا فَوَّضْنَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَفَضَّلَهُ مِنَ الشَّوَائِنِ عِزِّيَّ وَفِي الْمَجَانِبِ  
عَرِيقَ ، وَقَدَّرَهُ بِتَجْدِيدِ النِّعَمِ جَدِيرًا وَبِخِلَالِ الْكَرَمِ خَلِيقَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ  
أَبْيَنَ طَرِيقَ ، وَيُسِّرُ بِمَقْدَمِهِ الْوَلِيَّ وَالصَّدِيقَ ، وَيَفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِخُذِّهِ  
الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ فَرِيقَ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في النكاحية واتكالا على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتدبير دولتنا شهابا يعلو على فرقَد الفراقِد ، وكل به عقود  
الممالك فسَمَت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد ؛ ومُعِيد  
إحساننا إلى خيرولى أغنى تدبيره عمن سواه فكان بالألف ذلك الواحد ، ومُخَوِّل  
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكتنا فى كل صادر عنها ووارد ؛ ومنقِّل  
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتُصبح ألوية محامدهم فى معاقل العز أنخر معاقِد ،  
ومُحَلِّى ملكنا الشريف بأكل كاف ما أم مصر إلا تلقته بالهناء ولا فارق شاما إلا أسفَت  
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل القواعد ،  
ونشكره على ما بلغنا من جميل المآرب وبلوغ المقاصد ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة تُنجى قائلها من جميع الشدائد ، ونشهد أن سيدنا محمدا سيد البشر  
عبده ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرم جائد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحابة  
خصوصا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا نخر كفخاره ، وعلى أمير المؤمنين  
عمر بن الخطاب حامل أسرارهِ وفتح أمصارهِ ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان  
مبدل عُسره بيساره ، وعلى ابن عمه على بن أبى طالب أعز نُسبائه وأخص أصهاره ،  
وعلى بقية مهاجريه وأنصاره ، صلاة سَهلة المَشارع عَذبة المَوارد .

وبعد فإن من سَجَّتنا إذا تيمنا بولى لا نزال نلحظه ، ونرعى حقوق خدمه  
فى القرب والبعد ونحفظه ؛ ونقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم ، ونفيض عليه مَلايس  
الجود والكرم ؛ لا سيَّما من لم يزل يُظهر لنا كل يوم تعبدا جديدا ، ومن أصبح



في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ، ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكامل المنن بإضافة محاسنها إليه ، وتزهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب البراعة في آتساقها في فلك سعده ، وكان للبايتة في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعنائنا في الحالين : « ولآخرة خير لك من الأولى » .

ولما كنت أيها الصدر « شهاب الدين » أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفاه من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ، ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وفقت بأزكى نفروعم وإخوة ووالد ، وجلالته ، ما ورثتها عن كلاله ، وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ، ومفانح ، تكاثر البحر الزانح ، وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والناثر ، ولما نعلمه من فضائلك التي لا تُجحد ، رعيناك في عودك لوظيفتك وعود « أحمد » أحمد .

(١) ولما كان فلان هو الذي تقطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أثواب حكمه ، وتنزل المعاني الممتعة من معازل القرائح على حكمه ، وتقف جياذ البداهة المتسعة حيرى قبل التوسط في علمه ، إن وشى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فخياض ، أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيّل المسبوق للورود بذكره ، ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقّد ، ولا يثبت غناء الكلام لدى خاطره المتقّد ، «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكاتب مخير في تصدير مقاله بأحدهما

كما لا يخفى .

كـ «عبد الرحيم» فى العجز عن لحاق علومه التى يجد «الراغب» على نورها هدى ،  
والأصمى لو أدركه لتسلا عليه : «هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا»  
«والطُّغْرَائِيَّ» لو عاصره ل زاد نظمته وأزداد على نوره هدى ، و«الحريرى» لو رافقه  
لأمن فى «مقاماته» من التجريح والردى ؛ قد قصرت عن غاية كماله جياذد القرائح ،  
وتجذرت عن وصف صفاته جميع المدائح ؛ وشرف منصبه بآنتسابه إليه ، ورفع  
قدره بمثوله لديه ، مع ما تميز به من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه ، وزهادة زانت  
بالسعد صدره وملاءة ملأت بالعفة كفه ؛ فهو واحد زمانه ، وأوحد أوانه ؛ والبحر  
الذى يحدث عن فضله ولا حرج ، والروض الذى ينقل عن فضله إلى الأسماع  
أطيب الأرج ؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يذكركه ؛ وفارقه وهو يشكره ، ونادى  
غيره وبقوله يلبى ، وشغل غيره وهو يقول حسبي «شهاب الدين» حسبي :  
﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ . فلما حصل له الاستئناس ،  
وزال عنه القلق والالتباس ، قال : ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ -  
أقتضى حسن رأى الشريف أن يخصه باستقرار رتبته لديه ، وأن نستمر به على  
وظيفته السنية استمرار السعود المقبل عليه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعيه لامعا ، وسحاب كرمه هامعا ،  
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعاً ؛ - لمناقبه<sup>(١)</sup> التى وفرت ميامنها ، وأسفرت  
بوصف آثاره الحسنة كوامنها ؛ وأن يعاد إليها كما يعاد السوار إلى الرند ، أو كما يعود  
نسيم الصبا إلى الرند . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقاً ، ومجلساً كان منتظراً أن يزور  
من ملابس جلاله على عنقه أطواقاً ؛ وليجمل هالة كانت متشوقة إلى عقود دُرره .  
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة فى أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر فى كذا المناقبه ... وأن يعاد .

متصلة فتشمل الآباء والأبناء ، ويكفيك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع  
الأماني ، وتوجناه بيميننا الشريفة لقرب عهدنا بمصاحفة الركن اليماني ، وأصطفيناك  
بقلم عظم شأنًا بتلك السُّتور ، وغدا معمورًا بالهداية ببركة البيت المعمور ، وأزداد  
بمشافهة الحرم الشريف نورًا على نور . فليحسن نظره المبارك في ذلك كله ،  
وليبد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ، وفي تقدّم مباشرته في هذه الوظيفة  
وعليه ما يغني عن كثرة الوصايا ، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا ،  
وليحمد أفعاله ويصل أسباب اعتمادِه بسببها ، والله تعالى يُجمل له مواهب  
تحويله ، ويجعل له الخير في تنقله وتحويله ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ،  
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذي جعل خواطر أوليائنا بإقرار نعمنا مستقره ، ومواطر آلينا على  
ذوى الإخلاص في ولائنا دائمة الدِّيم مستمره ، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى  
الاختصاص آبتهاجه وبشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصطفاء والوفاء مشرقة  
الأوضح متللة الأسره ، مودع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند  
أكرم أسره ، ومتمتع دولتنا بخير كافٍ دقق في مصالحنا فكره ، وأنفق في مناجنا عمره ،  
ومُجمع آرائنا على أعلى حلٍّ من بهر بيته بمعرفه وبهر خيره ، ومُطلع أنجهم  
بأفق تقريننا مرة بعد مرة ، فنحني نيرهم الأكبر وقد شيدنا بإرتقاءهم بيته وشدنا  
بعلائهم أزره .

نحمده على أن جبل سجايانا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أجزل عطايانا ،  
لمن لم ينزل يعرف حقه ويألف خيره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لمؤمنها صدره ، وتصلح لمؤمنها أمره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده  
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضائق نصره ، وأعلى فى المشارق  
والمغارب ذكره ، صلى الله عليه وعلى آله أعز عترة ، ورضى الله عن أصحابه الذين  
أسدوا المنّة وسدوا الثغرة ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل  
بكرة ، ما وهب فضل الله مستحيما فسر بالعواطف والعوارف سره ، وعقب فى سماء  
الإسعاد كوكب كوكبا فحل محله وقر مقّره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فشيئنا نرى لأوليائها حقوقا ، ونعمنا الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل  
فى ولائها صدوقا ، وتريد هباتها توفيرا لمن عاهدت منه لمراضيتها توفيقا ، وتجدد  
بتعاهدها معهد الفضل فلا يمسى خليئا بل يضحى بأكرامها خليقا ، وتشد بإحسانها  
بيتنا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فغدا بالحفظ حقيقا ، وتحمى بأعتنائها جوانبه  
من الغير فلا يرهب حماه لها طروقا ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقا ، وتطلع  
فى بروج سُعودها زهرا تروق شروقا ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلا وكرموا  
فريقا ، وتودع أسرارها عند سرائرهم ركونا إليهم وسكونا ورضا بهم وثوقا ، وتشفع  
منائحها بمنائح تزيد آمالهم نجاحا وتفيد أمانهم تحقيقا ، وترفع مكانا عليا إلى حيث  
أوسع السرار من ملكها من كان باليأمن مليا وفى المحاسن عريقا ، ويخلف فى خدمتها  
شقيق منهم شقيقا ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع  
اجتهاده ، تفويتا وتخاف الأعداء لسداده ، تعويقا ، طالما أئتمناهم على إيداع أسرارنا  
فلت من سرائرهم مستودعا وثيقا ، وعينوا للمعالى فصادفت طويتنا من يقظتهم  
ونهضتهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجسادهم بعقود جودنا تطويقا ، وأحق أن  
نرفع بنعمنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضا ولا تفريقا .

ولما كان المجلس العالى الفلانى هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فعلا، وأيقظته  
إشارتنا، فغدا فى الحكم كنهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بيته العمرى الذى مازال  
بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ  
أسرارنا التى هو أحق بإيداعها وأولى - آتضى حُسن الرأى الشريف أن نُجرى  
بمراسمنا أقلامه، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا برحت سحائبه عامه، ومواهبه لها مزيد  
وإدامه، ورعايته إذا ابتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسير فى منازل عزها  
ولتيها الأكر الإرشاد والإمامه - أن يفوض إليه كذا وكذا، على أجمل العوائد،  
وأكمل القواعد، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فليباشر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نخار، وليحل هذه الرتبة التى  
ما منهم إلا من لها يُحتبى ويُستخار، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره  
فى جميع الأمصار، وليحل المهارق بانشاآته التى شان مطاولها عن شأوها الإقصار،  
وليتوكل هذه الهضبة التى لها على عليائهم أقتصار، وفى آباءهم وأبنائهم لها تعيين  
وأنحصار، وليدبج الطروس من خطه بالوشى الرقيم، وليبرج النفوس من خطابه  
بالدر النظيم، وليسرج الشُّموس من أوضاع كتابته التى تبرز من إبريز كنوزها  
«أبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهايتنا فلم يكتبها من كتاب الأعداء هزيم،  
وليزين مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم،  
وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى  
تنبيه ولا إلى تعليم، وهم أئمة هذه الصنعة ولهم الفضل القديم، وسبيلهم السوى  
وصراطهم القويم، والله تعالى يوفّر لهم فضلنا العميم، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير التكريم ، ويُسَنِّى أَمْرَهُمْ فى آفاق العلياء يُسَعِّدُ وَيُقْعِدُ وَيُقِيمُ ، وَيَدِيمُ لِكُلِّ مِنْهُمْ  
فى ظِلِّ نَعْمِنَا الْمَزِيدِ وَالتَّأَكِيدِ وَالتَّقْدِيمِ ، وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصيةٌ لكاتب السرِّ ، أوردناها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عَنَّا بِمَا يُقَابَلُ بِالْأَمْتَالِ ، وَيُقَالُ بِهِ : السُّيُوفُ لِأَقْلَامِهِ مِثَالٌ ، وَيَبْلُغُ  
[مِنْ] مُلُوكِ الْعِدَا مَا لَا تَبْلُغُهُ الْأَسِنَّةُ ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَرَكَبُ الْمُسْرَعَةُ الْقُلُوعُ وَالْخِيُولُ  
الْمُطْلَقَةُ الْأَعْنَةِ ، وَلِيُوقِّعَ عَنَّا بِمَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَيَبْقَى ، وَيُخَلِّدَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يُلْفَى  
آخِرَةً وَيُلْقَى ، وَيُمْلِىَ مِنْ لَدُنْهِ مَنْ غَرَّرَ الْإِنْشَاءَ مَا يُطَرِّزُ كُلَّ تَقْلِيدٍ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ،  
وَلِيَنْفِذَ مِنَ الْمِهْمَّاتِ مَا تُحْجِبُ دُونَهُ الرِّمَاحُ ، وَتُحْجِمُ عَنْ مِجَارَاةِ خَيْلِ الْبَرِيدِ بِهِ الرِّيَّاحُ ،  
وَلِيَتَلَقَّ مَا يَرِدُ إِلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ الْمَمَالِكِ عَلَى أَسْنَاعِ أَطْرَافِهَا ، وَمَا تَضُمُّهُ مَلَأَةُ النَّهَارِ  
مِلْءَ أَطْرَافِهَا ، وَلِيُحْسِنَ لَدَيْنَا عَرْضَهَا ، وَلِيُؤَدَّ بِأَدَائِهَا وَاجِبَ الْخِدْمَةِ وَلِيَتِمَّ فَرْضُهَا ،  
وَلِيُجِبْ عَنَّا بِمَا أَسْتَخْرِجَ فِيهِ مَرَامِنَا الْمُطَاعَةِ ، وَبِمَا وَكَلِ إِلَى رَأْيِهِ فَسَمِعَ لَهُ  
الصَّوَابُ وَأَطَاعَهُ ، وَلِيُمِضْ مَا يَصْدُرُ عَنَّا مِمَّا يُجُوبُ الْآفَاقَ ، وَيَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ،  
وَيَجُولُ مَا بَيْنَ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ ، وَيَطِيرُ بِهِ الْحَمَامُ الرِّسَائِلُ وَتَجْرَى الْخَيْلُ الْعِتَاقُ ،  
وَلِيُرِ النَّوَابَ مَا أَهَمُّ عَلَيْهِمْ بِمَا يُرِيهِمْ مِنْ ضَوْءِ آرَائِنَا ، وَلِيُؤَكِّدَ عِنْدَهُمْ أَسْبَابَ الْوَلَاءِ  
بِمَا يُوَالِي إِلَيْهِمْ مِنْ عَمِيمِ آلَانَا ، وَلِيَأْمُرِ الْوَلَاةَ بِمَا يَقِفُ بِهِ كُلُّ مَنْهُمْ عِنْدَ حَدِّهِ  
وَلَا يَتَجَاوَزُهُ فى عَمَلِهِ ، وَلَا يَقِفُ بَعْدَهُ عَلَى سِوَاهُ بِأَمَلِهِ ، وَلِيَتَوَلَّى تَجْهِيْزَ الْبَرِيدِ ،  
وَأَسْتَظْلَاعَ كُلِّ خَبَرٍ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَالنَّجَابَةَ وَمَا تَسِيرُ فِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ ، وَتَأْخُذَ مِنْهُ  
بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ إِذَا سَأَلَتْ مِنْهُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ ، وَأُمُورِ النُّصَحَاءِ وَالْقُصَادِ ،

ومن يَظَلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى صخرة أعيان الرجال أنصداؤها وهم شتى في البلاد؛ وليعرف  
 حقوق ذوى الخدمة منهم، وأهل النصيحة الذين رضى الله عنهم، ولا ينس  
 عوائدهم من رسوم إحساننا الموظف، وكرمنا الذى يستميل به القلوب ويتألف به  
 وليصن السر بجهد وهيات أن يخفى، وليحجبه حتى عن مسمعيه فسر الثلاثة غير  
 الخفى؛ والكشافة الذين هم ربيعة النظر، وجلاية كل خبر؛ ومن هم أسرع طروقا  
 من الطيف، وأدخل فى نحور الأعداء من ذباب السيف؛ وهم أهل الرباط للخيال،  
 وما منهم إلا من هو مقبل ومذكر كالليل؛ والدياب والنظاره، ومن يعلم به العلم  
 اليقين إذا رفع دُخان أو ناره؛ وهم فى جنات حيث لا يخفى لأحد منهم منار،  
 ولا يزال كل نبيًا بتوويرهم كأنه جبل فى رأسه نار؛ والحمام الرسائل وما يحمل من  
 بطائق، ويتحمل من الأنباء ما ليس سواه [له] بطائق؛ وينحوض من قطع الأنهار،  
 ويقطع إلينا ما بعد مسافة شهر وأكثر منه فى ساعة من نهار؛ ويعزم السرى لا يُلوى  
 على الرباع، ويعلم أنها من ملائكة النصر لأنها رُسل ولها أجنحة مثنى وثلاث  
 ورباع؛ وغير هذا مما هو به معذوق، وإليه يُتحدى به النوق؛ من رُسل الملوك  
 الواردة، وطوائف المستأمنين الوافده؛ وكل هؤلاء [هو لا] ما لهم المترجم، والمصرح  
 عن حالهم المحمحم، فليعاملهم بالكرامة؛ وليوسع لهم من راتب المضيف ما يجب  
 إليهم فى أبوانا العالية الإقامة؛ وليعلم أنه هو لدينا المستشار المؤمن، والسفير الذى  
 كل أحد بسفارته مرتين؛ وهو إذا كتب بنائنا، وإذا نطق لساننا؛ وإذا خاطب  
 ملكا بعيد المدى عنواننا، وإذا سدد رأيه فى نحور الأعداء سهمنا المرسل وسناننا؛  
 فليُنزل نفسه مكانها، ولينظر لدينا رتبته العلية إذا رأى مثل النجوم عيانها .

فليراقب الله فى هذه الرتبة، وليتوق لديه فإن الله لا يضيع عنده مثقال حبه،  
 وليخف سوء الحساب وليتق الله ربه؛ وجماعة الكتاب بديوان الإنشاء بالممالك

الإسلامية هم على الحقيقة رعيتُهُ ، وهداهم بما تُمتدّهم به من الآلاء المعيتُهُ ؛  
فلا تستكتبُ إلا من لا تجدُ عليه عاتبا ، ولا يجدُ إلا إذا قعد بين يديه كاتباً ، والوصايا  
منه تُستملَى .

### الطبقة الثانية

( من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب  
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات )

### الدرجة الأولى

( ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلُّها مفتحة بـ «الحمد لله» )  
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السرّ .

### الوظيفة الأولى

( نظر الخاص )

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنّها وظيفة محدّثة ،  
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأنّ أصل  
موضوعها التحدّث فيما هو خاصّ بمال السلطان ؛ وأنّ صاحبها صار كالوزير لقربه  
من السلطان وتصرفه فى تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنّه لا يقدر على  
الاستقلال بأمر ، بل لا بدّ له من مراجعة السلطان . وقد تقدّم ذكر ألقابه فى الكلام  
على مقدّمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرّة توقيعه فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاصّ ، كتبت به للقاضى شمس الدين موسى بن  
عبد الوهاب فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :



الحمد لله الذى جعل كلَّ جرح بنا يُوسى ، وعجل كلَّ نعمة تُبدل بوسا ، وتغير  
بالسرور من المساءة لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة ترفع لقائليها رؤوسا ، وتطالع في آفاق ممالكنا الشريفة شمسنا ،  
وتنشئ في أيماننا الزاهرة غروبنا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به موسى ،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طرُوسا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يمتسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه  
وسلم : «أبدأ بنفسك» ، وكانت الخواص الشريفة هي المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة  
دون كل شيء بأنفسنا ، لأن من خرائنها العالية نتفرق مواهبنا الشريفة في الوجود ،  
ونتخلل معاطف الأمراء والجنود ، وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن  
قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضيأه بمدده الغمام ، من حضر منهم لا يتفقد  
معه من غاب ، ومن كتب منهم في شيء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ،  
كم أجرت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إنعام ، وتقسموا في مصالحنا الشريفة هذا  
في الخاص وهذا في العام ، طالما أنقطع والدُّهم رحمه الله تعالى بعذر فمشوا الأمور  
على أكمل سداد ، وأجمل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ،  
فما خلت في وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقي يسد عنه ، فلم يزل  
منهم ربُّها مأنوسا ، ولا سُئل فيها عن قصة إلا وأنبات بها صُحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرَّد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقلَّ فيها بين  
أيدينا الشريفة ، وسافر فيها إلى ثغر الإسكندرية - حرسها الله تعالى - فآفتر بيمين  
تصرفه ، وحسن تعفُّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لا شيء يضيأه الشمس إذا حلَّ

سُرَّهَا فِي مَنَازِلِ شَرَفِهِ ، كَمْ كَفَتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِدَايِهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايِهِ ، كَمْ لَهُ مِنْ هِمَمٍ ، وَكَمْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ أَعْتَرَفَ السِّيفُ بِزِ الْقَلَمِ ، كَمْ لَهُ فِي خِدْمَةِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثَرُ جَمِيلٍ ، وَفَعَلُ جَلِيٍّ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكٌ فَلَا يُحْتَاجُ فِي الشَّمْسِ إِلَى دَلِيلٍ ، كَمْ أَحْسَنَ فِي مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَدْنَاهُ إِلَى الْكَرْكِ كَرَّهُ ، كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ فَرَقًا إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ التَّجُومَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا آتَنَقَلَ وَالِدُهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجَ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالْأَسْتِقْلَالِ فِي وَظِيفَةِ نَظَرِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ الَّتِي خَلَّتْ عَنْ أَبِيهِ ، لِيَعْلَمَ كُلُّ مُتَطَاوِلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَنِيهِ ، فَمَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ مُحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرْمِنَا إِلَّا قَالَ ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فِي رُتْبَتِهَا الْمُنِيفَةِ ، لِيَقْضَى مَا كَانَ فِي خَاطِرِ أَبِيهِ مِنَ الْوَطَرِ ، وَلِأَنَّهُ فِي أَمْثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أَوْلَى بِالنَّظَرِ .

فَلْيُبَاشِرْ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صِدَقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعُرِفَ بِهِ مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ كَمَنْ يَمْشِي فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلِيَقْدَمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فَهَمَّا أَفْضَلُ مَا يُقَدَّمُ ، وَأَجْمَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَالنَّهْضَةُ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تُقُومُ بِهَا الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدَّى لَهَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنْ بِهِ يَتِمُّ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى الْخَزَائِنِ الْعَالِيَةِ ، وَلِيَكُنْ فِيهَا كَوَاحِدٌ مِنْ رُقَّتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَإِلَّا فَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] يَكْفِيهَا ، وَلِيَشْمُرَ الْجِهَاتِ الَّتِي إِلَيْهِ مَرَجِعُهَا ، وَالْأَمْوَالَ الَّتِي يَدُومُ إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ تَطْلُعُهَا ، وَلِيَسْتَجْلِبَ خَوَاطِرَ التَّجَارِ بِإِيصَالِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فِي خِدْمَةِ

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُعِمْ به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به  
مراسمنا الشريفة مُسَارِعاً ، ولها في كلِّ ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية  
هذا من كلِّ ما يحتاج أن نُوصيه بتعامه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن  
نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي تُشرح اكتفاء بما آتاه الله بنا من  
فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والأعتاد  
على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لمُلكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من  
دولتنا القاهرة بمجلها ، وأخير المفاخر مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمده التي لا تمثها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختمت به أنبيأؤها ورسلها ،  
وبعته الله للأرحام يباها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يذلها ، ولسيوف النصر من  
الغُمود يسلبها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شدد على مطية رحلها ، وولى المراتب  
أهلها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزان مُلكنا الشريف مستودع كلِّ ثمين ، وممالكنا المعظمة لا تُعَدَّق  
إلا بالثقة الأمين ، ومتاجر خواصنا الشريفة لا يُتْرَها إلا من رأيه يعضد قلمه في اليمين ،  
والمُتَجَر المحروس لا يقوم ببناء محصوله إلا من له حزم سيد وعزم متين ، ونظر  
الخواص هو الذروة العالية فترقيها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده فى التحسين والتحصين ، والذي إن نظر فى القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تدبيرا حفظ وحرس وصين ، وضبط فى حسن الاعتماد بأغ إلى الصّين ؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجّر له عن أمواله الجمّة ، وأخرج له من فاخر الحلل ما حسن راقه رقه ، وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتّحف المثمّن ، والحمول التى أوقرت السفن فى النيل ، والإبل فى السبيل ، فأزال الغمّه ، وأنار الأمور المدهمّه ، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدّم به مما أتمّه .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف ... .. فليباشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، وينفق الكاسد ، ويكت الحاسد ، ويكثر الأموال ، ويسعد الأحوال ، ويكثر الذخائر ، ويسر السرائر ، ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنف فاخر ، ويوفى المهمّات الشريفة حقّها فى الأوّل والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمانة الثقات ، ويحرر كلّ منهم الميقات ، وليبع لخاصنا الشريف ويشتر بالأرباح فى سائر الأوقات ، وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسط المن ، ونشر المعدلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه فى اليمن ؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاده ، وليعامهم بالمعدلة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزياده . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادّه ، و [ملاكها] تقوى الله فليقتف رشاده ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأقذار هذه الدنيا فإنها جمره وقّاده ، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاده ، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

## الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطّه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدّم ذكر ما يكتب في طرة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عَدَّقَ<sup>(١)</sup> بالأَكْفَاءِ مصالِحَ الجُنُودِ ، وصَرَّفَ أَقْلَامَهُمْ فيما نُقِطِعُهُ من الجُودِ ، وَاجْتَبَى لِمَرَاتِبِ السِّيَادَةِ من تَحْمَدِهِ الأَقْلَامُ في العَطَايَا الْبَيضِ وَالسُّيُوفِ في الخُطُوبِ السُّودِ .

نَحْمَدُهُ وهو المَحْمُودُ ، ونَشْكُرُهُ شُكْرًا مُشْرِقَ الْمَيَامِنِ وَالسُّعُودِ ، ونَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَذْبَةً الْوُرُودِ ، يَجِدُّ الْمَخْلُصُ بِرُكَّتِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ﴾ ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَحَّتْ بِهِ جِيُوشُ الْإِسْلَامِ مَنْشُورَةَ الْأُلُويَةِ وَالْبُنُودِ ، مَنْصُورَةَ السَّرَايَا فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْرَقَ عُودُ ، وَأَوْجَ نَهَارُ السُّيُوفِ فِي لَيْلِ الْغُمُودِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَجَلَ رُتَبِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ مُرْتَقًى ، وَأَجْلَاهَا مُتَقًى ، وَأَكْرَمَهَا هَادِيًا حَلًى بِعَقْدِ السِّيَادَةِ مَفْرَقًا ، رَتْبَةً حَكْمًا مَرْتَقِيًا فِي أَرْزَاقِ الْجِيُوشِ الَّذِينَ هُمْ حُمَاةَ الدِّينِ وَأَنْصَارُهُ ، وَلَهُمْ رَوَاحُ الظَّفَرِ وَابْتِكَارُهُ ، وَلِهَذَا لَا يَحْظَى بِتَسْنُمِهَا إِلَّا مَنْ عَلَا مِقْدَارًا ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ لَهُ آثَارًا ، وَجَبَّتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ أَثْوَابًا ،

(١) (عَدَّقَ) يَجْمَعُ :

وأوكفت عليه سحابها، وأنزلته ساحاتها ورحابها، وغدت لأحاديث عليائه تروى،  
وحده الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مأثره، وكُرمت مفاخره، وأستوت على العلياء  
مظاهره؛ وشكر استبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجادته؛ وأحصى  
الجنود عددا، وإن كثروا النجوم مددا، وأحاط بالأرض المقطعه، فلم تكن نواحيها  
عنه ممتنع؛ ولم يغادر منها شيئا إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛  
فالعلم يثني عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرطاس والقلم -  
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نرقيه هضبة سامية العلى، فانخرة الحلى؛ ومنبع  
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهد مناهلها بعدم مثالها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه ... ..

فليباشر هذه الوظيفة المباركة، وليحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلاعه على  
الجوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسما؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بأسقه،  
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجر نظره المبارك فيما صرّفناه فيه، آخذاً بمن  
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزماً من تحت نظره بإتقان ما هم بصدد  
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما  
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن  
اكتنفت، والمغلات الآتية والأخرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل  
المنفصل؛ والمتحصل والعبره، والخاص والعدة لذوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى  
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإتيان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية  
أو إقطاع مجزل، وكلاهما فى دولتنا سمالك : هذا رايح وهذا أعزل .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يُثَمِّه ، والله تعالى  
يجلّ به رُتبته ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواء المجد وعذبه ، بعد العلامة الشريفة  
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعزّ الجيوش المنصورة ، وجزّ أعناق العدا بالسيوف المشهورة ،  
وهزّ ألوية التأييد المنشورة ، وجعل الجحافل مُشرِفةً وأجنحتها خافقةً وساقها مُحِدقةً  
وقلوبها مسرورة .

نحمده بحمّامه المذكورة ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
مأثورة ، موصولة غير مهجورة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل  
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته وثغوره ، وسنّ لأئمة الاستخارة  
والمشورة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نورت من الليل ديجوره ، وكثرت  
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنّ أحوال جيوشنا يتعين حسن النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،  
وإسعافها بناظر يحترّ جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة افتراقها ، ويأمر بنظم جرائد  
أسمائهم واتفاقها ، ويتقن الحلي ، ويبين يوم العرض محله في آرتقاء العلى ، ويصون  
المحاسبات لكل منفصل ومتّصل من الحلل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به  
لكلّ حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو الممدوح بالسنة الأعلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين  
أرباب السيوف وذوى الأعلام ، والمأمون فيما يُعَدَّق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر بجده الأمثال؛ والمنشور فضله في كل منشور، والظاهر أثره تجريده في الديوان المعمور، والذي شكرته الملكة الشريفة فهو من صدورها في الصدور.

(٢) ... فليباشر نظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر، وتجلو الظلام العاكر، وليحترر جرائد التجريد، وليصن العدة الكاملة من التبديد، ولتكن أوراق البياكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره، وإذا وقع فيهم حركة كانت أفلامه غير مقصره، وليرغب في آقتناء الشاء حتى يصبح عنده منه جملة من الألوف، وليكن للأمانة والنصح نعم الألوف، وليتق الله مع أصحاب السيوف، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف، وليجعل له برأ في كل أرض يطوف، وتقوى الله فهي السبيل المعروف، فلينعم بجنّتها الدانية القطوف، وليلبس بردتها الضافية السجوف، والله تعالى ينجيّه من الخوف، بمنه وكرمه!



وهذه وصية ناظر جيش أوردتها في "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعي باسمه وقوبل عليه بحليته، وليقم [فيه] قياما بغيره لم يرّض، وليقدم من يجب تقديمه في العرض، وليقف على معالم هذه المباشرة، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره، وليقتصد في كل محاسبه، ويحتررها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه، وليستصح أمر كل ميت تأتي إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته، أو يخبره به مقدمه أو نقيبها إذا مات معه في السكار عند موافاته، وليحترر ما تضمنته الكشوف،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ.

(٢) بياض بالاصل ومراده بالأمر الشريف الخ.



ويحقق ما يقابل به من إخراج كلِّ حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئِلَ عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كُشِفَ على كُشِفَ أظهر ما هو عليه ولا يُنكَر هذا لأهل الكُشِفِ، وليحتَرِزْ في أمر كلِّ مَرَبَعَةٍ، وما فيها من الجهات المُقَطَّعة، وكلِّ منشور يُكْتَبُ، ومثالٍ عليه جميعُ الأمرِ يترتب، وما يثبت عنده وينزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه، وليعلم أنَّ وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كلِّ إقطاع، وفي كلِّ زيادة وأقطاع، وفي كلِّ ما يُنسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المُطاع، فليتبصَّرْ بمن وراءه، وليتوقَّ اختلاق كلِّ مبطل وأفتراء، وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والموكل به النظر، والمحقق به جملةُ جندنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كلِّ جنديٍّ له ممن فارق أو نُزِلَ، وكذلك مُساوِقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السَّياقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في السَّاقة. وطوائف العرب والتركمان والأكراد، ومن عليهم تقدمة أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كلِّ لواءٍ يُنشر أو علم، فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحَضِّرا، لتكون لَفَات نظرنا إليه دون رُفْقته في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التَّدْكار والمراجعة.

### الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنَّ موضوعها التحدُّث في كلِّ ما يتحدَّث فيه الوزير، وأنَّ كلَّ ما كتَب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كَتَب فيه «يُكشَف عَمَّا رُسم به» ونحو ذلك. وتقدَّم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب فى طرّة توقيعه  
فى الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :

الحمد لله الذى خصّ من أخلص فى الطاعة من الآئس بحسن النظر ، وأجنى  
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيماننا الزاهرة يانع الثمر ، ورفع من  
استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر  
لوامع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع  
ما يدنر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى ، ونشهد  
أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأرف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم  
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى  
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم  
تسلماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من خصّه برنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يجر  
فى بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعته فى مصالح الدولة القاهرة  
جميل العبارة حسن اللسن ، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا  
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فعدت لكل خير  
حاوية ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت  
المصالح بأقرب نظر ، إلا نمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما اعتبرت فيها  
محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكه به فى كل

ما يليه أحسن المسالك ، وعِفَّةٍ رفَعته من الرتب الديوانية إلى مفارقة ولا رتبة للتاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى أجتنى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة مازاد على المنى ، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعِفَّة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجلييلة وأنفس ما يقتنى ، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب بما أقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليباشِر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومحلياً فى هذه الحلبة بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ، فلا يزال فرع يراعه فى روض المصالح مُثمراً ، وليل نقسه فى ليل الأعمال مُقِمراً ، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحَدِّقاً ، ولسان قلمه لما دق من أمور الأقاليم مُحَقِّقاً ، ورسم خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُثَبِّتاً ، ووسم تحريره لما يُجتنى من غروس المصالح مُنَبِّتاً ، ولدّر أخلاف الأعمال ، بحسن الإطلاع محتلياً ، ولوجوه الأموال ، بإنفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلياً وإن أعرضت محتلياً ، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابت ينمىها النظر الجلي والإتقان الجليل ، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيئها فى كل حال أمامه ، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! .

قلت : ورُبَّما أضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصُّحبة الشريفة الآتى ذكرها ، وكتب بهما جميعاً لشخص واحد .

(١)  
وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر  
إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلص فى الطاعة من آلائنا بحُسن النظر، وأجنى من  
غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيماننا الزاهرة يانسع الثمر، ورفع من استضاء  
فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من حُجُول الرُتب إلى مكان الغرر، وأظهر لواضع  
السعادة من نعيمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر.

نحمدُه على إحسانه الذى غمَّر، وأمتنانه الذى بهَّر، وفضله الذى عمَّ كلَّ من ظهر  
له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتضى وأنفع  
ما يُدَّخر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن  
محمدًا عبده ورسوله أشرف البشر، وأراف البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة  
لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدرة، باقية العين والأثر، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فإن أولى من خصَّه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يُهجر  
فى بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة  
القاهرة جميل العبارة حسن اللسن، من سمت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته  
[سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدت  
لكل خير حاوية ولكل يمين جامع، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة  
مالحظت المصالح بأقرب نظر، إلا نمت الأموال وبدرت البدرة، وخبرة ما اعتبرت فيها

(١) هى عين سابقتهما خلا أن فيها ضم الصيغة مع تغيير يسير، فتنبه.

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر، ونزاهة سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتأج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذي آجتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة مازاد على المنى، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقدمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصلحة الشريفة .

فليأشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجلى في هذه الحلة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثيراً، وليل نفسه في ليل الأعمال مقمراً، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محققاً، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققاً، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبته، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح منبته، ولدّر أخلاف الأعمال، بحسن الأطلاع محتلباً، ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت مجتلياً وإن عرضت محتلباً، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينميها النظر الجلي والإتقان الجليل، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل وقت أمامه، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

## الوظيفة الرابعة

(١)  
(نظر الصُّحبة)

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُّحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُّحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو :

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلَّ ركابنا مُصاحِباً ، وأطلعَ للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاناً ثاقباً ، وعدَقَ النظرَ فى صُحبتنا بمنَّ لم يزلْ لمصالحنا ملاحظاً ولأوامرنا مُراقباً ، وفوضَ أمورَ مباشرةِ حالٍ من آجتهد أو قصّر فى خدمتنا إلى مَنْ لم يزلْ بنفسه فى واجبِ الطاعةِ مُنافساً وعلى فرضِ الموالاةِ مُحاسباً .

نحمدُه حمدَ مَنْ أجملَ فى أوليائنا نظراً ، وخصَّ بالنظر فى صُحبتنا من اختبرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناصحة سفيراً وحضراً ، وأعتمد فى ملاحظة مباشرى ما يتر عليه من ممالكه على مَنْ لا يرحل له حقاً ولا يُحدث له ضرراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشنا لإعلاء منارها مجهّزه ، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزه ، ووعدُ النصر على مَنْ ألدَّ فيها لنا معجلاً وعلى أيدينا منجزه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما فرض ، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصّر بأحد منهم فى أيا من أمل ولا بعد عليه غرض ، وخصنا منهم بمن تمسك بجوهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياساً على ما سبق فى نظائره أن هنا سقطاً ، هو « وموضوعها أن صاحبها يتحدّث مع الوزير فى كل ما يتحدّث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاً له » . انظر صفحة ٢٩ ج ٤ من هذا المطبوع .

يتعرض من هذا الأذى إلى عرض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من ( يكاد يمسه عرفان راحته ) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وثبت في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [ وصول ] مسترق السمع إليها ( فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ) وأدخنا أعلامه لمصالح كل إقليم يمر ركابنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقمناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وانتزع الحق من مديده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المؤاخذه به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فأجتنوا ثمرة ما غرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تقتضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا بمرأى من عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذى ليس لأحد من الأكفاء فى بلوغ غايته أمل ولا مطمع ، وتفرد بآجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذى آجتنى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أخفى ما يذخر للرتب الجليلة وأنفس

ما يُقْتَنَى ، وَعُنِيَ من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما آقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يُحتفل بتقديمه وأن يُعْتَنَى . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة <sup>(١)</sup> .

فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلية بسبق معرفته التى لا تحتاج إلى دليل ؛ ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن اطلاعه مالا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرع يراعه فى روض المصالح مُثَمِّراً ، وليل نفسه فى ليل الأعمال مُقَمِّراً ، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحَدِّقاً ، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم مُحَقِّقاً ، ورسم خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُثَبِّتاً ، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنَبِّتاً ، ولدّر أخلاف الأعمال بحسن الاطلاع محتلباً ، ولوجوه الأموال بإنفاق التوجه إلى نثيرها إن أقبلت مجتلباً وإن أعرضت محتلباً ؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابت ينمىها النظر الجلى والاتقان الجليل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيّلها فى كل حال أمامه ؛ والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه ! ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الصُحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتى فى براعة الاستدلال بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتب البليغ يتصرف فى ذلك على وفق ما يحدث له من المعانى ويسنح له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصُحبة .



## الدرجة الثانية

( من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب  
 في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن قصد  
 تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرياً  
 على الأصل لما يكتب في قطع الثلث ، على ما وقف عليه في النسخ )  
 وتشتمل على وظائف :

## الوظيفة الاولى

( كتابة الدست )

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على  
 ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها  
 أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواكب خلف كاتب السر ، ويقرءون القصص  
 على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة  
 السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها .  
 وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدراً ، منحصرة في عدد قليل  
 نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى  
 جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرياسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون  
 بالاسم . وقد تقدم ذكر طرّة توقيعه في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهى :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضائل الآخرين الأولين الزاهيين ،  
 وأنزل فى القصص : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمُعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً  
قَوْمٍ مُخْلِصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
وَالشَّافِعُ فِي الْمُدُنِيِّينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارُ جُذْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ، وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي  
لَا يُضَاعُ ؛ وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّصَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمَدِيدُ الْبَاعُ ؛ وَصَحْنُهَا الْأَمْنُ  
وَالسَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعُ ، وَجُلَسَاؤُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُونَ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ  
الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْكَيَاةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ  
وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِيَ الرَّقَاعِ بَوْشًى بِأَدْيِ الْإِنَارَةِ ، مَا آخَتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ  
فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّودِّ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مُطِيقٌ ،  
وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مُنْطِيقٌ ، وَإِذَا دَبَّحَ قُرْطَاسَهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ  
لَا الْآسُ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ ... .. فَلْيَحُلْ هَذَا الدَّسْتُ الشَّرِيفُ مُبْهِجًا بَيَانِهِ ،  
مُتَبَلِّجًا لِلصُّدُورِ بِعُرْفَانِهِ ، مُتَبَلِّجًا بِنُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِئًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلَامَاتِهِمْ  
فِي إِيْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يُعَرِّفُ مِلْكَةً بِهَا  
وَيَبْلُغُهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مُحِبُّ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ وَالرَّفْعَةِ ؛ وَإِذَا  
وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلْيَأْتِ بِمَا يُبْهِجُ الصُّدُورَ ؛ وَيَشْفِي غَلِيلَ الشَّاكِي ، بَلْفِظِهِ الزَّاكِي ،  
وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلَامُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجُهَا الْمَجُوهَرُ ،  
(١)

(١) لعله لكن سئل ببعضها الحاكي ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبذرُها المنور ، وكوكبُها الأزهر ، والله تعالى يمتعه بالفضل الذى لا يحول ولا يتغير ،  
بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا ، وهى :

الحمد لله الذى أفاض على الأولياء من فضله ، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر  
عنه الغمام فى وبله وطله ، ومنح دست الملك الشريف من الألفاظ المحيية ،  
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعمة التى أجزلت إحسانها ، وأجملت آمنتانها ، وبزغت مزيهره  
فقدمت من الدولة أعيانها ، ونشكره على عوارفه التى ألقى لأهل الشناء عنائها ،  
ورحب لذوى البيوت صدرها وفوض عنوانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ويدخر  
القائل لها ليوم المخاف أمانها ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله  
به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه  
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها ، وأطفأ بنور إرشاده  
شرر الضلالة ونيرانها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه  
نفسه النفيسة وصانها ، وسلك فى خدمته وصحبته الطريقة المثلى فأحسن إسرار  
أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تجل بالأجور اقترانها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف  
وأسنائها ، وأنفسها وأعلاها ، وأجملها وأبهاها ، القائم بها سفير الرعية إلى الملك

فى حاجتهم ، وترجحان مغرب عن شكائهم ، وكاشف أحسن ناشر عن ظلامتهم ؛  
جالس على بساط الأنس بقرب الحضرة ، منفذ نهى مليكه وأمره ، مبلغ ذا الحاجة  
من إنعامه جوده وبره - تعين أن يندب رئيس وأبن رئيس ، وجوهر بحر نفيس ؛  
ذو أصل فى السؤدد عريق ، ولسان فى الفضائل طليق ، وقلم حلّ الطروس بما يفوق  
زهر الرياض وهو لها شقيق ، وفاضل لا يقاس بغيره لأنه الفاضل على التحقيق ؛  
وكان المقر العالى الفلانى هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه  
الحامد اللؤلؤية . فلذلك رسم بالأمر العالى أن يستقر المشار إليه فى وظيفة توقيع  
الدست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليباشر ذلك مباشرة تشكر مدى الزمان ، وتحمد فى كل وقت وأوان ؛ وليدبج  
المهاريق بوشى يفوق قلائد العقيان ، وليتملاً بالأجور لنا صحفاً بما يوحيه عنا من  
خيرات حسان . ونحن فلا نطيل له الوصايا ، ولا نخلّيه بها فهي له سجايا ، مع ما أدبه  
به علمه الجم ، وعمله الذى ما أنصرف إلى شيء إلا تم ، ويجمعها تقوى الله تعالى  
وهى عقد ضميره ، وملاك أموره ؛ وما برح هو وبيته الكريم مصابيح أفقها ومفاتيح  
مغلقتها ، ولهم جدد ملاسها وللناس فواضل مخلقتها ؛ والله تعالى يزيده من إحسانه  
الجزيل ، ونعمه التى يرتدى منها كل رداء جميل ، ويمتعه بإمارته التى ما شكرها إلا  
قال أدباً : حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ والاعتماد فى مسعاه ، على الخط الكريم أعلاه .

## الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن هذه الوظيفة كانت  
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصّ فأنحطت رتبته حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع يُخلع وتُصرف أولاً فأولاً . وقد تقدّم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين ل ذخائرنا كهوفا ، وملايس إقبالنا سُنُوفاً ، ومَواهِبنا تُجْزَل عطاءً ومعروفاً ، وإقبالنا على مُحسِن التدبير ومجمل التأثير عَطُوفاً ، وأيادينا فى إسكان جَنَّتِها قُطُوفاً .

نحمده حمداً مألوفاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أَوْضَحَتْ معروفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال مَخُوفاً ، وأقام الصلاة والجهادَ صُفُوفاً ، وشهر على العدا عند تأييد الهدى سُيُوفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سَدَل الليلُ سُجُوفاً ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ الملكَ الشريفَ له تُخَفُّ مَصُونَه ، وذخائِرُ مَكُونَه ، وأَصْنَافُ حِسانٍ فى خزانَتنا مَخْزُونَه ، وجواهرُ عاليةِ القِيَمَةِ ثَمِينَةٌ [ لا يقوم عليها إلا من ] لا يَمُدُّ عَيْنَ عَفَافِه إلى المالِ وإن كَثُرَتْ آلاَفُه ، وَوَجَّحَ لُجَّةَ هَذِهِ الذَخَائِرِ وَلَمْ تَلَمْ بِالْبَلَلِ أَطْرَافُه ، وهو فلان : العريقُ فى آنْتِسابِه ، الوثيقُ آنْتِباؤُه إلى فضلِ الله وَجَنابِه ، النقيُّ ثوبُ عِرْضِه ، التقيُّ بتمسُّكِه بَسْتَنَّتِه وفَرْضِه ، الوفىُّ نظره بغَضِّه ، المستمسكُ بجميعِ الخيرِ دُونَ بعضِه ، من بيتِ السَّيادَةِ وَمَنْ هو من بَيْتِ السَّيادَةِ فالسُّودَدُ نَجْمُ سَمائِه وطُودُ أرضِه . فلذلك رُسمَ بالأمرِ الشريفِ أن يستقرَّ . . . . .

فليباشر هذه الوظيفة بعَمَلٍ ونيَّة ، متسلِّماً ذخائر هذه الخزانة العليَّة ، وأمورها وأحوالها ، وتفصيلاتها وإجمالها ، وحولها وأحمالها ، وحللها المرقُومَه ، وذخائرها

المعلومه ، وجواهرها المنظومه ، وأيامها المختومه ، وصناديقها المُرْكُومَة ، ما عَن علمه فيها شَيْءٌ خاف ، وصونه لها كاف ، وأمر الله بين النُّون والكاف .

وليعلم أن خزانة نُصِبَ فيها بحائب التَّحَف والأموال والأصناف ، من سائر الممالك والمدن والتُّغُور والأطراف ، ومنها يُخْرَج بجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف ، وإنما هى لمصالح المسلمين فى الجمع والإئتلاف ، وتقوية أهل الطاعة على أهل الاختلاف ، فليَضْبُط ما تُطْلِقُه وإن كانت الأقلام لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف ، ولتكن التشاريف المثمَّنة الكامله ، حاصلةً بمناطيقها المجوهره الهائله ، وطُرُزها الطائله ، وتعايها الفاضله ، حتَّى إذا أنعمنا منها على أحد بشيئ يأتى بحموله وقد حمِد فاعله . والوصايا كثيره وتقوى الله نظام عقدها ، وغَمَام رِفْدِها ، وزِمَام مجدها ، وتَمَام سَعْدِها ، فليكن متلفعاً ببردِها ، متضوعاً بندِّها ، وهو غنى عن الوصايا ومدِّها ، والله تعالى يؤيِّد حركاته فى قصدها ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة ، أوردتها فى "التعريف" :

وليملاً بنظره صُدُور الخزائن ، وليجمع فيها أشنات الحاسن ، وليعدَّ فيها كلَّ ما يُدْخَر للإِنْفَاق ، ويحتَفِظ به للإِطْلَاق ، ويحصِّل ما يُضاهى البحرَ بالتفريع والتأصيل ، والجمل والتفصيل ، وما لا يُوزَن إلا بالقناطير ، ولا يُحصى منه ملءُ الأساطير ، وما يُهَيَّأ من التشاريف الشريفة التى تُباهى أشعَّة الشُّمُوس بأمعها ، وتُحاسِن وشائع الروض بخلعها ، وما فيها من مخلفات ألوان لا تُماثل بتصوير ، ولا يُظنُّها الأولياء إلا الجنة وليأسمهم فيها حرير ، وما تحوى عليه من عَنَابٍ وأطلس ، ومُشْرِبَش ومُقْنَدَس ، وكلَّ طراز مُذهب وباهى ، وما هو من ذهب أوله يُضاهى ، وكلَّ

ما يتشرف به صاحب سيف وقلم، ويُعطى إنعاماً أو عند أول استخدام في خدم؛ وما هو مع هذا من أنواع المستعملات، والنواقص والمكملات؛ وما يحمل من دار الطراز، ويحمد مما يأتي من المبتاع من بز وبزاز؛ وما هو مرصداً للخزانة العالية من الجهات؛ التي يحمل إليها متحصّلها: لينفق في أثمان المبيعات، وما يستعمل، وما يعلم منه بالطرز ويعمل، وبقية ما يدخر في حواصلها من مال بيت المال الذي يحمل؛ وذلك كله فهو الناظر عليه، والمناظر عنه مما خرج من عنده ووصل إليه، والمحتاج عنه بالمراسم التي تُشكّ للحفظ وتُنزل لديه؛ فليراع ذلك جميعه حق المراعاة، وليحرّر قدر ما ينفق من الأثمان وقيمة المبيعات، وليحرّر فيما يزكّي بعضه بعضاً من شهادة الرسائل المكتتبة إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات؛ وليعرّ المعاملين من نظره مالا يجردون معه سيلاً، ولا يقدرّون معه على أن يأخذوا فوق قدر استحقاقهم كثيراً ولا قليلاً؛ وليقدّم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدّعه لوقته، ولا يمثل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟)؛ والأمانة الأمانة، والعفاف العفاف فما كان منهما واحد رداءً أمريئاً إلا زانه، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليوم لدينا مكين أمين وسلم إليه الخزانه .

### الوظيفة الثالثة

(نظر خزانه الخاص)

وهي الخزانه التي استحدثت في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخاص» وقد انتقل ما كان يحمل إلى الخزانه الكبرى ويصرف منها إلى هذه الخزانه، سوى الخلع، كما تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزانه الكبرى .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانة الخاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد  
 ابن علاء الدين الجَوْجَرِيَّ<sup>(١)</sup> ، فى مُستَهَلَّ شهر رجب الفرد ، سنة تسع وثلاثين  
 وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحّه من أوليائنا [و] لحظه ، وأفاد  
 المستأنف من ربنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقننا منه الفكرة واليقظة . وأعاد  
 للخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم  
 بالتكريم ، وجعلهم على خرائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظة . وجاد بالطرف  
 من خاص إنعامنا العام لمن لقلبه عند الإذناء من سرير الملك إنجاز عدة وللسان  
 عند ارتقاء منبر النسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن  
 تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المفترضه ، وعكف أعمالنا على بيت  
 مبارك ما منهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .  
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مضمونها فى الأرائك  
 المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى  
 عظمت عطايا بذله ، فالبهار المرتفعة عنها منخفضة ، وكرمت سجايا فضله ، فليست  
 بمنقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمنقضة ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى  
 بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقبضة ، صلى الله  
 عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاعف له  
 ما أقرضه ، صلاة تدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتيه فى الأخرى  
 من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» بفتح الجيمين وراء بليدة بالقرب من دمايط انظر يا قوت ج ٢



وبعد، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رُتبةِ علانيته، وأنتفع من مقامنا الشريف باختصاص خدمته وإخلاص ولائه - مَنْ شفع مزايده بجمع أشتات العلوم في أبكاره وآنائه، وأستودع ذخائر ملكنا المصونة فكان حفيظاً عليماً عند اقترابه مِنّا وإدناؤه، وصدع القلوب بإبداع وعظه وإبدائه؛ وأتبع سبيل والده القويم، في الشدة في الحق والتصميم؛ وسلك طريقته التي هداه الله إليها بتوفيقه فأدرك غايته في ابتدائه، وقنع بما آتاه الله تعالى فأثرت مكارمنا رفعة محله وتوسعة حباؤه؛ وبرع في إتقان الفضائل التي آذنت باصطفائه واجتباؤه، ووقع عليه اختيارنا الذي نستخير الله تعالى له في إبرام كل أمر وإمضائه؛ وأجمع عليه رأينا الذي كم أصاب الصواب في تعيين العلماء الأنجاب فنص عليه الاستحقاق بإيجاب الترجيح واقتضائه .

وكان المجلس السامي الشرفي هو الذي قدّمناه بعد أبيه لشهادة خزاننا الشريفة فشاهدنا من حسن سيره ما أبهج، ونظمناه في سلك أولياء الملك فسلك من الخير أقوم منهج، ثم أردنا الآن أن هلاله ينتقل إلى رتبة الكمال لما تدرّب وتدرّج؛ وأعدنا له تآم الإقبال حيث شرف دولتنا الأعلى - زاد الله تعالى تأييده - يذكره لدينا وبشكره عندنا يلهمج - فاقترضنا حسن الرأي الشريف أن هذا النظر الجميل عنه لا يخرج، وهذا الوقر الجليل لا يعدل به عن فرع منجب لأصل طيب أثمر الولاء والدعاء لأيماننا الشريفة وأنتج .

فلذلك رسم ... لا زالت الصدور بصدور أحكامه تثلج، والأمر بمرور إنعامه تفضل على الحق الأبلج - أن يستقر ... فليطلق لسان كلمه بالإخلاص في حمد الخاص والعام من هذا الإكرام الذي بمطارفه تسربل وبغوارفه تتوج، وليطلق سنان قلبه في تبييض المصاحف بذكر إنعام المقام الذي هو كالبحر ويفصح

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجج ؛ وليُحَقِّق بَيَان حُكْمِهِ ضَبْطَ الْأَصْلِ وَالْخَصْمِ  
وَالْوَاصِلِ وَالْحَاصِلِ وَالْمُخْضَرِ وَالْمُخْرَجِ ، وَلِيُفَقِّ فِي أَوْلِيَانَا مِنْ عَوَائِدِ صَلَاتِ نَعْمَانَا  
الَّتِي تَقْبِضُهَا أَيْدَى مَلُوكِ الْمَدَائِنِ بَسْطِ وَمِنْ بَعْضِهَا صُدُورُ الْخَزَائِنِ تَخْرُجُ ؛ وَلِيُسَلِّكَ  
سُنَنَ أَبِيهِ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ وَيَفْتَخِرُ وَيَسْتَدِلُّ وَيَحْتَجُّ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِسَبَبِهِ الْأَقْوَى  
مِنَ الدِّيَانَةِ الَّتِي بَابُهَا مِنَ النِّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ غَيْرُ مُرْتَجٍّ ؛ وَتَتْرَكَ لَهُ تَفْصِيلَ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ  
قَرِينُ كَفِيلِ مُلْكِنَا الْقَوَى الْأَمِينِ ذِي الْإِرْشَادِ وَالسَّدَادِ فَمَعَ مِرَافَقَتِهِ فِي الْإِصْدَارِ  
وَالْإِيرَادِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّعْدَادِ لَمْ يَحْتَجْ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الطُّرُوسَ بِذِكْرِ تَقْدِيمِهِ تَحَبُّرًا  
وَتُدْبِجًا ، وَالدُّرُوسَ تَنْشُرُ وَعُلُومَهُ تَعْظُرُ وَنَتَائِجُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الوظيفة الرابعة

( نظر البيوت والحاشية )

وقد تقدّم أنّ مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ فِي كُلِّ مَا يَتَحَدَّثُ فِيهِ أَسْتَادُ الدَّارِ ، وَتَقْدَمُ  
الْكَلَامُ عَلَى مَا يُكْتَبُ فِي طَرَةِ تَقْلِيدِ نَظَرِهَا .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذى عَمَّرَ الْبُيُوتَ بِنَوَالِهِ ، وَكَثَّرَ فِيهَا أَصْنَافَ النِّعَمِ بِإِفْضَالِهِ ، وَجَعَلَ فِيهَا  
الْخَيْرَ يَتَضَاعَفُ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ بِتَجَدُّدِهِ وَمَعَ كُلِّ شَهْرٍ بِإِقْبَالِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَدِيدِ ضَلَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً  
عَبْدٌ صَادِقٌ فِي مَقَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ عِمْدَا عَبْدِهِ وَرَسُولَهُ الَّذِي رَحِمَ اللَّهُ الْعَالَمِينَ بِإِرْسَالِهِ ،  
وَسَقَى الْجَيْشَ مِنْ كَفِّهِ بَنَعَ زُلَالَهُ ؛ وَأَوَى إِلَى الْمَدِينَةِ دَارَ هِجْرَتِهِ وَأَنْتَقَالَهِ ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ النَّاصِرِينَ لِهَذَا الدِّينِ فِي كُلِّ حَالِهِ ؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق  
الجارى ، ومنها يضيء سقط الزند الوارى ، ومنها تبسط الحوانات ، وتمدد الأسمطة  
في المهمات ، ومنها يقوم للسعد نصبات<sup>(١)</sup> وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات  
على مقترح الشروات ، وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفريعها ، وتجنيسها  
وتنويجها ، وتكثير حاصلها ، واستدعاء وإصلها ، وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخال  
كل ما هو محبوب ، وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ، الأمين في عقده  
وحله ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من  
مستتهله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر ... .. فليباشر هذه الوظيفة الكريمة  
مستجلبا المنافع ، مشنفا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف في أبهى المطالع ،  
مستدعيا ما جرت العادة باستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ،  
وأنواع منضده . وليرح أعذار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ،  
وليستجلب خواطر المعاملين بوفائهم وإنجازهم كل عده ، والرواتب اليومية ليصرفها  
لمستحقها ، والبيوتات فليسدد خللها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر<sup>(٢)</sup>  
الشريفة فلتكن نصب عينيه على ما يرضيها ، وما اخترناه هذه الوظيفة إلا أنه أنسب  
من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يجتنيها ، وأحسن منحات  
يجتليها ، وأزين زينة يحتليها ، وهو غنى عما تشافه [ به ] الأقالم من فيها ، والله  
تعالى يصون هممه ويعليها ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبه بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملابس السُّعُود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف  
لقدّرهم الترقى والصُّعُود، ووالى<sup>(١)</sup> إلى أوليائهم سحاب الفضل المستهلة بالكرم والجود.  
نحمده على نعيمه الضافية البرود، ومننه الصافية الورود، ونشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادة نرغم بها أنف الجود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله  
صاحب الحوض المورود واللواء المعقود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين  
جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود، صلاة  
دائمة الإقامة فى التهايم والنجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود،  
وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل  
فكره، مشيّد بما يبيده من أوضاع التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتا،  
وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمتا، وحل فى الرتب فخلاها، وتنقل فيها  
فما قالت له إيه إلا وقال الذى فارقها آها، وكان فلان هو الذى استحق بكفائته  
حسن التنقل، وأستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التأتى والتوصل - أقتضى  
حسن الرأى الشريف أن ننقله إلى رتب السعادة، وأن نخصه كل حين من نعمنا  
بالحسنى وزيادته . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر ...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفرداتها ومجموعها، وليؤنس بحياطة أجهاده ربوعها،  
وليكفلها بأمانة تضم أطرافها، ونزاهة تحل أعطافها، وكتابة تحضر جليلها ودقيقها،

(١) لعل الصواب ووالى إليهم سحاب . تأمل .

وَنَبَاهَةٍ تُوفِّي شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ، وَلِيَحَرَّرَ وَارِدَهَا وَمُضْرُوفَهَا ، لِيَغْدُوَ مَشْكُورًا لِهَيْمَمِ  
مَوْصُوفَهَا ، وَلِيَلَا حِظَّ جَرَائِدِ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّيْغِ قَلَمَ كُتَابِهَا ، حَتَّى يَنْجَى تَصَرُّفَهُ  
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُشْكِرَ تَعَرُّفَهُ وَتَعْطُّفَهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ  
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تقدّم أن موضوعها التحدّث فيما يستعمل ويبتاع من أنواع السلاح الذي  
يحمل للزردخاناه السلطانية . وقد جرت العادة أن يحمل ما يتحصّل من ذلك في كل  
سنة إلى الزردخاناه مرة واحدة . وقد تقدّم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى «شمس الدين بن  
القيسراني» كتب به «لفخر الدين» أخى جمال الدين ناظر الخاص ، وهى :

أما بعد حمد الله تعالى الذى ضاعف نحر المناصب ، بمتوليها ، ورفع قدر المراتب ،  
بمن يكبرها بقدره العلى ويعليها ، وأمد المقاب<sup>(١)</sup> ، بنظر ذى المناقب الذى يزىّن بمرهف  
حزمه أسلحتهم ويحليها ، ويمضى بماضى عزمه كلّ فرند فريد ليسعر نار صليله  
بنظره السعيد ويحليها ، جاعل أيا من الشريفة تقدّم لخدمها كلّ سرى تسرى به هممه  
إلى العلياء ، وتنتخب لحسن نظرها من يعلو بكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من  
الأولياء من يعدّ للأعداء خزائن سلاح تبيد بهم جيوشنا المؤيدة في فيافي البيداء ،  
إذا دارت رحى الحرب الزبون وثارت غى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقنب "كمنبر" وهم جماعة الخيل والفرسان .

التي آتسق بذُرُها، في سماء الإخلاص، وأشرق فجرُها، بضياء القُرب والاختصاص،  
وسما فخرُها، بجلال الجمال فأصبح بحمد الله آخذًا في المزيد آمنًا من الانتقاص،  
وعلا ذكُرها، بما درعنا به من دُرُوع التوحيد وأسبغ علينا منه كلَّ سابغةٍ دِلاص.  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خصَّه الله بالتكريم والتعظيم، وختم به الرُّسل  
الكِرام بما منحه من الأصطفاء والتقديم، وأوحى إليه في الكتاب الحكيم :  
﴿ أَنْ أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . وعلى آله وصحبه الذين هم أشدُّاء على الكُفَّار رُحماء بينهم ،  
وقُرب قُربهم لديه صلى الله عليه وأذهبَ بينهم - فإنَّ من شيم أياมนา الشريفة أن  
تُبَلِّغ أولياءها مراما، وترعى لأصفيائها ذماما ، وتصطفى لولاية الرُّتب من أضنى تغرُّ  
ولايته بساما، وتجرّد لحسن النظر من يُجرّد بهممه حساما حساما ، لا سيما من آتفى  
سنن أخيه - أجله الله - فيما يأتي ويذر، وأهتدى بهديه في كلِّ وردٍ وصدر، وحذا  
حدوه السيد الأثر، السعيد النظر، وأتبع رُشدَه الساطع البَلج اللامع الغرر، وسار  
سيره الذي نتارج به أرجاء الممالك حيث سار سرّ ، إذ هو جمال الجود ، جلال  
الجود، مُقيل عثار الملهوف والمجهود، موئل التَّهائم والنُّجود ، مستجلب الدعاء لنا  
من الطائفين والعاكفين والرُّكع السُّجود ، ذو المآثر التي ذكُرها أعطر من الروض  
المجود المَوْجود، والمناقب التي يُساوى فيها الكواكب ويسامتها في السُّعود والصُّعود.

ولما كان المجلس العالى الفخرى قد أصبح نخره بأخوته ناميا، وقدره بأبوتة  
ساميا، وأصبحت مفاخره به خالده، وجمع مزايا وسجايا جمعت له طارف السَّعد  
وتالده - آتضى رأينا الشريف أن نُشدّد له بأخيه أزرًا، ونُجدّد له في إصلاح السلاح  
نظرا ، ليكون لأخيه - أعزه الله تعالى - النظر على الخاص والعام ، وبِيده مقاليد  
خزائنها التي يشمل منها البرايا بَصنوف الإنعام ، وتدير خواصنا الشريفة وجيوشنا

المؤيده، وله النظر على اعمال لبوس، تقى من الجيوش البوس : البيض [ ذات ]  
القوانيس، واليلب المدار والسمير المداعيس، والبيض المهنده .

فلذلك رسم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شملاً، ويرفع أقدار أهل الكرم  
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقر فلان في نظر خزائن السلاح  
المنصورة على عادة من تقدمه وقاعدته، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه  
المآثر التي بثها القلم، والمفاخر التي اشتهرت كالنار على العلم، فليكشف ما بهذه الخزائن  
من عدة الحرب، والآلات المعدة في الهيجاء للطعن والضرب، ويشمر في تكثيرها  
عن ساعد اجتهاده، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن اعتماده، ويستعمل  
برسم جهاد الأعداء كل نصلي صليل، وصمصام له في الهام صليل، وصفيحة بيضاء  
تبيض بها بين أيدينا الصّحيفة، ولبوس ترهب عدو الله وتضاعف تخويفه، وزاعج  
يرعب، وسمهري يزهر بلسان سيناه النفوس ويذهب، وخرصان تكلم الأبطال بأسل  
ألسنتها في الحروب، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحلي الكفار<sup>(١)</sup>  
غروب، وبدن يقدر الأبدان، ولأمة لم تبار في تحصينها وتخويرها ولم تدان، وفضفاضة  
على جنود الإسلام تفاض، وسابغة تسبغ على كل راجل من أهل الإيمان ليقتضى  
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما ينفق على هذا العدد من الضياع، ويأت بما تأتي به الضياع على  
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع، وليضبط ما يصرف عليها من الأموال، ويعتمد  
في نظرها ما تمجد عاقبة أمره في سائر الأحوال، ويتيمن في سائر أفعاله بما من كماله،  
ويسترشد بمراشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله، ويسلك بحسن نظره  
لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب، ويعلم أن هذا أول

إقبالنا عليه (وأول الغيث قَطُرٌ ثم يَنْسِكُ) ، والله تعالى يجعل خزائن الإسلام بجمال  
نخره أهله ، ويوردها موارد العزِّ الدائم ويُصَفِّى من أكدار الأقدار لها مناهله ،  
والعلامة الشريفة أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

### الوظيفة السادسة

( استيفاء الصُّحبة )

وصاحبها يتحدَّثُ فى كل ما يتحدَّثُ فيه ناظر الصُّحبة المقدم ذكره .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضى «ناصر الدين بن النشائى» وهى :

الحمدُ لله الذى زاد نَخارَ أوليائنا رِفعةَ المقدار ، وأفاد الصُّحبةَ الشريفةَ خيرَ كافٍ  
أستوجب منّا بحملى خدمته جزيل الإيثار ، وجاد بالجوْد وأبتدأ السعود لمن حُسُنَ  
فيه الاختيار وحِد الاختبار ، وأرتاد للمناصب العلية كلَّ "مستوفٍ" ليحاسن له حقوقُ  
وفاءٍ لا تُضاع وقَدَم ولاء أجمل فيه الإيراد والإصدار .

نحمده على نعيمٍ أجزلت الآثار ، ونشكره على مِن أجملت المسار ، ونشهد أن لا إلهَ  
إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مُخلص يترشّف ساح ثوابها الدار فى تلك الدار ،  
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد نار الكُفَّار ،  
وبعثه رحمةً للعالمين فأقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السَّبْعِ  
الطَّباق فطبق نبأ معجزاته الأرض وملاً الأقطار ، صلاةً باقية لا تزال أغصانُ  
أجورها دانيةً القُطوف زاكية الثَّمار ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أجلَّ النِّعم ما علَّت ملائسها ، وأجملُ المِنَّ ما غلَّت نفائسها ، وأكملُ  
المنح ما زكَّت فى رياض الإقبال غرائسها ، وأجزلُ العطايا ما جُلِّت فى حُلل الفخار



عرائسها ، وأولى الأولياء بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتنان عليه ، واجتباؤه لرتب علّ محلاً ، واختياره لمنصب يصبح به جيده من عقود العناية محلي - من شكرت أوصافه ، واشتهر عفافه ، وحسن منّا إسعاده وإسعافه ، وحمدت خلّاه وماثره ، وحاز نحر نعتيه ونحر ذاته فلا غرو أن تعددت مفاخره ، وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن يحني به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمن تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسن .

ولما كان فلان هو الذي تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتجلّى في مطارف برودها ، وأثنت على خصاله ألسنة الأقلام ، وأثبتت جميل خلّاه في صحف أوراقها وصحائف الأيام ، وحاز من الأمانة والزّاهة كلّ ما يشكره على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التي تقرّ النواظر وتسّر الخواطر وتزري بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وفى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزّيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه منّا قرباً لنكون قد أجمّلنا له الابتداء والإعاده .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نحر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدر أصفياؤه بمد يد عطائه نامياً - أن يستقر في كذا .

فليتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلّد عقود الأمتنان ، الذي طالما قلّد جوده الأعناق ، وليباشر ذلك مباشرة يسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ، وليسلك فيها من السداد ، ما يؤكّد حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ، وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتماد ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسناده ، وليدبج المراسيم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوشها بكتابه التي بها الحسن

مبدئى ومُعِيد ، وليَضْبِطُ جميعَ أموالِ الديوانِ المعمُورِ وغِلالِهِ ، وسائرَ أموره وأحواله ،  
 وليُسْتَوِفِ بَقَامَهُ عَلَى مُبَاشَرِيهِ وَعُمَّالِهِ ، وليُحِطْ عِلْمًا بِخَرَجِ بِلَادِهِ وَأَعْمَالِهِ ،  
 وليُسْتَرْفِعِ الحِسَابَ شَامًا وَمَصْرًا ، وليَتَصَفَّحِ الرِّقَاعَ بِالمَالِكِ الشَّرِيفَةِ المحرُوسَةِ لِيَحْوِيَ  
 بِجَمِيعِهَا خُبْرًا ، وليَتَعَيَّنَ جُمْلَهَا وَتَفْصِيلَهَا لِيَكُونَ مُخْرِجَهَا أَدْرَبَ وَبِمُرْدُودِهَا أَذْرَى ،  
 وليُخَصِّرَ مَتَحَصِّلَهَا وَمَصْرُوفَهَا ، وَمَعْجَلَهَا وَمَوْقُوفَهَا ، حَتَّى لَا يَخْرُجَ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ،  
 وَلِتَكُنْ جُمْلَةُ هَذَا الْأَمْرِ مُحَرَّرَةً فِي ذَهْنِهِ لِيَجِيبَ عَنْهَا عِنْدَ السُّؤَالِ بِتَحَقُّقٍ فَهْمِهِ ،  
 وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ خَيْرٌ عِلْمٍ ، حَازِئُهَا أَوْفَى وَأَوْفَرُ تَقْسِيمٍ ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى  
 اللَّهُ تَعَالَى فَلْيَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلِيَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ  
 لَهُ مِنْ لَدُنَّا إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ، وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ أَعْلَاهُ .



وهذه وصية لمستوفي الصلحة أوردتها في "التعريف" وهي :

فهو المهيمن على الأقلام ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه  
 من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصُلْحَةِ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ سَفَرٍ وَمَقَامٍ ، وهو مستوفي  
 الصُّلْحَةِ ، والمستولي بالهِمَمِ عَلَى كُلِّ رُتْبَةٍ ، والمعوّل على تحريره ، والمعمول بتقريره ،  
 والمرجوع في كل الأمور إلى تَقْدِيرِهِ ، به يتحرّر كل كُشف ، ويكف كل كَفٍّ ،  
 وبتزيله وإلا ما يكمل استخدام ولا صرف ، وهو المتصفح عنّا لكل حساب ،  
 والمتطلع لكل ما حضر وغاب ، والمناقش لأقسام الكُتَابِ ، والمحقق الذي إذا قال  
 قال الذي عنده علم من الكتاب ، والمُظْهِرُ لِلْخَبَايَا ، والمُطْلِعُ لِلْخَفَايَا ، والمتفق  
 على صِحَّةِ مَا عِنْدَهُ إِذَا حَصَلَ الْخِلَافُ ، ووصل الأمر فيه إلى التَّلاَفِ ، وليُلْزِمِ  
 الكُتَّابَ بِمَا يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ويحررها بمسْتَقَرِّ إِطْلَاقِهِ وَضَرَائِبِ رُءُوسِ

المال ؛ وعَمَلِ المكلفات وأن يكفُّوا عَمَلَهَا ، وتقدير المساحات وليتَّبِعْ خَلَالَهَا ؛  
وليُزِمَهُمْ بتمييز قِيمِهَا بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل] <sup>(١)</sup> الفُئْدَن في كل بلد  
بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان  
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا يُنَازَع فكلُّ شَيْءٍ يُؤْخَذُ منه بالتسليم ؛ وما ثمَّ ما يُوصى  
به رَبٌّ وظيفه إلا وعنده ينزل علمه ، وفيه يتره فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله  
والأمانة فهما الجُتَّان الواقيتان ، والجُتَّان الباقيتان ؛ وقد عُرف منهما بما يُفاض  
منه عليه أسبغ جَلاباب ، وأسبُل سِتْرِ يَصَان به هو ومن يتخذهم من مُعينين ونُواب ؛  
والله تعالى يبلغه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلبه الذي لا يدع في مال ممالكنا  
الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

### الدرجة الثالثة

( من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية )

ما يُكْتَب في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتتحاً بـ «أما بعد حمد الله»  
أو على قدر المكتوب له في القطع الصغير ، مفتتحاً بـ «رسم بالأمر الشريف»  
إن انحط قدره عن ذلك )

وفيها وظائف :

منها - كتابة الدَّرج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدَّرج الشريف ، كُتِب به للقاضي تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبي شاكر ، وهي :

(١) الزيادة من التعريف ص ١١٥ .

رِسْم ... - لا زالت صدقاته الشريفة تشمل نجباء الأبناء، ومبراتة الجسيمة  
تُجَزِل للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان  
على فرع الأصل الأسمى وترصع تاجه بjoy نخره الأسمى، وسماته الوسيمة، تجل  
شد أزر الوزارة الفخيمة، بأكفأ نجل ثنى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أثنى -  
أن يستقر فلان في كذا وكذا : لأنه ربي في حجر الرياسة، وأجتنى من الروض المجد  
الذى أعلى السعد غراسه، ونشأ من محل السؤدد والفخار، وبزغ من بيت حقت  
له رفعة الأقدار، وبسق غصن فرعه من أصل ثابت، وسمى بدوح عز في مواطن  
المعالى ثابت، وهى ندى قلبي بانتسابه إلى سراة الكتاب فناهيك من كاتب لأبى  
الخلل كاتب، تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تدبيرهم  
المورود، وتحتل من تاجهم بأسمى العقود، وتسمو من نخر وزارتهم ووزارة نخرهم  
بما يملأ الوجود بالجود، وتختال من تصريف أقلامهم وأقلام تصريفهم في روض  
التنفيذ المجود فإن ذكرت ما أثر جدّه قصرت عن إدراكها الجود، وإن شكرت  
مناقب والده - أجله الله - ففجرها الباذخ مشهود، وهو بلسان العام والخاص  
مدح محمود، وإلى معاني خطه تنتهى درجات الصعود والسعود، فلا غرو لهذا  
الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله، وأن يقف منهنجه،  
ويحذو في الكتابة طريقته المبهجة، ويأتى من البراعة بسننها القويم، ويبرز من  
البراعة وشى خطه الرقيم، وأن يحل أجساد المهارق بjoy تاجه النصيد النظيم، وأن  
تحلوا ألفاظه في الإنشاء حين تمر على الأسماع مرور النسيم، [لا] سيما وقد ظهرت  
عليه من مخايل الراسة دلائل، وشُرعت له مناهل الأدب والفضائل، وحاز من  
حُسن النشأة ما سار بشكره المثل، وحصل من الاشتغال على كثر المعرفة وأشتل،  
وغدا جديراً بكل مرتبة سنيه، وكل رفعة هى بأعدادها مبنية .

فليباشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، وللزيادة من كل خير سببا كلما  
أبدى الدهر مساءً وصحى ؛ ولينقل في آتباع مهيع المجد عن والده وجده أبقاهما الله  
تعالى ، وليدأب للتحلى بأخلاقهما الحسنة أقوالاً وأفعالا ؛ وليهيج الطروس بوشى  
قلمه ، ولينمق المكتبات ببلاغة كلمه ؛ وليتخذ الصون شعاره ، والعفاف دثاره ؛  
والأمانة معتمده ، والنزاهة مستنده ؛ وضبط القول مادته ، وحفظ اليد واللسان  
جادته ؛ والوصايا كثيرة وملاكمها التقوى وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية  
والمنطقية ؛ فليجعلها دأبه ، ويرض فى إعلانه لها ربه ؛ والله تعالى يعلى قدره وجده ،  
ويحفظه وأباه وجده .



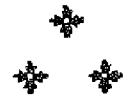
وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رسم ... - لا زال يمنح الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويولى البلغاء ، فضلاً  
يعلى لهم رتبة وشانا ، ويبدى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جمّة وبيانا -  
أن يجدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان تجديداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيذاً  
لمزايا الأمتان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ؛ لما حازه من  
فضيلة تامة ، وبلاغة ملأت ببديع المعانى ومعانى البديع ألفاظه وكلامه ، وكتابة  
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أقلامه ، وأمانة بنت على الصّدق  
والعفاف أقسامه ؛ ورياسة تأتلى مجدها ، فبلغ مرآته ، وأتصل سعدوها ، فلا يخشى  
أنفصامه ، وبعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سآمه . قد أتصف من  
البراعة بجميل الأوصاف ، وظهر استحفاقه فهو بادٍ غير خاف ؛ وتروى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منها الصَّافُ ، وسلَّكَ طُرُقَ الخيرِ فتضاعفَ له الإسعادُ والإسعافُ ،  
وأمتازَ بمزايا التَّجَمُّلِ فى أمورِهِ والعَفَافِ ؛ وأستحقَّ بذلك أن تُجَدِّدَ له فضلَ الألفِ ،  
وتؤكِّدَ له بكرمنا نيلاً أعتاده وعرفه .

فليستَمِرَّ فى ذلكَ استِمْراراً به أسبابُ الخيرِ مؤتلفه ، ووجوهُ الفضائلِ عن صنوفِ  
الكتابةِ غيرِ منصرفه ؛ وليُبَدِّ من البَلاغةِ بيانها البديعَ ، ويُجَمِّلَ منزلَ العلياءِ الرفيعَ ؛  
ويَسَلِّكَ مسلكه فى الأمانه ، ويتَّقِ اللهَ تعالى بملازمةِ المراقبةِ والديانةِ ؛ واللهُ تعالى  
يُعَلِّى مكانه ، ويزيدُ فى آقتناءِ الفضائلِ إمكانه ؛ والأعتادُ على العلامةِ الشريفةِ أعلاه ،  
إن شاء الله تعالى .

قلتُ وربما كُتِبَ التوقيعُ لكاتبِ الدَّرَجِ بزيادةٍ معلومَ ، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن  
يأتىَ بعبارةٍ تجمعُ إلى ما تقدَّم من براعةِ الاستهلالِ ما يليها من موجبِ الاستحقاقِ ،  
وسببِ الزيادةِ وترادفِ الإحسانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة ، كُتِبَ به لابن عبادة ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أفاضَ على الأولياء من خزائن فضله ، وأفاءَ لهم أوفرَ نصيبٍ  
من إحسانه المشكورِ فيه عدلُ قسَمِهِ وقسَمَ عدله ، وأهمى عليهم من سَحْبِ مواهبِهِ  
ما يَقْصُرُ عنه الغمامُ فى وَبَلِهِ وطلِّهِ ، وأسبغَ عليهم من جوده العميم ما يصفو لديهم المَرَحُ  
فى وارِفِ ظلِّهِ ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ نبيه ورسوله أشرفِ رُسُلِهِ ، وخاتم  
مَنْ جاء من الأنبياء من قبله ، والهادى ببِعْثِهِ الشريفةِ إلى طُرُقِ الحقِّ وسُبُلِهِ ؛  
وعلى آله وصحبه الذين تابَعُوهُ فى قوله وفعله ، وبايَعُوهُ على المظاهرةِ فى نُصرةِ الدينِ

الحنيف وأهله ، وجمعوا هممهم على ألتئام كلمة الإيمان وجمع شمله ، وأرهف كل منهم في نصره ماضى عزيمته ونصليه - فإن أولى من رعى له حقوق ذمامه ، ومنح أجزل العطاء الذى تقضى الأقدار بدوامه ، ولوحظ بعين الإقبال ما أسلفه من حسن الطاعة لله ولرسوله وإمامه - من جد فى الخدمة فأضحى الجدد له خادما ، وداوم على المناصحة فغدا سعداء دائما ، وأخذ من كل فضل بزمامه ، ومت بماله على الدولة الشريفة من حرمة وذمامه ، وسلك فى أداء الأمانة السنن القويم ، وجعل على خزائن الأرض بما تلا لسان فضله : ((إنى حفيظ عليم)) ، وتمسك من الإخلاص بأقوى الأسباب ، وجعلت له التقوى محلا يدخل عليه ملائكة القبول من كل باب ، وزين سماء المعالى بكواكب مجده فما تشوف إليها طرف متطاول إلا وأتبعه شهاب .

ولما كان فلان هو الذى غدا حسن مناقبه إلى شكره مُرشدا ، وإلى ذكره بالجميل مُسعدا ، وألهج لسان القلم فى وصفه مُنشدا ، وأختص من هذه المحامد بأوفرها قسما ، وطلع فى أفق هذا الشئ الجميل نجما ، فلذلك رسم ... ..

ومنها - استيفاء الدولة .

وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه الوزير وناظر الدولة ، وضبط الأموال الديوانية ، وكتابة الحسابات ، وكل ما يجرى مجرى ذلك . وقد جرت العادة أن يكون فيها مستوفيان .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذى صان الأموال بالأقلام المحرره ، والدفاتر المُسطره ، والحسابات المصدّره ، والجوامع المسيره ، واليقظ الذى استخرج البواقى المنكسره ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورّه، ومحا الجور وغيره، وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشرة - فإن للدولة الشريفة من الأقاليم ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياجا وحائطا، يصون الأموال أن تكون بأيدي الخائنين نهبي، ويحرز المطلقات بعدا وقربا، وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الكتاب كان فى رأسها لحاما، وإذا خصم المباشرون بالمصروف قيل السائع الصحيح ورد ما كان سقيا وخرج ما لم يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الرأسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف، وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقاليم والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فذلك، إلا وأوضح فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجه بقلمه الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر ... ..

فليباشر هذه الوظيفة بتحريره وتحبيره، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دفاتره، أظهر مآثره، وإذا نسيت الجمل أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضرة، فلا يخرج من عنده شئ بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى كالأمثال سائره، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون الممين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبين، فليثق الله رب العالمين، وليستجلب لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تنعم عليهم بمرتبات وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى يمدّه بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .



قلت : وقد يكتب لوظيفة آستيفاء الدولة مفتتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعَلَم الدين بن ريشة ،  
وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا بَرِحْتُ أَيَّامَهُ الشَّرِيفَةَ تَرْفَعُ لَدَوِي الكِفَاءَةَ مِنْ إِحْسَانِهَا  
عَلَمًا ، وَتُرْجِعُ مَصَالِحَ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،  
وَتُخْتَارُ مَنْ دَابَّ فِي تَكْمِيلِ أَدَوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَّبَ فُلَانٌ عَلَمًا  
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَضَحَتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَجَحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ  
النَّمَاءُ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأُمُومَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرَّى  
أَفْتُتِحَتْ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِاحْتِرَازٍ مِثْلِهِ ، وَالرُّتْبَةَ الَّتِي يَتَعَيَّنُّ عَلَى مُبَاشَرَتِهَا  
إِيصَالُ كُلِّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَدْ أَرْجَعْنَا ضَبْطَهَا وَتَحْرِيرَهَا إِلَيْهِ ، وَاعْتَمَدْنَا فِي تَيْسِيرِ  
أُمُومَالِهَا وَسَدِّ أَحْوَالِهَا عَلَيْهِ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ الْقَصْدِ فِيمَا قَرَّرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَّرْنَاهُ  
بِقَلَمِهِ وَيَدَيْهِ .

فَلْيَبْسُطْ فِي مَصَالِحِ الدِّيَّوَانِ الْمَعْمُورِ وَأُمُومَالِهِ قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا هُوَ عَالِمٌ مِنْ تَبْيِينِ  
حَقَائِقِ أَحْوَالِ وَظِيفَتِهِ وَيُخَاصِّ فِيهِ قَوْلَهُ وَكَلِمَهُ ، وَلْيُصْنِ الْأُمُومَالَ ، وَيَتَفَقَّدَ مَا يَلْزَمُ  
الْعُمَّالَ ، وَيُحِثَّ عَلَى حَمُولِ بَيْتِ الْمَالِ ، وَلْيَسْتَرْفِعِ الْحُسْبَانَاتِ مِنْ جِهَاتِهَا عَلَى الْعَادَةِ ،  
وَلْيَسْتَوْدِعْ دِفَاتِرَهَا وَجَرَائِدَهَا مَنْ يَتَحَقَّقُ تَحَرُّزَهُ وَسَدَادَهُ ، وَلْيَتَّخِذْ مُعِينِيَهُ مِنْ أَرْبَابِ  
الْحِذْقِ وَالِدَّرَايَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَإِبْدَاءٍ وَإِعَادَةٍ ، وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ  
مَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى زِيَادَةِ الْوَصَايَا وَتَكْثِيرِهَا ، وَمِنْ أَلْمَعِيَّتِهِ مَا يُدْرِكُ بِهِ الْفَضْلَ  
فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِهَا ، فَإِنَّهُ قَدْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَشَارَكَ فِي جَلِيلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه أنتدب ، والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب ،  
ويعينه على صالح العمل وأتهاز القرب ، والاعتماد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كمستوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه « أمين الدين » وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم  
فى خدمتها من أضحى معلى شمالا ويمينا ، وتولى الرتب السنية من جعل التحرز لقلمه  
مصاحبا ولكلمه معينا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عرف من رأسه التى  
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ، وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتتقل ،  
وإدراكه الذى يصبون به غوامض المصالح ويعقل ، ولما سلف له من خدمة ملك  
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ماهو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويعليها ،  
وليديم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى  
ما يفيد المناجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ، وليصن الأموال من ضياعها ،  
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ، وليسترفع الحسابات من أربابها ،  
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ، ويتخذ من معينيه من أضحت معرفته  
للدقائق جامع ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزمته التى أضحت لمكانته  
رافعه ، لا سيما ثغر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أعلامه متابعة  
طاعه ، وليلزم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبغى فيه المراجعة ، فإننا قد أقمناه  
لذلك مستوفيا ، ولتصفح أموره الحليلة والحقيرة مستوضا مستقصيا ، ولتتق الله

الذى يبلغه من زيادة منحة الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما يُججح مسعاه وينزّهه عن الزبغ والزلل ، والاعتماد ..... .



وهذه نسخة توقيع فى المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازال يطالع لذوى الكفاية من إحسانه فى سماء الإقبال  
بذرا ، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من ذوى الراسة قدرا ، ويشفع لمن شكرت  
معرفة بفتح القصص فأنشرح له باليمن الجملة صدرا - أن يستقر فلان فى كذا :  
لكفايته التى خطب بسببها إلى مقره ، ودرايته التى استوجب بها أن نطق لسان  
القلم بذكره ، ونزاهته التى أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التى تستدعى الحق  
فى حلوا الأمر ومرة ، وديانته التى هى أصل فى كل أمره ، وصيانته التى يعتمدها  
فى سره وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التى يلوح لها وجه الصواب فيقف  
عند حده وقدره .

فليباشر هذه الوظيفة التى أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفها من معهود يقظته بمن  
الاجتهاد ، وليحقق حسن ظن المباشرين فى رغبتهم فيه فى الإنصاف فى الإرفاق  
والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بجميل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل  
السداد ، وليتبع منهاج الخير فى كل ما يأتى من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط  
هذه الجهة إليه ، وأعتد فى تحريرها عليه ، فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به  
العقبى والمآل ، وليتحرر فى جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسنن  
القويم فإنه المتجر الرابح والمآب الناجح ، وتقوى الله تعالى فهى عمدة كل عبد صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرة مبيّنة تُغْنِي عن إفصاح الشارح ؛ والله تعالى يُلْهِمهُ الطريقَ السَّيِّدَةَ  
وَيُرْشِدُهُ ، وَيُعِينَهُ بِالتَّوْفِيقِ وَيُنْجِدُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - آستيفاء البيوت والحاشية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لَعَلَّ الدين «شاكِر» عوضًا عن تاج الدين  
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية «شعبان بن حسين» وهى :

رَسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته الشريفة تمنح الأَكْفَاءَ من إحسانها  
نِعْمًا ، وتُضَاعِفُ لهم من عَطَائِهَا كَرَمًا ، وَأَيَّامُهُ الشريفة تَعْمُ البيوتَ الكريمة بكافٍ  
قد نَشَرَتْ له الأمانة فى دولته الأشرفية علمًا ، ومَوَاهِبُهُ تقدم للوظائف من أَصْحَى  
شَاكِرًا لله تعالى وتَبَسُّطُ له فى دواوين أعزّ الأنصار قلما - أن يستقرّ المجلس السامى  
القاضى ، فلان الدين فى كذا وكذا : لأمانته الموفوره ، ومعرفته المشهوره ، ومحاسنه  
المذكوره ، وسيرته المشكوره ، وكتابته التى أضحت فى صفحات الحسابات  
مسطوره ، وديانته التى جددت بهجته وسروره ، وخبرته بمنازل البيوت المعموره ،  
وقدم هجرته فى الوظائف التى أوجبت نقلته إلى أجلها ، وصدارته التى رفعتَه إلى  
أرفع محلاتها ، كم له فى دواوين أعزّ الأنصار من أقلام منقذه ، وآراءٍ مُسَدِّده ، ونظير  
أصلح به كل فاسد ، وكبت به كل حاسد ، وضبط لأصول الأموال ، وتنبع للصالح  
فى البكر والآصال .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة التى هو أخبر بمباشرتها ، وأعلم بأحوال البيوت  
الكريمة وعمارتها ، وليظهر فى الحاشية السعيدة ما أثره الحسنه ، ونزاهته التى نطقَت  
بشكرها الألسنه ، وليبد فى مباشرته من كل شىء أحسنه ، وليسلك طرائق الأمانه ،  
وليقف آثار ذوى العفاف والصيانه ، وليلازم مباشرة أعزّ ولى فى المساء والصباح ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مَهْدِ الدول مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرف أميرِ سلاح ،  
واللهُ تعالى يفتحُ له من الخير أبوابَ النَّجاح . والأَعتمادُ على الخط الشريف أعلاه ،  
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومَّا ينخرط في سلكِ تواقعِ أربابِ الوظائف السلطانية وظائفُ  
دواوينِ الأُمراءِ الخاصَّةِ ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطانِ التوقيعُ لبعضِ أربابِ  
وظائفِ دواوينهم كما يُكتبُ في الوظائفِ السلطانية .



وهذه نسخةُ توقيعِ كريمِ بنظرِ دواوينِ بعضِ الأُمراءِ ، وهى :

أما بعد حمدِ الله الذى هدى إلى المِلَّةِ المحمَّدية مَنْ أسرارَ الإيمانِ فى قلبه ونَوَاه ، وَضَمَّ  
إلى الأُمَّةِ [الاسلامية] من أضمرَ الإخلاصَ فأظهره الله فى متقلِّبه ومثواه ، وجمعَ لولى  
الدولةَ ومُخْلِصِها الفرجَ والفرحَ لأنه مَنْ تَوَكَّلَ عليه كَفَاهُ ، والشهادةَ بالوَحْدانية التى  
تُبَلِّغُ قائلَها من رضاه مُنَاه ، وتجعلُ جَنَّتِهِ لمن أسَرَّها جَنَّتَهُ مستقرَّه ومَأْوَاه ، والصلاةَ  
والسلامَ على سيدنا محمدٍ الذى قَصَمَ عِدَاه ، وفَصَمَ عُمرًا مَنْ عاداه من أهلِ الشركِ  
وعَدَاه . وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الذين آهتَدُوا بهُدَاه ، وأَسْتَجَدُّوا جَدَاه ، وَلَبَّوْا نِدَاه ، وَأَمُّوا  
نَدَاه ، صلاةً تُجْزِلُ لمصلِّها ثوابه ، وتُجِلُّ مآبَه ، وتُجِدُّ عُقباه - فإنَّ أَوَّلَى مَنْ رَفَعَ له  
الكرمُ محمَّدًا ، وقَلَّدته النِّعمُ عَقْدًا مُحَلَّى ، وأَعِيدَ إلى رتبةِ الإِصْطِفَاء ، وفُوضَ إليه ديوانُ  
أَعزِّ الأَخْصَاءِ ، وصُرِّفَ قَلَمُهُ فى مَهَامِّه ، وحصلتْ هِمَمُهُ على جميعِ أَقْسَامِهِ ، وَعُدِقتْ  
مُصالحُهُ بتدبيره ، ومناجِحُهُ بتأثيره وتأثيره ، ومتحصِّلَاتُهُ بتمييزه وتثمينه ، وأحوالُهُ  
وأموالُهُ : هذه بحسْنِ تصرفه وهذه بِحَسْنِ تَقْرِيره - مَنْ دَخَلَ فى دينِ الله القَوِيمِ ،  
وَأَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إلى الصِّراطِ المستقيمِ ، وَكَسَاهُ الإسلامُ حِلَّةَ شَرَفِهِ ، وَبَوَّاهُ الإيمانُ

مَبَانِي غُرْفِهِ ، وَنَوَى الْأَسْتِقَامَةَ فِي إِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفِهِ ؛ وَالتَّحَفَ بِجِلْبَابِ الْإِسْلَامِ  
وَأَرْتَدَى ، وَتَلَبَّسَ بِالْإِيمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْأَذَى وَرَدَّ الرَّدَى ، وَغَدَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ  
السَّوِيِّ وَمِنْ أَهْتَدَى ، مَعَ كِفَايَةٍ أُوجِبَتْ لَهُ التَّقَرُّبَ وَالتَّقْدِيمَ ، وَجَدَّدَتْ لَهُ مَلَابِسَ  
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَكِتَابَةً فَاقَ بِهَا أُمَثَالَهُ ، وَعَلَامَةً مِثَالَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَرَامَهُ وَمَنَالَهُ ،  
وَمَعْرِفَةَ بَفَنُونِ الْحِسَابِ ، وَخِبْرَةَ اعْتَرَفَ لَهُ بِهَا الْكُتَّابُ وَالْحُسَّابُ ، وَأُوجِبَتْ لَهُ مِنَ  
الْإِقْبَالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ .

ولما كان مجلس القاضي فلان : هو الذى أخذ القلم فى مدحه ، والكرم فى منحه ؛  
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُقِيلَ عَلَى إِقْبَالِهِ عَلَى الدِّينِ بَوَجهُ الإِقْبَالِ ، وَأَنْ نَبْلِّغَهُ  
فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنَ الْآمَالِ . فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ  
يَرْفَعَ مَنْ كَانَ لِلدَّوْلَةِ وَلِيًّا ، وَيَضَعُ الشَّيْءَ مُحَلَّةً بِتَقْدِيمِ مَنْ أَضْحَى عِرْفَانُهُ جَلِيًّا <sup>(١)</sup> .

فَلْيَبْشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تَبْلِّغُهُ أَمَلًا مِنَ الْإِعْتِلَاءِ ، وَتُنَوِّلُهُ مَرَامًا مِنَ الْإِعْتِنَاءِ ، وَتُؤَمِّنُهُ  
مِنْ طَوَارِقِ الزَّمَنِ وَحَوَادِثِ الْإِعْتِدَاءِ ، عَالِمًا أَنَّ دَوْلَتَنَا الْفُلَانِيَّةَ الْمَنْصُورَةَ تُجَاوِزُ  
عَنِ الْحُسْنَةِ بِأُمَثَالِهَا ، وَأَنَّ أَيَّامَنَا الْفُلَانِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ الْمَشْكُورَةَ تَبْلُغُ أَوْلِيَائَهَا غَايَةَ  
أَمَالِهَا ، وَأَنَّ أَجْرَلَنَا يَرُّهُ ، وَأَجْمَلُنَا ذِكْرَهُ ، وَأَجْرُنَا عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ حَمْدَهُ وَشُكْرَهُ ؛  
فَلْيَعْتَمِدْ فِي مَبَاشَرَتِهِ الْأَمَانَةَ الْمُبَرَّهَ ، وَالنَّزَاهَةَ الَّتِي رَفَعَتْ مَاسَاءَهُ وَوَضَعَتْ مَاسَرَهُ ؛  
وَلْيَشْمَرْ فِي مَصَالِحِ هَذَا الدِّيَوَانِ السَّعِيدِ عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَيَعْتَمِدْ فِي أُمُورِهِ مَا أُلْفَ  
مِنْ سَدَادِهِ ، وَيَتَخَرَّجَ مِنَ السَّعَادَةِ مَا كَانَ قَبْلَ الْقَوْلِ مِنْ سَعَادِهِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ،  
وَيَجْعَلِ التَّقْوَى حَلِيَّةً لِأَوْقَاتِهِ ، وَحُلَّةً عَلَى سَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ ؛ وَلْيَسِرْ بِتَقْوَاهُ سِرًّا خَبْرًا  
وَخَبْرًا ، وَيَذَرْ جُورًا وَجَبْرًا ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

(١) أن يستقر فى ديوان كذا الخ وحذفه اختصارا للكتابة وكثيرا ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يُعْتَنَى به في تَوَاقِيعِ أَرْبابِ الْأَقْلَامِ الْمَفْتَحَةِ ؛ «رُسْم» الدَّعَاءِ الْمَصْدَرُ بِهِ التَّوَاقِيعُ [و] أَشْتَمَلُهُ عَلَى بَرَاةِ الْأَسْتِهْلَالِ .  
وهذه جملةُ أدعيةٍ من ذلك يُنْسَجُ عَلَى مِنْوَالِهَا :

أثير الدين — لازال فلک فضله أثيرا ، وطالعُ سعده منيرا ، وهبوبُ ریح مبراته للخيرات مثيرا .

أمين الدين — لازال يَتَنَغَّى لِلْخِدَمِ الشَّرِيفَةِ خَيْرَ أَمِينٍ ، وَيُصْطَفَى لِلْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ أَنْهَضَ مُعِينٍ ، وَيَجْتَنِي لِأَهَمِّ الْمُهَيَّمَاتِ مَنْ هُوَ غَيْرُ مَتَّهَمٍ فِي الْمَنَاصِحَةِ وَغَيْرُ ظَنِينٍ .  
بدر الدين — لازال يُوَلَّى الْمَنَاصِبَ الدِّينِيَّةَ مَنْ سَلَكَ فِي التَّزَاهَةِ مَسْلَكَ جَمِيلًا ، وَيُوَلَّى الْفَضْلَ الْجَزِيلَ مَنْ أَضْحَى إِشْرَاقَ بَدْرِهِ عَلَى آثَارِ حِظِّهِ دَلِيلًا .

برهان الدين — لَازَلَتْ أَوَامِرُهُ الشَّرِيفَةُ تَرْفَعُ لِلْعُلَمَاءِ شَانًا ، وَتُقِيمُ عَلَى أَسْتَحْقَاقِهِمْ دَلِيلًا وَاضِحًا وَبُرْهَانًا .

تاج الدين — لَازَلَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَرْفَعُ تَاجَ الْفَضَائِلِ عَلَى الرُّءُوسِ ، وَبُرُّهُ الشَّامِلُ يُذَكِّي النُّفُوسَ وَيُزَكِّي الْغُرُوسَ ، وَتَوَارِدُ إِفْضَالُهُ يُوشِي الْمَهَارِقَ وَيَدَبِّجُ الطُّرُوسَ .

تقي الدين — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَقْدِّمُ كُلَّ تَقِيٍّ ، وَتُرَبِّحُ مِيزَانَ مَنْ هُوَ بِالْفَضَائِلِ أَمْلَى مَلِيٍّ ، وَتَرْفَعُ قَدْرَ مَنْ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَحَلِّهِ فِي الرِّيَاسَةِ قِيلَ عَلَيْهِ .

جمال الدين — لازال جمالُ جميله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل إفضالٍ سابقا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل  
جلالا ، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا ، وبره المتتابع تقصر  
عنه خطأ كل بر فينادى : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازال رضى السجايا ، ظاهر المزايا ، مسترسل ديم  
العطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لنائله ، وسؤاله المحقق إجابته  
شرفا لسائله ، وقاصد بابيه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وأجله .

سراج الدين — لازالت عنايته الشريفة تخص أولياءها بجزيل الموابه ،  
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار  
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة  
من يجيد المعاني فلا يضيع لفظا إلا جعل تحته معنى سريّا ، وترضى من فرسان  
البراعة في ميدان البراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليّا ، وتحتج من أهل الإجابة من  
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليّا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفة تضع الشيء في محله ، وترجع  
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناسب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى  
الرياسة شمسا ، ونعمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالية  
تنقل إلى رتب الرياسة من شدت كفه على عدد الأمانى خمسا .



شهاب الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُطالع في أفقها شهابا، وتهمل من جزيل المواهب للأمانى سحابا، وتضع الشئ في محله وتزيد الأمور انتظاما والدعاء استجلابا .

صدر الدين — لا زالت آرائه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوز الجوزاء نظما وفاق النثرة نثرا، وتستفيد به المناصب من الأماثل من تقصر عن مجده الكواكب رفعة وقدرًا، وتستزيد منه المراتب من فاق سحابان وائل وساد الأوائل فأضحى في مجالس العليا صدرا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريف يقدم من يفيد ويحيد، فيكون لكل أمر صلاحا، وكرمه الطويل المديد، يشمل من ذوى الفضائل من فاق «سحابان» وائل فصاحة وفاق «حاتم» الأوائل سماحا، ورأيه الرشيد السديد، يختار من إذا انتضى اليراعة غلب رأيه سيوفا وطال قلمه رماحا .

ضياء الدين — لا زالت آرائه الجميلة، تختار من ذوى الفضائل الجميلة من تردد به المناصب ضياء، ونعمه الجزيلة، تعم كل بارع إذا أدهمت الخطوب كان فوه لها جلاء، وعوارفه المستطيلة، تشمل كل فاضل بذل في الخدمة جهده وتكسوه هبة وبهاء .

علم الدين — لا زال جزيل إحسانه، أوضح من نار على علم، ومزيد أمتنانه، يشمل أرباب السيف والقلم، وسحب بنانه تسح فلا تسح بجزيل الكرم .

علاء الدين — لا زال علاء دولته يصطفى ذوى الفضائل، ويختار من الفصحاء من يفوت الأوان كما أضحى يفوت الأوائل، ويقدم من هو في تدبير اليراعة كعل بن هلال وفي حسن البراعة كسحابان وائل .

(١) لعله « وتستعيد للناسب ... وتستزيد في المراتب الخ » . تأمل .

عِزِّ الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأقالام، من جزيل الإنعام، فتُنيْلهم عِزًّا، وتستعِجِدُّ من كُتَّابها الأعلام، من خُصَّ بجواهر الكلام، فكلُّ حُسن إلى كلامه يُعزى، وتستفيد من نُجباء الأيام، كلُّ بارع كأنَّ كلامه زهر الكِرام، فلو خاطب سحبان لأورثه قُصورا وعجزا .

عِمَاد الدِّينِ — لا زالت آراؤه الشريفة تُنَّخِذ من نُجباء الكُتَّاب، عِمادا، وتختار من ذوى الفضائل فى الخطاب، مَنْ تَجِدُّ لكلامه حُسنا وسَدادا، وتُقدِّم من أهل الفضل فى السؤال والجواب، مَنْ لا تَعْدَم فى كلِّ مقاصده رَشادا .

عَضِد الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إنعامها، لُحْدَامِها، عَضِدا، وتُلَحِّظ بعين إكرامها، وحسن احترامها، مَنْ طال فى الفضل مَدى، وتزِين مطالع أيامها، بِشُموس أعلامها، فلا ترى مثلهم أحدا .

غَرَس الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُثَبِّت فى روض الإحسان، من أرباب البيان، غَرَسا، وتجتنى من كِلام اللسان، أزاهر النُكْت الحِسان، وتزِين بها طرسا، وتُفيض من مَواهب البَنان، ما يشهد لها بجزيل الإِمتنان، فَيَطِيب كلُّ أملٍ نَفْسا .

غِيَاث الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُبْدى لكلِّ أملٍ غِيَاثا، وتُضْفِي ظِلَّها على من استجار بها وأستغاثها، وتُنطق ألسُن أعلامها، بمَواهب إنعامها، فتَبْدُل طَريقَها وتُراثَها .

فَتَح الدِّينِ — لا زالت صدقاته الشريفة تُتَخَيَّر من ذوى الأقالام، مَنْ يفتح أبواب الكلام، فتحا، وتهب جزيل الإنعام، لمن يستحقه من الكُتَّاب الأعلام،

فِينَالُ بِذَلِكَ شَاءَ وَرَبُّهَا ، وَتُقَرَّبُ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ ، مِنْ ذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ ، مَنْ هُنَّ عَلَى الْبُلْغَاءِ قَدْ حَا .

نُفَرُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ آرَائُهُ الشَّرِيفَةُ تُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ ، مِنْ يَزِيدَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نُفَرُهَا ، وَتُمَطَّى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ ، مِنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بِفَرُّهَا .

قُطْبُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْبِرَاعَةِ نُجُومًا ، وَتُشِيرُ بِعِنَايَتِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ فُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ رُسُومًا ، وَتُبِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا ، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَا لَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا نِلَّ فَلَا يَزَالُ بِكُلِّ فَنٍّ عَلِيمًا ، وَتُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قُسًا بِحَدِيثِ بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ ، تُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْعُلِيَاءِ مَنْ فَاقَ الْبُدُورَ كَمَالًا ، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلْغَاءِ جَلَالًا ، وَأَسْمَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةِ ، تَعْمُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَعْجَدُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنَةَ الْأَقْلَامِ ، مِنْ تَرَاهَا مُجْدًا ، وَتُودِعُ بِجِيدِ الْأَيَّامِ ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عَقْدًا ، وَتَشْمَلُ بِأَيَادِيهَا الْإِكْرَامَ ، مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محيي الدين — لازالت أوامره الشريفة تشمل من البلاء من شهر بفضل  
الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يحييها، وغيث جوده الهامى <sup>(١)</sup> يفيض فيض السحاب،  
فيبادر العفاة ويحييها، وعنايته نعم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتهيئها .

موفق الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع كل هلال من أهتدى به  
كان موفقا، وتملك اليراع من يزرى بابل هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا، وتفيض  
لراجيها أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين — لا زال يقرب من أضى لأهل الكلام، بمرهفات  
الأقلام، ناصرا، ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فما برح  
فضله وإفرا، وينتخب من غدا شريعا لعادات الكرام، مضارعا لصفات الكتاب  
الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين — لازالت أوامره الشريفة تطلع في أفق السعادة، من ذوى  
السيادة، نجما، وتعم بجزيل الإفاده، من عرف بالفضل وبالإجاده، وفاق أقرانه  
نثرا ونظما، وتسمح من عنايتها بالإرادته، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له  
من كرمها قسما .

نور الدين — لازالت صدقاته الشريفة تعم بالنوال، من هو في البراعة  
متسع المجال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يحمده في البدء  
والمآل، فتملأ القلوب سرورا، ومبراته تصل أولى الكمال، وتنتخب أخيار  
العمال، فلا برح أنفذ الملوك أمورا .

(١) فى الاصل «الوهم» ويظهر أنه تحريف .

نظام الدين - لازال يتخير مَنْ كان في الناس مجيداً ، وفي البيان مجيداً ،  
فحسن لفظه نظاماً ، ويهب من برّه مزيداً ، لمن كان في الخدمة مريداً ، فلا ينقض  
للتصحيحه ذمّاً ، ويبدل كرمًا مفيداً ، لمن يراه في الفضل مبدئاً ومعيداً ، فحاز فخاراً  
وطاب كلاماً .

هُمام الدين - لازال يرتضى مَنْ هو في فُرسان اليراعة أنهُض هُمام ،  
ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرياسة نهوض أهتام ، وينتضى عضد<sup>(١)</sup> ذهنه  
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لازال يُحلى أجياد المناصب من ذوى البلاغه ، بمن يُحسن  
في الكلام الصياغة ، فينظمه حلياً ، ويُحلى كُرب المراتب من فُرسان اليراعة ، بمن  
راح فضله ولفظه جلياً ، ويؤلى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة ، فاتخذته  
الأقلام ولياً .

(١) لعل الصواب معضد كمنبر : تأمل .

## الضرب الرابع

( من الوظائف التى يُكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخةُ الخَوَاق ،  
وكلُّها يُكتب بها تَواقيعُ )

وهى على طبقات :

## الطبقة الأولى

( ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحا بـ «الحمد لله»  
وهو مَشِيخةُ الشيوخ خاصّة )

وأَعلَمُ أَنَّ مَشِيخةَ الشيوخ كانت فيما تقدّم تُطلَق على مَشِيخة الخانقاه الصّلاحية ،  
«سعيد السعداء» فيكتب فيها بذلك . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن بنى السلطان  
الملك الناصر « محمد بن قلاوون » الخانقاه الناصرية بسرياقوس ، استقرت مَشِيخةُ  
الشيوخ على من يكون شيخاً بها ، والأمر على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخة توقيع مَشِيخة الشيوخ بالخانقاه الصّلاحية « سعيد السعداء »  
بالقاهرة المحروسة باسم الشيخ شمس الدين بن النّخجوانى ، من إنشاء المقرّ الشهابى  
أبن فضل الله العمرى ، وهى :

الحمد لله مُرَقِّ أوليائه ، ومُوقِّ أَصفيائه ، ومُلقِّ كلمة الإخلاص لمن تلقى سرّها  
المُصُون عن أنبيائه .

نحمده على مُصافاة أهل صفائه ، ومُوافاة نِعَمنا لمن تمسك بعهود وفائه ، وتسلّك  
فأصبحت رجالٌ كالجواهر لا تنتظم فى سلكه ولا تُعدّ من أَكفائه ، وطالع للدين شمساً  
يُباهى الشمس بضيائه ، ويباهل البدر التّمام فيتغيّر تارة من نجمه وتارة من حيائه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نَعِدُّهَا ذُخْرًا لِلْقَائِهِ ، ونفرا  
بَاقِيًا ببقائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مَبْلَغُ أَنْبَاءِهِ ، وَمَسَوِّغُ الزُّلْفَى لِأَحِبَّائِهِ ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ وَلَائِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ بِهِ اللَّهُ  
لَمَّا تَفَكَّرَ فِي آلَائِهِ ، صَلَاةً يُؤْمَلُ دَوَامُهَا مِنْ نِعْمَائِهِ ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْهَا سُكَّانُ أَرْضِهِ  
وَسَمَائِهِ ، وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقة ، واستدام به الرجوع  
إلى الحقيقة ، واستقام به يطمئن إلى خالقه لا إلى الخلق ، وحفظ أفتقه بنير تستضيء به  
النيرات ، ونوءٍ نتقسم به الغائم المَطِرَات - طائفة أهل الصَّلاح ، ومن معهم من  
إخوان أهل الصفاء الصُّوفِيَّةِ دَاعِيَ الْفَلَاح ، ومن تَضُمُّهُمْ مِنَ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِمْ إِلَى  
جَنَاح ، وَالصَّادِرِينَ عَنْهُمْ بِجَنَاح ، ومن تُفْتَحُ لَهُ فِيهِمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ، وَتُمنَحُ بِنَفْسِهِمْ  
عَامَةُ الْخَلْقِ مَلَائِسُ النِّعْمَاء ، ومن يُكشَفُ بِهِ جُودُهُمْ جُنُحُ كُلِّ ظَلَام ، وَيُكسَفُ  
بِتَوْجُّهِهِمْ عَارِضَةُ كُلِّ بَذَرٍ تَمَام ، وَيُسْتَشْفَى بِبِرَكَاتِهِمْ مِنْ دَاءِ كُلِّ سَقَام ، وَيُسْتَسْقَى  
بِدُعَائِهِمْ إِذَا قَصَّرَ النَّيْلُ وَقَصَّ جَنَاحَهُ الْغَمَام . وهم أولياء الله وأحِبَّائِهِ ، وبِهِمْ يَتَعَلَّلُ  
كُلُّ لَبِيبٍ هَمَّ سَقَامُهُ وَهُمْ أَطْبَآؤُهُ ، أَنْجَلُهُمُ الْحُبُّ حَتَّى عَادُوا كَالْأَرْوَاح ، وَأَشْغَلُهُمُ  
الْحُبُّ بِصَوْتِ كُلِّ حَمَامٍ شَجَاهُ لَمَّا غَنَى وَبَرَحَ بِهِمْ لَمَّا نَاح ، وَأَطْرَبَهُمْ كُلُّ سَمْعٍ  
فَوَجَدُوا بِكُلِّ شَيْءٍ شَجْنَا ، وَعَذَّبَهُمُ الْهَوَى فَاستَعَذَّبُوا أَنْ لَا يَلَأُمُوا وَسَنَاء ، وَمَثَلُ فَرْطِ  
الْكَلْفِ لَهُمُ الْأَحْبَابُ فَمَا رَأَوْا لَهُمْ حَالًا إِلَّا حَسَنًا ، وَأَثْقَلُ تَكَرُّارُ الذِّكْرِ قُلُوبَهُمْ  
فَمَا عَدُّوا غُرْبَةً غُرْبَةً وَلَا وَطَنًا وَطَنًا ، قَرَّبَتْ الْمَحَبَّةُ لَهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ كُلِّ مُتَبَاعِدٍ ،  
وَأَلَفَتْ أَشْتَاتَهُمْ فَاخْتَلَفَتْ الْأَسْمَاءُ وَالْمَعْنَى وَاحِد .

والخانقاه الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله روح واقفها - هى قُطْبُ نُجومهم السائر، ومرا كُرُ أفلاكهم الدائر، وإليها تُحطُّ رَحَالُ سُفَّارهم، وعليها تُحطُّ رَحَالُ أَسْفَارهم، تَضْطَرِبُ فِرْقُهُمْ فى الْبِلَادِ وإليها مَرَجُّهُمْ، وعليها مَجْتَمَعُهُمْ، وفيها مواضعُ خَلَوَاتِهِمْ، ومطالِعُ جَلَوَاتِهِمْ، ومكانُ صَلَاتِهِمْ، وإمكانُ صَلَاتِهِمْ، ومَشْرِقُ شُمُوسِهِمْ، ومُؤْتَقِ غُرُوسِهِمْ، ومنهاجُ طَرِيقَتِهِمْ، ومِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِمْ، مأوى هذه الطائفة الطائفة فى شَرْقِ الْبِلَادِ وغَرْبِهَا، وبُعْدِهَا وَقُرْبِهَا، وتَحْمِيهَا وعُرْبِهَا، ومن رَفَعَ سُجُوفَهَا أَوْ هُوَ مُحْجُوبٌ بِحُجُبِهَا، والمؤَهَّلَةُ والعَرَابُ، وأهل الْإِغْتِرَابِ، هى فَسِيحُهُمُ الرَّحِيبُ، وَصَفِيحُهُمُ الْقَرِيبُ، ومِثَالُهُمْ إِذَا أَجْتَمَعُوا فى الْمَلَأِ الْأَعْلَى زُمَرًا، وَأَخْتَرُوا الْمَهَامَةَ وما جازوا بَيْدَاءَ وَلَا جَابُوا مُقْفِرًا، وبلغوا الغاية وما أزعج رِكَابَهُمْ حَادٍ فى لَيْلٍ سُرَى، ووصلوا وما فارقوا فُرْشَهُمُ الْمَهْدَةَ إِلَى ما وراءَ الْوَرَى، شَرَطَ كُلَّ خَانَقَاهُ أَنْ لَا تُغْلَقَ فى وَجْهِهِ مِنْ يَنْزِلُ فِيهَا بَابًا، وَلَا تُطِيلَ جِهَاتُهَا الْمُمْنَعَةُ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُعْجَلَ مَقَامَاتُهَا الْمَرْفَعَةُ لَهُ قَبْلَ ..... (١) .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهى مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس، مما كُتِبَ بِذَلِكَ لِلشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ الْأَصْفِهَانِىِّ، مِنْ إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَمْسِ الدِّينِ :

#### الطَّرَّة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخين، النظامي، إسحق ابن الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعيد الدين محمد الأصفهاني

(١) بياض فى الأصل وبه علامة التوقف .



القُرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية  
بسيرياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد  
الشامية والحلبية ، والفتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على  
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كل  
من يتوفى من الصوفية بالخانقاه بسيرياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث  
لا يكون لأمين الحكم ولا لديوان الموارث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور  
الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة للشيخ نظام الدين  
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك  
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه ، على جاري عادته  
في ذلك على ما شرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نعمه التي ألفت للصالحين من عباده نظاما ، وأستأنفت للصالحين  
إلى مراده إحراما ، وصرفت أوامرنا بالعدل والإحسان لمن فوض أموره إلى ربه  
فأنجح له من مزيد التأييد مرادا ومراما ، وعظفت بأوجه إقبالها الحسان على من  
هو متتر عن دنياه ، متوجه إلى أخراه ، يمضي نهاره صياما وليله قياما .

نحمده على أن جعلنا نزعنا للأولياء ذماما ، ونسعى بالنعماء إليهم ابتداء وإتماما ،  
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع للخلاصين في عليين مقاما ،  
وتدفع بأعمال الصديق عن المتوكلين عليه بأسا وأسقاما ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده  
ورسوله الذي جعله للتقين إماما ، وفضله على النبيين إجلالا وإعظاما ، وكله  
بالسمات المكرمات ، والصفات المشرفات ، مما لا يضاهاى ولا يسامى ، صلى الله عليه  
وعلى آله الذين شرفوا إضافة إلى نسبه الشريف وأنضماما ، ورضى الله عن أصحابه

الذين عَرَفُوا الْحَقَّ فَبَذَلُوا فِي إِقَامَتِهِ أَجْتِهَادًا وَأَهْتِمَامًا ، صَلَاةً تُجَمَّلُ أَفْتِتَاحًا وَأَخْتِثَامًا ،  
وَتُجَزَلُ إِرْبَاحًا وَإِنْعَامًا ، وَسَلَمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَشِئْمَنَا الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ ، لِمَنْ لَهُ يُبْمِنُ الْأَعْرَاقُ اتِّصَالٌ وَبُحُسْنُ  
الْأَخْلَاقِ اتِّصَافٌ ، وَمَنْ كَرَمْنَا الْفَضْلُ وَالْإِسْعَافُ ، لِمَنْ لَاخْفَاءَ فِي تَعْيْنِهِ لَتَصْدِيرِ  
التَّكْدِيمِ وَتَكَرِيرِ التَّكْرِيمِ وَلَا خِلَافٌ ، وَمِنْ سَجَايَانَا الْجَمِيلَةِ أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُ مَنْ  
هُوَ فِي الزَّهَادَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِمَامٌ ، لِأَلْسِنَةِ الْأَيَّامِ ، بِجَلَالِهِ الْحُسْنَةِ إِقْرَارٌ وَاعْتِرَافٌ ، وَلِمَزَايَانَا  
جَمِيلِ الْمَحَافِظَةِ ، وَجَلِيلِ الْمَلَاخِظَةِ ، لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ فَلَهُ أَنْتَصَارٌ بِاللَّهِ  
تَعَالَى وَأَنْتِصَافٌ : لِأَنَّهُ الْعَرِيقُ الْأَسْلَافُ ، الرَّفِيقُ بِالضَّعَافِ ، الْحَقِيقُ بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ  
الَّذِي لَهُ بِمَحْرَكَتِهِ الْمُبَارَكَةِ أَكْتِنَافٌ ، الْمُطِيقُ النُّهْوضَ بِأَعْبَاءِ الرِّيَاسَةِ : لِأَنَّ لِقُلُوبِ  
عَلَى مُحَبَّتِهِ أَتْسَلَافٌ ، السَّبُوقُ إِلَى غَايَاتِ الْغَلَوَاتِ الَّتِي تَخُفُّ بِهِ فِي بُلُوغِ آمَادِ  
الْإِسْعَادِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَلْطَافٌ ، وَالصَّدُوقُ النِّيَّةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَمْ وَالِى لِنِعْمَائِهِ الزِّيَادَةَ  
وَالْإِسْتِثْنَانِ .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الشَّيْخِيّ ، الْإِمَامِيّ ، الْكَبِيرِيّ ، الْعَالِمِيّ ، الْعَامِلِيّ ، الْأَوْحَدِيّ ،  
الْقُدُوسِيّ ، الْوَرَعِيّ ، الزَّاهِدِيّ ، النَّاسِكِيّ ، الْخَاشِعِيّ ، السَّالِكِيّ ، الْأَصِيلِيّ ، الْعَرِيقِيّ ،  
الْقَوَامِيّ ، الْعَلَامِيّ ، النَّظَامِيّ : جَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ،  
أَوْحَدُ الْفَضْلَاءِ ، قُدُوةَ الْمَشَائِخِ ، مَرْبِيَّ السَّالِكِينَ ، كَثْرَ الطَّالِبِينَ ، مَوْضِعَ الطَّرِيقَةِ ،  
مَبِينَ الْحَقِيقَةِ ، شَيْخُ شَيْوِخِ الْعَارِفِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
إِسْحَاقُ بْنُ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ فَلَانٍ - أَدَامَ اللَّهُ النِّفْعَ بِبَرَكَاتِهِ - هُوَ الْمَفُوضُ أُمُورِهِ إِلَى  
رَبِّهِ ، الْمُعْرِضُ عَنِ الدُّنْيَا بِبَاطِنِهِ وَقَلْبِهِ ، الْمُتَعَوِّضُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ فَمَا زَالَ  
الْإِثَارُ مِنْ شَأْنِهِ وَدَائِهِ ، إِلَى إِخْوَانِهِ وَصَحْبِهِ ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

حُبِّهِ ، وَيُلْهِمُونَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُبْرُورِ إِلَى أَقْرَبِهِ مِنَ اللَّهِ وَأَحَبِّهِ ، وَيُقُومُونَ الظَّلَامَ مع  
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَحِزْبِهِ ، وَيَسْتَدِيمُونَ الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ  
فَفَرَعُهُمْ لِأَصْلِهِمْ فِي صُنْعِهِمْ مُشَبِّهٌ ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ،  
عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَصَرِّهِ صَابِرٌ عَلَى سَهْلِ الْأَمْرِ وَصَعْبِهِ ، سَائِرٌ بِالْصَّدَقِ فِي شَرْقِ الْوُجُودِ  
وَعَرْبِهِ ، مَثَابِرٌ عَلَى الْحَقِّ فِي عَجْمِ الْخَلْقِ وَعُزْبِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُوصَّلُ الْحُقُوقَ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ، وَيُجْمَلُ  
الْوُثُوقَ بِمَنْ نَتَجَمَّلُ الْمَرَاتِبُ الدِّينِيَّةُ مِنْهُ بِتَرْقِّيَّهَا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ  
الْخَانَقَاهِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ بِسِرِّيَا قَوْسٍ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَ وَاقِفِهَا - وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ  
بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالْحَلِيبِيَّةِ ، وَالْفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُخَصُّ  
بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يُتَوَفَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْخَانَقَاهِ الْمَذْكُورَةِ لِلْمُشَارِ  
إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحَكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ،  
وَتَكُونُ أُمُورُ الْخَانَقَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ،  
وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقُضَاةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ،  
وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ  
مَعْدُوقًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَلْيُفِدَّ مِنَ الْإِصْلَاحِ مَا لَمْ يَزَلْ مُفِيدًا ، وَلْيَعْتَصِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى  
مَوْلَاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى تَثْبِيْتًا وَتَسْدِيدًا ، وَلْيُشْهِدْ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُبَارَكِينَ مَنْ  
[ كَانَ ] عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزُّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسَعَّودُ الْمُبَاشَرُ ، الْحَمْدُ

المُعَاشره، المشهودُ منه اعتمادُ الاجتهادِ فى الدنيا والآخرة؛ المعهودُ منه النفعُ التامُّ ،  
فى فقراء مصر والشام ، فكَم أثر الخير وآثره ، وكَثُر البرُّ وواتره ، ويسر السير الحسن  
الذى لم يبرح لسانُ الإجماع شاكِره .

ونحن نُوصيه عملاً بما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه المبين ،  
بقوله وهو أصدقُ القائلين : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كنا نتحقق  
ما هو عليه من العلم والدين ، والحكم الرصين ، والزهد والورع اللذين نحن منهما على  
بينّة ويقين ، باتّباع شروط الواقفين ، والإمتاع بالعوارف أولياء الله العارفين : فإنه  
ما زال حيثُ حلّ فى جميع الآفاق ، واصلاً للأرزاق ، مواصلاً بالأشواق ، شاملاً  
بالإرفاق ، عاملاً بالحق فى إيصال الحقوق لذوى الاستحقاق . ونأمرهم أن يكون  
لهم على تكريمه اتّفاق ، وفى متابعتِهِ اجتماع واتّساق ؛ فإنه شيخُ الطوائف ، وإمامٌ  
تقتبس منه اللطائف ، وتلتمس منه الهداية فى المواطن والمواقف ؛ والله تعالى يمتّع  
ببركاته الأُمّة ، ويسمع منه فى الخلوات لنا الدعوات التى تكون لأوراده المقبولة  
مفتحةً ومُتمّةً ، ويصله بعنايته التى تقيد الهم وتؤيد الهمّة ، ويجعله حيثُ كان  
للفقراء نعمةً وبينَ الناس رحمةً ، والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

## الضرب الخامس

( من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف  
العادية، وكلها تواقع )

وهي على طبقات :

### الطبقة الأولى

( من يكتب له في قطع النصف بالمجلس العالي ، وهو رئيس الأطباء  
المتحدث عليهم في الإذن في التطب والعلاج والمنع من ذلك  
وما يجري هذا المجرى )

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومُعطي أمانة الأرواح من ترقى  
في حفظها إلى رتبة اجتهداه ، وجاعل علم الأبدان أحد قسَمي العلم المطلق في حالي  
اجتماعه وأنفراده ، وموفق من جعل نُصح خلق الله فيه سببا لسعادة دُنياه وذخيرة  
صالحة ليوم معاده ، ومبلغ من كان [دائبا] في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصحة  
غاية مرامه وأقصى مراده ، ورافع رتبة من دلّ اختياره واختباره على وفور علمه  
ونجح علاجه وإصابة رأيه وسداده .

نحمده على نعمه التي خصت بنعمنا من كُمل في نوعه وفضله وحسن في علمه  
وعمله قوله وفعله ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفته ما إذا جلس في أسمى مناصبها  
قيل : هذا أهله .

(١) في الأصل "ومقلب ... .. يداوم الصحة" الخ تأمل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،  
وتُفَرِّقُ الضمائر،<sup>(١)</sup> باخلاصها من أدوائها، وتُغْدِقُ بِمِنْهَا أنواء التوفيق فتتأرجح  
رياض الإيمان بين روائها وإروائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت  
ملته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،  
وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه  
وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، وللسبليل الإيمان مزاجا،  
وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا، صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى  
يوم القيامة، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسه، ومقصودها  
إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسه، ومدارها الأعم، على معرفة العوارض  
وأسبابها، ومدركها الأتم، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصافها، وحينئذ  
تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها، وتشابه عليها،  
والتباس صوابها بخللها، إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره،  
وحسن فى رتب هذا الفن تصدده، وطابق بين نقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل  
مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه، وتكررت عليه الوقائع  
فعرفها دربة وأحكمها نقلا، ولقب بشرة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس  
قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا، ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم  
فى مصالحها نظره، ويحبل فى منافعها وردة وصدره، ويعتبر أحوال أهلها بمعيار  
فضله، ويلزم الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بد منه بين أرباب هذا الشأن

(١) من أفرق المريض والمحموم برا.

وأهله ، ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويسط رجاء  
المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامي ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى  
بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفضلين فيه  
على أنفراده ، فلو عاصره «الرئيس» لأعتمد عليه فى كليات قانونه ، أو «الراى»  
لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ، قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا  
الفن رموزه وأسطره ، وحل أسرار الغامضه ، وأرتوى من سحب رموزه بأنواء لم  
يشم غير فكره بروقها الوامضه ، وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفرا وحضرا  
ما أقتضى له منية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ،  
وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابة فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة  
فلا يشد منها شيء عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب فضله لامعا ، وسحاب بره هاما -  
أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليباشر هذه الرئاسة ناظرا فى مصالحها ، مطلقا من شهاب فضله ما يزين أفقها  
زينه السماء بمصابيحها ، متفقدأ أحوال مباشريها ، متممحا أحوال المستقل بأعبائها  
والداخل فيها ، سالكا فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما فى أمورها بما  
جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ، مطارحا من قدمت هجرته فيها  
بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقطع  
منه بدون حصوله ، مجيبا فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما ادعاه ، قابلا  
فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يخبر من التدرب

إلا بما رآه ووعاه ، متحرّياً في الشُّبُوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرُّف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ، وليُعْطِ هذه الوظيفة حقّها من تقديم المبرزين في علمها ، وتكريم مَنْ منحه الله درجتى نقايها وفهمها ، وتعليم مَنْ ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وشمها وأسمها ، ومنع من يتطرق من الطُّرقية إلى معالجه وهو عارٍ من ردائها ، وكف يد من يتمجّم على النفوس فيما غمض من أدوائها قبل تحقّق دوائها ، واعتبار التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنّها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التى لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ، وليكن فى ذلك جميعه مجانباً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنما لأمرئى مانوى ، والله تعالى يحقق له الأمل ، ويسدده فى القول والعمل ، بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطّب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، كُتِبَ بها لـ «شهاب الدين الحكيم» فى المحرم سنة تسع وسبعائة ، وهى :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حكّمته ، وقاسم أنواع العلوم بين مَنْ كُلُّ أَسْتَعْدَادِهِمْ لِقَبُولِ مَا أَقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ قَسْمَتِهِ ، وجاعل لباس العافية من نعمه التى هى بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من برّه وأسبغ عليه من نعمته ، والمنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، ومقرّب مانأى من الفضائل على مَنْ أُسْرَى إِلَيْهَا على مطايا عزّمه وسرى لتحصيلها على جياذ همّته ، ومأهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى مَنْ أنفق فى خدمة الطبيعة أيام عُمره فكان بلوغ الغاية فى علمها نتيجة خدمته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمّته ، وخصّه منهم بأعلام كلّ علم وأئمّته ، وجلاً



بِيقِينِ مَلَّتَهُ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ مَارَانٍ عَلَيْهِ مِنَ الشَّكِّ وَغُمَّتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَمَاهُمْ  
 مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ مَا بَجَرَ الْهُدَى لَهُمْ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَأَفَاضَ التَّقَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَارِ  
 عِصْمَتِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ أَنْ يُعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى طَبِيبِهَا الْخَبِيرِ ، وَيُصَانَ جَوْهَرُهَا عَنْ  
 عَرَضِ الْعَرَضِ عَلَى غَيْرِ نَاقِدِهَا الْبَصِيرِ ؛ وَتُحْمَى مَوَارِدُهَا عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يَحْتَنِبُ  
 مَوَاقِعَ التَّكْدِيرِ ، وَتُرْفَعَ كَوَاكِبُهَا عَمَّنْ لَمْ تُدْرِكْ أَفْكَارُهُ دَقَائِقَ الْحَوَادِثِ وَحَقَائِقَ  
 التَّأْثِيرِ - أَمْرٌ صِنَاعَةُ الطَّبِّ الَّتِي مَوْضُوعُهَا الْأَبْدَانُ الْقَائِمَةُ بِالْعِبَادَةِ ، وَالْأَجْسَامُ الْقَائِمَةُ  
 بِمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالزِّيَادَةِ ، وَالنُّفُوسُ الَّتِي مَا عَنْهَا إِنْ حَصَلَ فِيهَا  
 التَّفْرِيطُ بَدَلٌ وَلَا عِوَضٌ ، وَالْأَرْوَاحُ الَّتِي إِنْ عَرَضَ الْفَنَاءُ لْجَوْهَرِهَا فَلَا بَقَاءَ بَعْدَهُ  
 لِلْعَرَضِ ؛ وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي إِنْ خُدِمَتْ عَلَى مَا يُحِبُّ نَهَضَتْ عَلَى مَا يُجِبُّ بِالصَّحَّةِ حَقَّ  
 النُّهُوضِ ، وَالْأَمْرُجَةُ الَّتِي إِنْ نَفَرَتْ لَعَدَمَ التَّائِي فِي سِيَاسَتِهَا أَعْجَزَتْ مَنْ يَرُوضُ .

وَلِذَلِكَ تَفْتَقِرُ عَلَى كَثْرَةِ أَرْبَابِهَا ، وَتَحْتَاجُ مَعَ غَزَاةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَسْبَابِهَا ، وَتُضْطَرُّ  
 وَإِنْ أُنْدَفَعَتِ الضَّرُورَاتُ بِكَثْرَةِ مُتَقِنِيهَا ، وَتُنْتَشَوُفُ وَإِنْ وَجَدَ الْجَمُّ الْغَنِيرُ مِنَ  
 الْمُتَلَبِّسِينَ بِأَدْوَاتِهَا وَالْمُتَبَحِّرِينَ فِيهَا - إِلَى الرَّئِيسِ يُنْعَمُ فِي آعْتِبَارِ أَكْفَائِهَا النَّظَرُ ، وَيَدْفَعُ  
 عَنْ رُتْبَتِهَا بِتَطَرُّقِ غَيْرِ أَهْلِهَا الْغَيْرِ ، وَيَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ مُبَاشِرِيهَا مَا لَا يَكْفِي  
 فِي خُبَرِهَا الْخَبَرُ ، فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَنْ عِلْمٌ مِقْدَارَ عِلْمِهِ ، وَوَثِيقٌ مَعَ الْحِفْظِ بِصِحَّةِ فَهْمِهِ ؛  
 وَرِضَى عَنْ خُبَرِهِ فِي الطَّبِّ وَاجْتِهَادِهِ ، وَاعْتَبَرَ مِنْهُ كُلَّ نَوْعٍ تَحْتَ أَجْنَاسِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ  
 عَلَى حَدِّهِ وَأَنْفِرَادِهِ ، وَجَارَاهُ فِي كُلِّيَّاتِ الْفَنِّ فَرَّاهُ فِي كُلِّ حَلْبَةِ رَاكضٍ ، وَطَارَحَهُ  
 فِي فُصُولِ الْعِلْمِ فَوَجَدَهُ بِجَمَلِ أَعْبَاءٍ مَا تَفَرَّعَ مِنْهَا نَاهِضًا ، وَاخْتَبَرَ دُرْبَتَهُ فَوَجَدَهَا مُوَافِقَةً  
 لِتَحْصِيلِهِ ، مُطَابِقَةً لِمَا حَوَاهُ مِنْ إِبْجَالِ كُلِّ فَنٍّ وَتَفْصِيلِهِ ؛ وَتَتَبَعَ مَوَاقِعَ دِينِهِ فَوَجَدَهَا  
 مَتِينَةً ، وَمَوَاضِعَ أَمَانَتِهِ فَأَلْفَاها مَكِينَةً ، وَأَسْبَابَ شَفَقَتِهِ وَنُصْحِهِ فَعَرَفَ أَنَّهَا عَلَى  
 مَا جَمَعَ مِنَ الْأَدْوَاتِ الْكَامِلَةِ مُعِينَةً ، وَبِتَعَيُّنِ أَنْ يَكُونَ هَذَا «الرَّئِيسُ» فِي أَوَانِهِ ،

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَتَفَرَّعُ فنونُ الحِكم من أفنائه ؛  
عِلاجُه شفاءً حَاضِرًا ، وكلامُه نِجاةٌ من كلِّ خَطَرٍ مُخَاصِرٍ ؛ وتدييره للصِّحَّةِ تَقْوِيمٌ ،  
وتصفُّحه تَتَقَيَّفُ لعلماء الصِّناعة وتَسْلِيمٌ ، ودُرُوسُه ذِخَائِرٌ يُنْفِقُ من جواهر حِكْمِها  
كُلُّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّدرى ، الشَّهابى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،  
والمقصود بما أُشِيرَ إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛  
وأنه جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَقَ ، وأَحْتَوَى على أَصُولِه وفُرُوعِه فاجتمعت  
على أولويَّته الطوائفُ وَاتَّفَقَتْ على تَفْضِيلِه الفِرَقَ ؛ فلو عاصره «أبقراط» لقضى له  
فى شَرْحِ فُصولِه بالتَّقديمه ، ولو أدرك «جالينوس» لأقتدى فى العِلاج بما علَّمه ؛ مع  
مباشرة أَلَفَتْ بين الصِّحَّةِ والنُّفُوسِ ، وملاطفة أشرقت مواقع البرء بها فى الأجساد  
إشراق الشُّمُوسِ ؛ وأَطَّلَعَ يَعْرِفُ به مَبْلَغَ ما عند كلِّ مَتَصَدِّ هذه الصِّناعة من  
العِلمِ ، وتَجَرَّعَ فى الفنون لا يُسَلِّمُ به لأحد دَعْوَى الأهلية إلا بعد حرب جدالٍ هو  
فى الحقيقة عَيْنُ السَّلَمِ - فُرِسِمَ بالأمر العالى أن يستقرَّ فلانٌ فى رِياسَةِ الأطباءِ  
الطِبائِعِيَّةِ بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة مَنْ تقدَّمه فى ذلك ،  
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فليَنظُرْ فى أمر هذه الطائفة نظراً تبرأ به الذمَّة ، ويَحْصُلُ به على رضا الله تعالى  
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشَّفَقَةِ على الأُمَّة ؛ وَيُعْطَى به الصِّناعة حقَّها ،  
ويُطْلَقَ من يد مَنْ تَطَاوَلَ إليها بغير أهلية رِقَّها ؛ وَيَصُونُ النُّفُوسَ من إقدام من  
تقدَّم بغير خبرة كاملةٍ عليها ، ويذُبُّ عن الأرواح تطرُّقَ من يتطرَّق بغير معرفة  
وافرةٍ إليها ؛ فَإِنَّ فارطَ التفريط فى النُّفُوسِ قَلَّ أن يُسْتَدْرَكَ ، ومن لم تجتمع فيه

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يترك ، فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذى لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ، فلا يقبل في التركيبة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكت أعمالهم قبل التركيبة ، وليشفعها بالامتحانات التى تسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ، ولا يمض فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجهالة المحارب له شهادة ، وليأمر من أُلجئ إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف «فوق كل ذي علم عليم» . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجة فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعى ، أوردها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، وليستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض ، يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله تسفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لثام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . ولتجنب الدواء ، ما أمكنه  
المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صح  
بتجريب غيره فى مثل مزاج من أخذ فى علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وقضله ،  
وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم :  
إنها خطر . ثم إذا اضطرر إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه من المنفعة  
وإن قلت ، وتحمل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز فى وصف المقادير  
والكميات والكيفيات ، فى الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر  
عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ،  
ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته فى الفعل . ولعلم أن الانسان هو  
بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم  
الأرواح وهى وديعة الله فى هذه الأجسام ، [ فليحفظها وليتق الله ففى ذلك جميع  
(١) الأقسام ] وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم [ يكون هو الذى ] يأتى به ، أو يكون هو  
الذى يدل عليه ، أو المتولى لمناولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله لله  
المنة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



(٢) وهذه نسخة توقيع برياسة الكمالين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأصل .

الضرب السادس  
(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة  
ويكتب لجميعهم تواقع في قطع الثلث بألقابهم السابقة مفتحة بـ «أما بعد  
حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى  
(رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم ، والقضاء بينهم على مقتضى  
دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف :  
وهم الربانيون ، والقراءون ، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من  
طائفة الربانيين دون غيرهم ، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع برأسه اليهود ، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل ألطاف هذه الدولة القاهرة تصطفني لديمتها من  
اليهود رئيساً فرئيساً ، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى ، وتبهج لهم نفوساً  
كلما قدمت عليهم نفيساً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، والرسول  
الذي أجمع الوصية بالملئ والذمى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى ،

وما نزل وسمى - فإنَّ معدلة هذه الدولة تكتنف المال والنحل بالاحتياط، وتعمهم من إنصافها وإسعادها بأوفر الأنصاء وأوفى الأقساط، وتأمهم من حادث الزمن إذا اشتط ومن صرفه إذا شاط، وتضمهم كما صمت النبوة إلى جناح النبوة الأسباط، لا تزال ترقب الإل والذمة، فى المسلمين وأهل الذمة، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه، وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عاهدوا، وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقدوا، وتحفظ نواميسهم بأخبار محمد موادهم إذا شوفوها وتحسن مرآهم إذا شوهدها: من كل إسرائيل أجمال للتوراة الدراسة، وأحسن لأسفار أنبيائه اقتباسه وأجمال آتماسه، ومن نبهته نباهته للتقدمة فاطم أجهاده يوماً حتى صار وجهه الوجاهة فى قومه ورأس الرأس به فأصبح معدوم النظر، معدوداً منهم بكثير، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير، وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه، وأن تصبح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقته مرتنه، وبأن للجهالة بتثقيفه لشيعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتنه.

ولما كان فلان هو لمحاسن هذا التقريظ بهجه، ولجسد هذا التفويض مهجه، ولمادح هذا الشاء العريض لهجه، ولعين هذا التعيين غمضها، وليد هذه الأيادى بسطها وقبضها، ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضيا، ومن أدنيت قطاف النعماء أيد تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجتنى غصها - أقتضى حسن رأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التمييز، وأن يجازله من التنويه والتنويل أجل ما جيز.

ورسم بالأمر الشريف - لازل يختار فيجمل الاختيار، ويغدو كالغيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تفوض إليه راسة اليهود على

أختلافهم : من الرّبانين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلّأها .  
فليجعل أسبابهم بالتّقوى تقوى ، وغرّوسهم بالتدبير لا تدوى ؛ ومقاصدهم لا يمازجها  
شك ولا شكوى ، وليُنزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المنّ والسلوى ؛  
وليتق الله فيما يذرّه ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاطها تأتيه ؛ وإياه  
والتيه حتى لا يقال : كأنّه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الرّبانين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ، فعاملهم بالرفق  
الأجدى والسرّ الأجدر ، ولكونك منهم لا تملّ معهم على غيرهم فيما به من النفس  
الأمارة تؤمر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلّة ، والاحتراز في أمر  
الأهلّة ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج  
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم باجرام من نار إنكار من في ليلة سبته [بيته]  
عليه لا يسرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم  
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شرّوبه ؛ فمن قدرت على رده بدليل من  
مذهبك في شروق كل بحث وغروبه ، فاردده من منهج تحييده عن ذلك وهروبه ،  
وإلا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولتكن تستكمل فيهم بالبت ،  
وأرفق بهم فإن "المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" ، فإياك أن تكون ذلك  
المنبت ، ومُرهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدّوا أحد منهم في السبّ ؛ وأجعل أمور  
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحرّي والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ؛ ولا تحتر إلا  
الأعيان ، من كل نحران وديان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام حمة نسب ،

وله به حُرْمَةُ نِسَبٍ ، فَأَرَعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَصْحَبَهُ مِنَ الرَّفْقِ أَكْرَمَ رُفْقِهِ . وَالْجُزْيَةُ فَهِيَ  
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لَا دَافِعِيهَا وَصْمَةٌ ، وَلَا أَجْلُهَا وَرَدٌ : « مَنْ آذَى  
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وَهِيَ أَلَمٌ مِنَ السَّيْفِ إِجَارَهُ ، وَهِيَ أَجْرَةُ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ  
كَمَا هِيَ لِاسْتِحْقَاقِ الْمَنْفَعَةِ بِهَا إِجَارَهُ ، فَأَذُوها ، وَبِهَا نَفُوسُكُمْ فَأَذُوها ، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، فَعُدُّوا الطَّافَ اللَّهُ بِهَا وَلَا تَعُدُّوها ، وَدَاوِمٌ عَلَى مَهْ ، زَجْرًا  
لِتَارِكِ عِلَامِهِ ، وَمَنْ قَصِدَ مِنْهَا خَلَاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خَلَاصُهُ ، وَمَنْ رَكَنَ  
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِهْمَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الدَّلَّةِ  
الْصَفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُشَالُ ، فَأَوْسَعَهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزَمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ، وَإِنْ قَامَ بِنَصْرِهِ مِنْهُمْ  
مَعَشَرٌ خَشِنَ فَأَرِهِمْ بَعْدَ الْعَلَامَةِ خُشْكَارًا ، وَخُذْهُمْ بِتَجَنُّبِ الْغِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْعَهْدِ  
مَغَيَّرٌ وَمَغَيَّبٌ ، وَأَكْفُفْ مَنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مَعَيَّرٌ وَمَعْيَبٌ ، وَأَمَا مَنْ هُوَ مُجِيبٌ لَذَلِكَ  
فَهُوَ لِقَصْدِهِ مُجِيبٌ ، وَانْقُلْ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنْ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا تَتَلَوُ :  
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخٍ فِي الْبُوقِ  
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قُلْتُمْ لِلتَّذْكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَذْكَارِ الْعِجْلِ الْحَنِيدِ الَّذِي لَهُ  
خُورٌ ، هَذِهِ وَصَايَا نَا لَكَ وَلَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ : هَذِهِ مَوْهِبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَلُطْفُهَا  
بَكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصَّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنَا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا  
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ مُلَاحَظَةَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ نَاطِرَهُ ،  
وَإِحْسَانَهَا لَا يُغْفَلُ مَصْلَحَةً لِأُولَى الْأَدْيَانِ غَائِبَةً وَلَا حَاضِرَةً ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ الَّذِي جَعَلَ ذِمَّتَهُ وَعَهْدَهُ وَفَيْينَ لِكُلِّ نَسَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَكَافِرَةٍ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِمَا مَدَّ



رِوَاقٍ عَدِلَ هذه الأيام الشريفة على كل مُعَاهِدٍ: من مُتَقَرِّبٍ وَمُتَبَاعِدٍ، وسَاوِيٍّ بَيْنَهُمْ في النظر الذي صَدَقَ الرَّأْيُ وَصَدَّقَ الرَّائِدُ - أَقْتَضَى جَمِيلُهَا أَنْ يُسَمَّ لِكُلِّ مَنْ أَهْلُ الذِّمَّةِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَأَنْ لَا يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْإِجْحَافِ مَا يُرِيبُ، وَأَنْ لَا تَكُونَ أُمُورُهُمْ مُضَاعَةً، وَلَا تَعَبْدَاتُهُمْ مُرَاعَةً، وَلَا شَرَائِعُهُمْ غَيْرَ مَصُونَةٍ، وَلَا أَحْكَامُهُمْ عَارِيَةٌ [عن] حُسْنِ مَعُونَةٍ، وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ كَانُوا أَوْلَى غَيٍّ، وَصَدَقَ النَّصَارَى فِيهِمْ وَصَدَقُوا فِي النَّصَارَى مِنْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ مُبَاشِرٍ يَأْخُذُهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَحْوَطِ، وَالنَّامُوسِ الْأَضْبَطِ، وَالْمَرَاسِمِ الَّتِي عَلَيْهِمْ تَشْرُطُ، وَكَانَ الَّذِي يُخْتَارُ لَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا مِنْ أَكْبَرِ الْكَهَنَةِ وَأَعْلَمِ الْأَحْبَارِ، وَمَنْ عَرَفَ مِنْ دِينِهِمْ مَا لِأَجَلِهِ يُصْطَفَى وَلِمِثْلِهِ يُخْتَارُ، وَمَنْ فِيهِ سِيَاسَةٌ تَحْجُزُهُ عَنِ الْمَضَارِّ، وَتَحْجُبُهُ عَنِ الْإِسْتِنْفَارِ، وَكَانَ فَلَانُ الرَّئِيسِ هُوَ الْمُمْتَرِزُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَى أُنْبَاءِ جَنْسِهِ، وَلَهُ وَازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَرَادِعٌ مِنْ حُسْنِ حَدْسِهِ، وَخِدْمَةٌ فِي مَهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ يَسْتَحِقُّ بِهَا الزِّيَادَةَ فِي أُنْسِهِ، وَهُوَ مِنْ بَيْنِ جَمَاعَتِهِ مَشْهُورٌ بِالْوَجَاهَةِ، مُوصُوفٌ بِالنَّبَاهَةِ، ذَوِعِبْرَانِيَّةٍ حَسَنَةِ التَّعْبِيرِ، وَدِرَاسَةٍ لِكُتُبِ أَهْلِ مِلَّتِهِ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ التَّغْيِيرِ - أَقْتَضَى جَمِيلُ الْأَخْتِصَاصِ الْمُئَنِّفِ، أَنْ يُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرَحَ يَرْقُبُ الْإِلَّ وَالذِّمَّةَ، وَيَرْعَى لِلْعَاهِدِينَ الْحُرْمَةَ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْقَرَّائِينَ وَالسَّامِرَةَ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَةٍ.

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مُسْتَوْعِبًا أُمُورَهُمْ كُلَّهَا، مُسْتَوْدَعًا دِقَّهَا وَجِلَّهَا، مُبَاشِرًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَا جَرَتْ عَادَةُ مِثْلِهِ مِنَ الرُّؤُسَاءِ أَنْ يَبَاشِرَ مِثْلَهَا، غَيْرَ مَفْرُطٍ فِي ضَبْطِ نَامُوسٍ مِنْ نَوَامِيسِ الْمَلَكَةِ، وَلَا مُغْفَلٍ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى مَوَارِدِ الْمَلَكَةِ، وَمَنْ فَعَلَ مَا يَقْضِي بِنَقْضِ عَهْدِهِ، فَعَلِيهِ وَعَلَى مُسْتَحْسِنِهِ لَهُ مِنَ الْمُقَاتَلَةِ مَا يَتَّعِظُ بِهِ كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ

ذَٰلِكَ مِنْ بَعْدِهِ ، بِحَيْثُ لَا يُخْرِجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي كُنِيسَتِهِ وَلَا فِي يَهُودِيَّتِهِ وَلَا فِي مَنْعِ  
جَزِيَّتِهِ عَنْ وَاجِبٍ مَعَهُودٍ ، وَمَنْ خَالَفَ فَوْرَاءَ ذَٰلِكَ مِنَ الْإِدْبِ مَا تَقَشَّرُ مِنْهُ الْجُلُودُ ،  
وَمَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا حَقًّا لِدِمَائِهِمْ ، فَلَا يُحِبُّهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ فَتَجْتَمِعَ لَهُ شِمَاتُهُ  
أَهْلُ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ - وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ تُجِبُّهَا الْمُلَخَّصَةُ ،  
وَفِيهَا مِنْ حِسَابِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مَا تَعْدُو بِهِ أَيَّامَ الْإِمْهَالِ لَهُمْ مُمَحَّصَةٌ ، وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ  
فِي كُلِّ تَصَرُّفٍ مَرْغُوبٍ ، وَتَأْفَفٍ مِنْ مِثْلِهِ مَطْلُوبٍ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردتها في "التعريف" وهى :

وعليه بضم جماعته ، وَلَمْ شَمَلْهُمْ بِاسْتِطَاعَتِهِ ، وَالْحُكْمُ فِيهِمْ عَلَى قَوَاعِدِ مِلَّتِهِ ، وَعَوَائِدِ  
أُمَّتِهِ ، فِي الْحُكْمِ إِذَا وَضَّحَ لَهُ بِأَدِلَّتِهِ ، وَعُقُودِ الْأَنْكَحَةِ وَخَوَاصِّ مَا يَعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ فِيهَا  
عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَمَا يُفْتَقَرُ فِيهَا إِلَى الرِّضَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي الْعَقْدِ وَالطَّلَاقِ ، وَفِي مَنْ  
أَوْجَبَ عِنْدَهُ حُكْمٌ دِينِيٌّ عَلَيْهِ التَّحْرِيمُ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْإِتْقَادُ إِلَى التَّحْكِيمِ ، وَمَا أَدَّعَوْا  
فِيهِ التَّوَاتُرَ مِنَ الْأَخْبَارِ ، وَالتَّظَاثُرَ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ مِمَّا لَمْ يُوجَدَ فِيهِ نَصٌّ وَأُجْمِعَتْ عَلَيْهِ  
الْأَحْبَارُ ، وَالتَّوَجُّهُ لِتِلْقَاءِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى جِهَةِ قِبْلَتِهِمْ ، وَمَكَانِ تَعَبُّدِ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ ،  
وَالْعَمَلُ فِي هَذَا جَمِيعُهُ [ بِمَا شَرَعَهُ مُوسَى الْكَلِيمُ ، وَالْوُقُوفُ مَعَهُ ] <sup>(١)</sup> إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ  
فَعَلُ ذَٰلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، وَإِقَامَةُ حُدُودِ التَّوْرَةِ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ،  
وَلَا تَبْدِيلٍ كَلِمَةٍ بِتَأْوِيلٍ وَلَا تَصْرِيفٍ ، وَاتِّبَاعُ مَا أُعْطُوا عَلَيْهِ الْعَهْدُ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِ  
الْعَقْدُ ، وَأَبَقُوا فِيهِ دِمَاءَهُمْ ، وَوَقَّعُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ ، وَمَا كَانَتْ تَحْكُمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّبَّانِيُّونَ ،  
وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْإِسْلَامِيُّونَ مِنْهُمْ وَيَعْبَرُّ عَنْهُ الْعِبْرَانِيُّونَ ، كُلُّ هَذَا مَعَ إِزَامِهِ لَهُمْ بِمَا يُلْزَمُهُمْ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكْم أمثالهم أهل الذمّة الذين أُقِرّوا في هذه الدّيار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصّغار، ومدّ رؤوسهم بالإذعان لأهل مِلّة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الالتباس بهم في الحِمَام، وحمل شعار الذمّة الذي جعل لهم حليّة العمام، وعقد على رؤوسهم لحفّظهم عقد التّمائم، وليعلم أنّ شعارهم الأصفر، موجب لئلا يراق دمهم الأحمر، وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله ساكنون، وليأخذهم بتجديد صبغه في كلّ حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبيّن، وعدم التّظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يفهم منه المعارضه، أو يدع فيه غير السّيف وهو إذا كلّم شديد العارضه، وله ترتيب طبقات أهل ملّته من الأحرار فمن دونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتّفاقهم، وكذلك له الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة إلى الآن، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمّة ثم ما تأكّد بعده لطول الزّمان، من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريّد، ولا فعل شيء مما لم يُعقد عليه الذمّة، ويُقرّ عليهم سلفهم الأوّل سلف هذه الأُمّة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمّة .



[وصية رئيس السامرة<sup>(١)</sup>]:

ولا يعجز عن لمّ شعث طائفته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذّب لذلتهم، وليصنّ بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمامهم الحمر منها بما طلّ، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذّل، وليعلم أنّهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤ .

أنتقد؛ ولولا هذا لما عُدوا في أهل الكتاب، ولا قُبِعَ منهم إلا بالإسلام أو ضرب الرقاب؛ فليبن على هذا الأساس، [وليُنْبِئ قَوْمَهُ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ وَأَنَّمَا النَّاسُ أَجْناسٌ] <sup>(١)</sup> وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مَسَاس؛ وإذا كان كما يقول: إنه كهرون عليه السلام فليلتزم الجدد، وليقيم من شرط الذمة بما يُقيم به طول المدد؛ وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كلم ولا تأويل؛ وليُحصِ عمله فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته وفي أنكحتهم ومواريتهم وكالتهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه، وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطينه.

### الوظيفةُ الثانيةُ

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصارى المَلَكِيَّةُ، وهم أقدم من اليعاقبة)

وقد تقدّم في الكلام على النحل والملل أنهم أتباع ملكا الذي ظهر قديماً ببلاد الروم، وأن الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم النزر اليسير، ولهم بطرك يخصهم.

وهذه نسخة توقيع لبطرك المَلَكِيَّة :

أما بعد حمد الله مُنَوِّع الإحسان، لأولي الأديان، ومؤصّله ومفرّعه لكل طائفة ولكل إنسان، والصلاة على سيدنا محمد الذي أباد الله به من أباد وأبان من عهده ودمته من أبان - فإن الطائفة المَلَكِيَّة من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم، ولهم أصل الرأسة والنفاسة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤ .

السابقة، ورتبة بملوكهم الرومانية سامية، وما زالت لهم خدم الدول إلى أغراضها متساوية ومتساوية، ولهم جوار مشكور، وتبذل مشهور، وعليهم وصايا من الملوك في كل ورود وصدور، ولهم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعي إكرامهم، وكان لا بد لهم من بطريك يلاحظ أحوالهم أتم الملاحظة، ويستدعي لهم من الدولة أعظم محافظه، ويحفظ نوايس قبيحهم، ويحسن دراسة أناجيلهم، ويعرفهم قواعد معتقداتهم، يأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم، ويجمعهم على سداد، ويفرقهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين طائفته على تعيينه، والمجمع على إظهار استحقاقه وتعيينه، والذي له مزايا لو كان فيه واحدة منها لكفته في التأهيل، ولرفعته إلى منصبه الجليل. فلذلك رسم... لا برح يعطى كل أحد قسطه، ويدخل كل أبوابه ساجدا وقائلا حطه - أن يباشر بطريكة النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطارقة السالفة بهذه الدولة.

فليحط أمورها الجزئية والكلية، والظاهرة والخفية، وليأخذهم بما يلزمهم من قوانين شرعهم، وكل ما يريدون من حسن سمعتهم، وأما الديرة والبيع والكائس التي للملكية فمرجعها إلى صونه، وأمرها مردود إلى جميل إعانتة وعونه، والأساقفة والرهبان فهم سواد عين معتقده، وخلاصة منتقده، فلا يخلهم من تجليل، وحسن تأهيل، وتتقدم إلى من بالشغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر موبق، ولا في مشكل موبق، ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جنسهم، وليكن الحذر لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم، ولا يشاكلون رسولا يرد، ولا قاصدا يفد، وطريق السلامة أولى ماسلك، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك، هذه جملة من الوصية لامعة أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استشار، والله يوفقك في كل مقصد تروم، ويعلمك بهذه الوصايا تقول وتقوم.



وهذه وصية لبَطْرِك المَلَكِيَّة أوردتها في "التعريف" وهى :

وهو كبير أهل ملته ، والحاكم عليهم ما أمتد في مدته ، وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل ، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل ، وشريعته مبنية على المسامحة والاحتمال ، والصبر على الأذى وعدم الإكثار به والاحتفال ، نخذ نفسك في الأول بهذه الآداب ، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب ، فتخلق من الأخلاق بكل جميل ، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل ، وليقدم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل الفصل البت فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام ، وهو قاعدة دينه المسيحى ولم تخالف فيه المحمدية الغراء دين الإسلام ، ولينظف صدور إخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ، وإليه أمر الكنائس والبيع ، وهو رأس جماعته والكل له تبع ، فإياه أن يتخذها له تجارة مربحه ، أو يقتطع بها مال نصراني يقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه ، وكذلك الديارات وكل عمر<sup>(١)</sup> ، والقلالى فيتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر ، وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، وليعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعب فلا يدعها تتخذ متزهات ، فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعود يبق له خروج ، فليحذرهم من عملها مضيدة للآل ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تنزه عن الحلال ، وإياه ثم إياه أن يؤوى إليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "قاموس" .

(١) بعيد أو قريب ، [ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك ، ]  
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك ، وليتجنب البحر  
وإياه من اقترامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين  
ينعق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن  
عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

### الوظيفة الثالثة

#### (بطريقة العاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقل إنهم أتباع  
ديسقرس ، وأنه كان اسمه في الغلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ،  
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة العاقبة ،  
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر  
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبترك النصارى العاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع  
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعاً إلى حكم عدله ، والشهادة له  
بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثله ،  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم  
ونسله ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووسايت في التوراة من غرور الشيطان وخذله ،  
والذي أطفأ الله بركته نار تمروذ عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجله من أجله ،



وَبَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنُ أُمِّهِ وَأَقْرَبُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَلِمُ اللَّهِ بِفَضْلِهِ ؛  
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ فُرُوعِ أَصْلِهِ ، وَأَصْحَابِهِ سَامِعَى قَوْلِهِ ، وَتَابِعَى سُبُلِهِ -  
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ارْتَضَى الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَفْضَى بِالْمُلْكِ إِلَيْنَا وَقَضَى لَنَا فِي الْبَسِيطَةِ  
بَسْطَةً وَتَمَكِينًا ، وَأَمْضَى أَوْامِرَنَا الْمَطَاعَةَ بِشُمُولِ الْيَمَنِ شِمَالًا وَيَمِينًا - لَمْ نَزَلْ نُؤَلِّ  
رِعَايَانَا الْإِحْسَانَ رِعَايَةً وَتَوَطُّيْنَا ، وَنُدِيمَ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَّا ذِمَّةً وَتَأْمِينًا ؛ وَكَانَتْ طَائِفَةٌ  
النَّصَارَى الْيَعَاقِبَةِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لَهُمْ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ عَهْدٌ وَذِمَامٌ ، وَوَصِيَّةٌ سَابِقَةٌ مِنْ  
سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ بَطْرِيْرِكٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ  
فِي الْأَحْكَامِ ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ تَقْضٍ وَإِبْرَامٍ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَضْرَةُ السَّامِيَّةُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ، الْمُبَجَّلُ ، الْمَكْرَمُ ، الْكَافِي ، الْمَعَزَّزُ ،  
الْمَفْخَرُ ، الْقِدِّيسُ ، شَمْسُ الرَّأْسَةِ ، عِمَادُ بَنِي الْمُعْمُودِيَّةِ ، كَثُرَ الطَّائِفَةُ الصَّالِبِيَّةُ ،  
أَخْتِيَارُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَلَانَ : وَفَّقَهُ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي تَجَرَّدَ وَتَرَهَّبَ ، وَأَجْهَدَ رُوحَهُ  
وَأَتَعَبَ ، وَصَامَ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ؛ وَسَاحَ فَأَبْعَدَ ، وَمَنَعَ جَفْنَهُ لَذِيذَ الْمَرْقَدِ ،  
وَنَهَضَ فِي خِدْمَةِ طَائِفَتِهِ وَجَدَّ ، وَخَفَضَ لَهُمُ الْجَنَاحَ وَبَسَطَ الْخَدَّ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ  
الْيَدَ ، وَأَسْتَحَقَّ فِيهِمُ التَّبَجُّيلَ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْإِنْجِيلِ وَتَفَرَّدَ -  
أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُنْقِلَ إِلَيْهِ أَمْرَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ وَنُقَوِّضَ ، وَنُبَدِّلَهُمْ عَنْ  
بَطْرِيْكِهِمُ الْمُتَوَفَّى وَنُعَوِّضَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرِحَتْ مَرَأْسُهُ مُطَاعَهُ ، وَمَرَاحِيْهُ لَا يَزَالُ أَهْلُ  
كِرْمِهَا بِيَعُثُهَا مَرْعِيَّةً غَيْرُ مَرَاعِهِ - <sup>(١)</sup> أَنْ يَقْدَّمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الرَّأْسَةِ الْمَذْكُورَ عَلَى  
الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَيَكُونَ بَطْرِيْرِكًا عَلَيْهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهِ وَقَاعِدَتِهِ  
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَالثُّغُورِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي عَادَتُهُ بِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

(١) أى غير مفزعة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه وروّعه أى أفرعه .



فليسلك سبيل السَّوَا ، ولا يملك نفسه الهوى ، وليتمسك بخوف الله تعالى  
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحواريين أو روى ، فالعليم مراقب ، والعظيم  
 معاقب ، والحكيم أمر أولى العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق  
 غداً يُطالب ، والظلم في كلِّ ملة حرامٌ والعدل واجب ، فليستوفِ الإنصاف بين القوى  
 والضعيف والحاضر والغائب ، وليقصد مصالحهم وليعتمد نصيحتهم ، وليمنض على  
 ما يدينون به بيوعهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ، وليقمع غاويهم ، وليسمع  
 دعاويهم ، وليلزمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ، وليتبع سبيل المعدلة  
 فلا يعدو [ها] عائدةً إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر  
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم  
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرجح إلى منزلة إلا من رشحه إليها ورَّجحه ، متبعاً  
 في ذلك ما بينه له العدل وأوضحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته  
 منشرحه ، مجعاً لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ، وقد أوضحنا له ولهم  
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربّه  
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ، والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة ، كتب به للشيخ المؤمن ، في شهر  
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي نشت لواء دولتنا في الآفاق ، فأوى كلُّ أحد  
 إلى ظلّه ، وبسطت معدنتنا في البلاد على الإطلاق ، فمُنحت الخاص والعام من برنا  
 بوابله وظلّه ، وأصطنعت بدمامها ملوك الملل وحكام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فى عَقْد كُلِّ امرٍ وحَلِّه ، والشهادة بوحدانيته التى تُنَجِّح أَمَلَ المَخْلِص فى قوله وفِعْله ،  
وتفتَح لمن تَمَسَّك بعُرْوَتِها أبوابَ النجاة فيُصْبِح فى أمانٍ فى شأنِهِ كُلِّه ، والصلاة  
والسلام على سيدنا محمدٍ عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً فى مُحْكَمِ الذكر ونَقْلِهِ ،  
المبعوث رحمةً للعالمين زيادةً فى رِفْعَةِ مقامه وتقريراً لفضله ، المنعوت بالرافة والرحمة  
فى مُحْكَمِ كتابِهِ الذى لا يأتِيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ ولم يَسْتَطِعْ أَحَدٌ  
أن يأتى بِسُورَةٍ من مثله ، وعلى آله وصحبه الذين اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ الْمُتْلَى وسَلَكُوا مَنَاجِجَ  
سُبُلِهِ ، وعَقَدُوا الذَّمَّ لأهلِ المِلَلِ وأَسْتَوْصَوْا بِهِمْ خيراً لما عَرَفُوهُ من سَعَةِ حِلْمِهِ  
وبَذَلِهِ - فإنه لما كانت الطائفةُ المَسيحيَّةُ ، والفِرقةُ اليَهوديَّةُ ، ممن أوتتْ تحتَ ظِلِّنا  
الذى عَمَّ الوُجُودُ ، وسَكَنْتْ فى حَرَمِ ذِمَامِنَا الذى سارَ نَبُوءُهُ فى التَّهائمِ والنَّجُودِ ،  
وتمسَّكتْ من طاعتِنَا وأَتَّباعِ أوامِرِنَا بما سَلَفَ لها من المُهدَنِّ والعُهودِ ، وكانتْ  
أحكامُهُم مما يَحْتَاجُ إلى من يَدُورُ عليه أمرُها فى كُلِّ حالٍ ، وتَنْتَظِمُ به مَصالحُ شَمالِها  
ليَبْلُغُوا بها الآمالَ ، ويأمنوا فى مَعْتَقَدِهِم فيها من الإِخْلالِ ، وأنه إذا ماتَ بِطَرِيرِكَ  
لَهُمْ لا بُدَّ أن نَرَسُمَ لَهُم بغيرِهِ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ ما يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِمْ فى نَهْيِهِ وأَمْرِهِ ،  
ويَسْلُكَ بِهِمْ فى أَحْكامِهِم ما يَحِبُّ ، ويعرِّفُ كُلًّا مِنْهُم ما يَأْتى وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ،  
ويَفْصِلُ بَيْنَهُم بِمَقْتَضَى ما يَعْتَقِدُونَهُ فى إِنْجِيلِهِمْ ، وَيُمَشِّي أحوالَهُمْ على مُوجِبِهِ فى تَحْرِيمِهِمْ  
وتَحْلِيلِهِمْ ، ويزجُرُ من نَخرَجَ عن طَريقِهِ ، ليرجعَ إلى ما يَحِبُّ عَلَيْهِ أَسْوَةٌ رَفيقِهِ ،  
ويَقْضَى بَيْنَهُم بما يَعْتَقِدُونَهُ من الأحْكامِ ، وَيُبيِّنُ لَهُم قَواعِدَ دِينِهِمْ فى كُلِّ نَقْضٍ  
وإِبْرَامٍ ، فلَمَّا هَلَكَ الآنَ بِطَرِيرِكِهِمْ مع مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُم أن يَنْتَخبُوا لَهُم من  
يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَدْ سَلَكَ ، وأن يَخْتارُوا لَهُم من يَسُوسُ أُمُورَهُمْ على أَكْلِ الوُجُودِ ،  
لنَرَسُمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ [ فيقوم ] بما يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .<sup>(١)</sup>

(١) - حذف نون الرفع رعاية للسجع .

وكان الحضرة السامية ، القديس ، المبجل ، الجليل ، المكرم ، الموقر ، الكبير ،  
الديان ، الرئيس ، الروحاني ، الفاضل ، الكافي ، المؤتمن ، جرجس بن القس مفضل  
اليعقوبي ، عماد بني المعمودية ، كنز الأئمة المسيحية ، منتخب الملة الصليبية ، ركن  
الطائفة النصرانية ، اختيار الملوك والسلاطين : أطال الله تعالى بهجته ، وأعلى على  
أهل طائفته درجته ، قد حاز من فضائل ملته أسمىها ، وصعد من درجات الترقى  
على أبناء جنسه أعلاها ، فتره نفسه عن مشاركة الناس ، وتكشف بين أهله  
في المأكل واللباس ، وترك الزواج والنكاح ، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء  
والصباح ، وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح ، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن  
بجسده قد ساح ، وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه ، وأطرح الملاء لتعلو درجته  
بين أهله برفعة مكانه ، واشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر ، وعرف من  
أوامرهم ونواهيهم ما تقرب به منهم العين والناظر ، وطلب من الرب الرؤوف الرحيم  
القوة على أعماله ، وسأل الإله أن يزيّن لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله ،  
فوقع اختيارهم عليه ، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه إلى سائر العالم وإصلا ، وجوده لكل  
طائفة بارتداد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤتمن جرجس المشار  
إليه على الطائفة اليعقوبية ، من الملة النصرانية ، بالديار المحروسة والجبهات الجارى  
بها العادة ، ويكون بطريقا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى  
آخر وقت ، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة ، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي  
مما ينظم عليه أمره كله ، فاصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام ، متصرفا على كل  
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام ، مالكا من أمور القسيسين والرهبان  
والشماسة الزمام ، مانعا من يروم أمرا لا يسوغه وضع ولا تقرير ، جاعلا نظره عليه

مستقدا بالتحرّز فى التخيير ؛ زاجراً من يخرج منهم عن اتّباع طريق الشريعة المطهّرة  
التي يصح بها عقد الذمة ، ملزماً بسلوكلها فى كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة ؛  
أمراً من فى الدّيرة من الرّهبان بمعاملة المساكين بهم والنازلين عليهم بمزيد الإحسان  
ومديد الإكرام ، والقيام بالضيافة المشروطة من الشّراب والطّعام .

وليتحدّث فى قسمة مواريلهم إذا ترفعوا إليه ، وليجعل فصل أمور أهل طائفته  
من المهمّات لديه ؛ وليشفيق على الكبير والصغير ، وليتنزه عن قليل متاع الدنيا  
والكثير ، وليزهد فى الجليل قبل الحقير . وفى أطلّاعه على أحكام دينه ما يكفيه  
فى الوصية ، وما يرفعّه بين أبناء جنسه فى الحياة الدنيوية ؛ والاعتماد على الخط  
الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذ نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة ، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكلّ ملّى وذمّى نصيباً ،  
وفوق إلى أهداف الرّعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشوهد مُصيباً ، والصلاة على  
سيدنا محمد الذى أحمده الله له سرى فى صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لمّا كان من سجايا  
الدولة القاهرة النظر فى الجزئيات والكليات من أمور الأمّة ، وتجاوز ذلك إلى رعاية  
[أهل] الذمة ؛ لاسيّما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأمّ إبراهيم ولده عليه السلام ،  
وقبول هديّتهم التى أبقت لهم مزية على ممر الأيام ؛ وكانوا لا بدّ لهم من بطريك يحفظ  
سوامهم ، ويضبط خواصهم وعوامهم ؛ ويجمع شمل رهبانهم ، ويراعى مصالح  
أديانهم ؛ ويحرّر أمور أعيادهم ومواسمهم فى كل كنيس ، ويدعو للدولة القاهرة  
فى كل تقدّيس ؛ ويُجعل [له] الخيرة فى ضبط أمور البيع والدّيرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قُرْبان ، ولا يصلح لذلك إلا من هو بتّول ، وكل خاشع عاملٍ ناصبٍ يستحقُّ بذلك أن هذا الأمر إليه يَتَوَلَّى .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحيته للبطاركية على شعبه ، والتقدمة على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ، وضبط لأفانينه ، وعقل يمنعُه عن التظاهر بما ينافي العهود ، ويلافي الأمر المعهود - أقتضى جميل الاختيار أنه رُسم بالأمر الشريف - لا بريح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن ارتقى قبله إلى هذه المنصبه .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفة ، وليضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأتمه وأكمله ، وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والعهود المألوفة ، وليلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو تعاطي محذور منكور الشرور والشروع ، أو تنكّب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والكنائس فأمرها إليك مردود ، فأجر فيها على المعهود ، وأقم فيها عنك من يحسن النياحه ، ومن يُجِلُّ الإنابة ، ومن يستجلب الدعاء لهذه الدولة القاهرة في كل قدّاس ، ويُعَدِّدُ القُدْس والأُنْفَاس ، وعلى رُهبان الأديرة للمساجد والجوامع وظائف لا تُمنع ولا تؤخر ، ولا تُنْجَحُ أحدا منهم أنه بها يذكر ، وليشترط على أهلها أنهم لا يَأْوُونَ طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خير ولا يحصل الإضرار ، وليأمرهم بحسن الجوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للمسلمين السّفار

وغير السُّفَّار، هذه نُبذة من الوصايا مُقنعة، ولو وسَّع القول لكان ذا سَعَة،  
وفى البَطْرِيك من النَّباهة ما يُأهِمُّهُ الصَّواب، والله يجعل حسنَ الظَّنِّ به لا أَرْتِيَاءَ فيه  
ولا أَرْتِيَابَ، بِمَنَّةٍ وَكْرَمِهِ!، والاعتماد ... ..



وهذه نسخة توقيع لبَطْرِيك اليَعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خصَّ كلَّ مَلَّةٍ مِنَّا بِمَنَّةٍ، وأقامَ بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ منْ  
نِرضاه فَنُحَقِّقُ بِإِحْسَانِنَا ظَنَّهُ، وجعل من شِيَمِنَا الشَّرِيفَةِ الوصيةَ بأهل الكتاب عملاً  
بِالسَّنَةِ . والشهادة بوحدانيته التى نَتَّخِذُ بينها وبين الشَّكِّ والشرك من قُوَّةِ الإِيْمَانِ  
جَنَّةً، ونَدْخِرُ أَجُورَهَا فنَسْمُو بها يومَ العَرَضِ إلى أعلى غُرفِ الجَنَّةِ . والصلاة والسلام  
على نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ أَكْرَمَ من أَرْسَلَهُ إلى الأُمَمِ فَأَنَالَ كَلَّامًا مِنَ الْبَرَايَا يُمَنِّهِ، وأعْظِمَ من بَعَثَهُ فَشَرَعَ  
الدِّينَ الْحَنِيفَ وَسَنَّهُ، وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَمْ تَزَلْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ مَطْمَئِنَّةً -  
فَإِنَّ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الْعَوَارِفَ الْحَسَانَ، وَالشَّيَمَ الْكَرِيمَةَ وَالْعَطَايَا وَالْإِحْسَانَ،  
وَالْفَوَاضِلَ التى لِلْآمالِ [ منها ] مَا يُرَبِّى عَلَيْهَا وَيَزِيدُ، وَالْمَأْثَرَ التى بَجَرَّ بِرَّهَا الْوَافِرُ  
الْمَدِيدُ، وَلِكُلِّ مَلَّةٍ من نِعْمِهَا نَوَالٌ جَزِيلٌ، وَلِكُلِّ فِرْقَةٍ من مَوَاهِبِهَا جَانِبٌ يَقْضَى  
التَّخْوِيلَ وَلَا يَقْضَى بِالتَّحْوِيلِ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ من يُمَنِّهَا وَمِنْهَا مَنَاحُ طَائِفَةٍ بِمَزِيدِ  
التَّنْوِيلِ، وَلِكُلِّ أَنَاسٍ من مَعْدَلَتِهَا نَصِيبٌ يَشْمَلُ الْمَلَلَ، وَعَادَةُ مَعْرُوفٍ تَوَاتَرَتْ مَعَ  
أَنَاسٍ خَالِصَةٍ مِنَ السَّامَةِ وَالْمَلَلِ، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بِنَا شَرُفَتْ، وَمَرْيَّةٌ مَرْوِيَّةٌ مَنَّا أُلْفَتْ،  
وإنَّ من أهل الكتاب لَطَائِفَةً كَثُرَتْ بِأَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ عُدَدًا، وَأَسْتَصَفَتْ من مَنَاهِلِ  
جُودِنَا مَوْرِدًا، وَأَتَنَظَّمَتْ فى سِلْكِ رَعَايَانَا فَأَضْحَى سَبَبُ فَضْلِنَا لَهَا مُؤَكَّدًا، وَكَانَتْ  
الْمِلَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ، وَالْفِرْقَةُ الْيَعْقُوبِيَّةُ، لَا بُدَّ لَهَا بَعْدَ مَوْتِ بَطْرِيكِهَا من إِقَامَةٍ غَيْرِهِ،

وتقديم من يرتضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وحلها، وتحريرها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها؛ وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه؛ حتى لا تجد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تبدي دعاءها وتعيده؛ فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما نحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كنز الطائفة الصليبية، اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن آتفق على شكره أبناء جنسه، وأستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ وأشتهر بمعرفة أحوال فرقته، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والقفار وساح؛ وأضحى نحيص البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التنعّم وأرتاض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الربّ أن يبلغه في أهل ملته ما تمنّاه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لآيامه الشريفه، ويُدعى للأقربين موادّ مواهبه المألوفه - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية يعقوبية، ويكون بطريقا عليها على عادة من تقدّمه، ومستقرّ قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادته بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق الزاهة ما يجب، فاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه



ولا تَحْتَجِبْ ، مَالِكًا أَوْ زَمَةً كُلَّ أُسْقَفٍ وَقَصٍّ وَمِطْرَانٍ ، مَرَبَّحًا بَيْنَ الْقَدِيسِ  
وَالْقَسِيسِ وَالشَّاسِ وَالرُّهْبَانِ ، لَتُصْبِحَ أَحْكَامُ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِهِ مَنُوطَةٌ ، وَمَوَارِيهِمْ  
مَقْسُومَةٌ بِشُرْعَتِهِ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِمْ مَبْسُوطَةٌ ، وَيَقِفَ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ ،  
وَلَا يُخْرِجَ فِي شُرْعَتِهِمْ عَنْ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَلَا يَقْدَمُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِيلِهِ ، وَلِيَأْمُرَ  
كُلَّ قَاصٍ مِنْهُمْ وَدَانٍ ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ بِالذِّيرَةِ وَالصَّوَامِعِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ ، يَرْفَعُ  
الْأَدْعِيَةَ بِدَوَامِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَسَدَتْ لَهَا هَذَا الْإِحْسَانُ ، وَيُلْزِمُ كُلًّا مِنْهُمْ  
بِأَنْ لَا يُحْدِثَ حَدِيثًا ، وَيُكْرِمَ نَزْلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاحِلًا أَوْ لَاحِقًا ، فَإِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَدْرَبُ بِمَا تَنْطَوِي شُرُوطُهَا عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبَهْجَةَ [لَدَيْهِ]  
مُقِيمَةً [وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِ مُسْتَدِيمَةً] ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُوجِبِهِ وَبِمُقْتَضَاهُ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

ويُقال في وصية بطرك اليعاقبة مثل ما في وصية بطرك المملوكية ، إلا فيما يُنبه عليه .  
ويسقط منه قولنا : « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقٌ إِلَى الْبَابِ » إِذْ  
كَانَ لَا يَدِينُ بِطَاعَةِ الْبَابِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَمْلُوكَانِيَّينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسُ الْيَعَاقِبَةِ نَظِيرُهُ  
لِلْمَمْلُوكَانِيَّينَ ، وَيُقَالُ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ قَسِيمُ  
الْبَابِ وَأَنْتَ سَوَاءٌ فِي الْأَتْبَاعِ ، وَتَسَاوِيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ مِصْرَاعٌ عَلَى مِصْرَاعٍ » .  
ويسقط منه قولنا : « وَلِيَتَجَنَّبَ الْبَحْرَ وَإِيَّاهُ مِنْ اقْتِحَامِهِ فَإِنَّهُ يَغْرَقُ » وَثَانِيَةً هَذِهِ  
الْكَلِمَةُ إِذَا كَانَ مُلْكُ الْيَعَاقِبَةِ مُغَائِلًا [ فِي الْجَنُوبِ ] <sup>(١)</sup> وَلَا بَحْرًا ، وَيُبَدَّلُ بِقَوْلِنَا :  
« وَلِيَتَجَنَّبَ مَا لَعَلَّهُ يَنْوُبُ ، وَلِيَتَوَقَّ مَا يَأْتِيهِ سِرًّا مِنْ تَلْقَاءِ الْحَبْشَةِ حَتَّى إِذَا قَدَرَ فَلَا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .



يَشْتَمُّ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ  
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ الدَّلِيلِ مُظْلِمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى  
كَمَا تَقَدَّمَ ، وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## النوع الثاني

( ما هو خارجٌ عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية  
مما يُكْتَبُ لأربابها . وهي ثلاث جهات )

### الجهة الأولى

( ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف )

### الصنف الأول

( وظائف أرباب السُّيُوف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة )

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً ،  
إلى أن طرّقها الفرّنج في سنة سبع وستين وسبع مائة ، فاستقرّت من حينئذ نيابةً ،  
يُكْتَبُ لنائبها تقليد في قطع الثلثين : « الجَنَابَ العَالِي » مع الدُّعَاءِ بِمُضَاعَفَةِ النِّعْمَةِ .

وهذه نسخة تقليد نيابة ثغر الإسكندرية :

الحمد لله على نعم باسمه الثَّغَرِ ، مُسْفِرَةِ الْفَجْرِ ، رَافِعَةِ الْقَدَرِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَشْرَحُ الصَّدْرَ ، وَيَطْلُعُ طُلُوعَ الْبَدْرِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا ، وَتُخَالِفُ مِنْ يُخَالِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجاهدًا، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكايدًا،  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمرًا، وندبوا  
لحماية الدين ... .. كريمة وسداد ثغر .<sup>(١)</sup>

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حُمد، وعلى مصالحها اعتمد؛ وكان  
ثغر الإسكندرية المحروس هو المقتر عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياطة  
بأتم المزايا؛ والذي كم شفت شفاهه من سقم عند ارتشاف، والذي المشاغر به  
والمرايط كم له بالحسنات من أثلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له  
إلا كل كامل الأوصاف، كافٍ بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم  
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائن،  
ومن له حزم يسد ثغر المعايب دون كل ملاحظ ومعين؛ وله سياسة تحفظ بمثلها  
الثغور، وتضمن الأمور، وله بشاشة تستجلب النفور، وتوفق ما بين الألسنة  
من أولى الود والصدور؛ وله حياطة بينا يقال: هذا جانبه دمث إذ يقال: هذا  
جانبه صعب متنع، وبينما يقال ليقضته للمصلحة: هذا سحاب يتجهم<sup>(٢)</sup> إذ يقال هذا  
سيل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات؛  
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذيل هذا الفخار - أقضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا ليوم الخ .

(٢) في الأصل « كتفت » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشریف أن تُفَوِّضَ إليه نيابة السلطنة الشريفة بشَّغَر الإسكندرية المحروس ،  
تفويضا يُمِضِي في مصالحه لسانه وقلمه ، وَيُصَرِّف بين الأوامر والنواهي إشاراته  
وكلمه ، وَيَزِين مواكبَه بطلعته ، وَيَزِيد مهابة ببعده صيته وأشتهار شُمتِه .

فليباشر هذه الوظيفة مجَّلا مواكبها ، مكَّملا مراتبها ، موثَّلا بقواعد الأمن أرجاءها<sup>(١)</sup>  
وجوانبها ، ناشرا لواء العدل على عوالمها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيَّتها على يد  
ظالمها ، مُعلِّيا منار الشرع الشريف بمعاصدة حُكَّامه والانتقياد إلى أحكامه ، والوقوف  
في كل أمر مع نقضه وإبرامه ، وليَحْرُس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليَصُن عوارضه  
وما فيها ومن فيها ، وليَكْلَأه برا وبحرا ، وليُرْخ عليه من ذبَّه سِثرا فِسترا ، وليُنْجِج  
لِسافِرتِه طلبا ، وليبَلِّغهم من العدل والإحسان أربا ، ويَجْمَل معاملته من وجد منهم<sup>(٢)</sup>  
في سفره نصبا ، وآتخذ سبيله في البحر عَجبا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان  
العمارة الذي من شاهده في هذا الثغر عِلْم ما وراء ذلك ، وأحسِن إليهم وأرأف بهم ،  
وبلِّغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ، وأمور الخمس والديوان فلها قواعد  
مستقره ، وقوانين مستتره ، فاسألِك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لائحا ،  
وغير ذلك فلا يكادُ على فهمك يخفى ، من تقوى الله التي بها تُكْف عَيْن المَضَارِّ  
وتُكْفَى ، والله تعالى يُلْهِمك صوابا ، ولا يجعل بين حجَّاك وبين المصالح حجَّابا ،  
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا ممكنا . من وثل الشيء أصله ومكنه .

(٢) (لسافرة) هم المسافرون .

## الصنف الثانى

( من الوظائف التى يكتب بها بشعر الإسكندرية - الوظائف الدينية ،  
وكلها تواقع ، وفيها مرتبتان )

المرتبة الأولى<sup>(١)</sup>

( ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء ، وفيها وظائف )

## الوظيفة الأولى

( القضاء )

وهو الآن مختص بالمالكية ، وقاضيا يتحدث فى نفس المدينة وظاهرها ،  
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء نغر الإسكندرية لمالكى ، كتب به للشيخ «وجيه الدين  
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من نوه العلم بذكره ، ونور التقي مواقع فكره ، ونبه الورع على  
رفعة قدره ، وأشرق به منصب الحكم العزيز إشراق الأفق بطلوع بدره ، وأضاءت  
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بغرة فجره ، وقضى له دوام  
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسمى الاجتهاد مقتضياً لأجره ،  
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له  
مجلس صدره ، وزخر من خاطره بحر العلم فارتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دهره ،

(١) لم يذكر الثانية فيما يأتى .

وأسفر وجه الدين بنور علمه وعمله : فقام هذا مقام السرور في أسارىه وناب هذا  
مناب الشنب في ثغره .

نحمده حمداً يزيد قدر النعم تنويهاً ، ويسوغ في المحامد تعظيماً لمسدى المنّة وتنزيهاً ،  
وينهض بشكر التوفيق في اختصاص منصب الحكم بمن كان عند الله وجيهاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتّر ثغور الإسلام بإدامتها ،  
وتبني قواعد الإيمان على إقامتها ، وتسيم بوارق النصر على جاحديها من أشياء  
غمائمها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت الآفاق بملّته ، ودارت أداة  
التشبيه بين أنبياء بنى إسرائيل وعلماء أمته ، وضاهى شرعه شمس الظهيرة في وضوح  
أحكامه وظهور أدلّته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،  
وجاهدوا أعداء الله فما ضعفوا لذلك ولا ألموا ، وقضوا بالحق بين أمته فلا المقضى  
لهم أثموا ولا المقضى عليهم ظلموا ، صلاة لا تزال لها الأرض مسجداً ، ولا يبرح  
ذكرها متهما في الآفاق ومنجداً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من قلّد الحكم وإن نأى به الورع عن توقّعه ، وخطب للقضاء  
وإن أعرض به الزهد عن طلابه وتبعه ، ودعى إليه إذ الإجابة عليه متعيّنه ،  
ووضعت مقاليد الحكم الاستحقاق [ في يديه ] إذ أولويّته البيّنة لا تحتاج إلى بيّنة -  
من عقدت على تعينه لهذا المنصب الجليل الحناصر ، ودعت إلى استدعائه  
إليه فضائله الثابتة القواعد وزهادته الزاكية الأواصر ، ودلت عليه علومه دلالة  
الأضواء ، على لوامع الشهب ، ونهت عليه فنونه تنبيه الأنواء ، على مواقع السحب ،  
وشهد بورعه المتين ، تفقّهه وأعتزّاله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرة الدين ، قوة جداله  
الذي هو جلاد مثله ونزاله ، وتجرّ في أنواع العلوم حتى جاور البحر بمثله ولكنه

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلى بعبادة الله ثمرة ذلك الاشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يشق فى ذلك المضمار غبارهُ ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فنهاره بالانقطاع إليه ليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطلوعه فى أفقها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطلوع شمسه ، وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، وأقتصرت البلاغة على السير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يحصر معذور فى الاقتصاد والإقتصار ، وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجيب ، وطالب لعموم مصالح الإسلام التى ما يذبح لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثله أو يغيب ، وكان ثغر الإسكندرية المحروس من المعاقل التى يفتّر عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان الدين التى يغص بأبطالها بحرّها ، وهى مأوى<sup>(١)</sup> صلحاء الجهاد الذين سبهم ليلهم أسبق إلى العدا من سبهمهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم الشهداء مداد أقلامهم ، وهى داره التى تزهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يؤمّ ليلة منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نخص منصب حكمها بعالم أفقها المنير ، وزاهد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأنقلب إليه خاسئاً وهو حسير ، أن<sup>(٢)</sup> نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بثغر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر المحروس به (؟) إلى من انعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه وكمال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صلحاء المتعبدين الذين الخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وحرر .

فليأشر هذا المنصب الذى مَلَكَ أمره العلم والتقى ، ونظام حكمه العدل والورع وهما أكل ما به يرتقى ، وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمه ، وأحكام إمامه التى هى بمصالح الدين والدنيا محكمه ، وليقضى بأقوال إمام دار الهجرة التى منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنهما أخذت ذخائر العلم التى تزكو على كثرة الإتفاق ، وبها حمى الأحكام الدينية موطأ الأكف ، وفيها استقام عمود الملة ممدود الطرف على سائر الأطراف ، فليل من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتقتضيه قواعد ولايته التى أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين فى إنصافه وإنصاته ، واجتناب الحكم فى الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقى نقض الأحكام التى نظمها عدم مخالفة النص والإجماع فى سلكه ، فإنه مكتفٍ بالإجمال عن تفصيلها ، مكتفٍ عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ، إذ هو أدرى بأوضاعها شرعاً وعرفاً ، وأدرب بما قد يشد منها عن المعية أو يخفى ، وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهى من خصائص نفسه ، وفواتح ما أبدأ الورع بإتقان درسه ، والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلي علمه ، بمنه وكرمه ! والاعتماد ... .. إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاض شافعى .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتبت به للقاضى «علم الدين الإخنائى» الشافعى ،

فى ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل ثَغْرٍ عَلَمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوَارِ كُلِّ بَحْرٍ ما يَضَاهِيهِ  
كَرَمًا ؛ وجَعَلَ من حُكَّامِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ من يُعَرِّفُ بنسبه الْإِنْسَانِيَّ بِلِ السَّنَائِي أَنَّهُ  
يُخَوِّ من الظُّلْمِ ظُلْمًا .

نُحَمِّدُهُ عَلَى أَن زَادَنَا نِعَمًا ، وَوَفَّرَ لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِنَاقِسَمَا ، وَأَغْلَى قِيَمًا ، [فَأَضَحَتْ]  
تُسَافِسُ الدَّرَ الثَّمِينَ قِيَمًا ؛ ونَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُجَرِّدُ  
لِلْإِقَامَتِهَا سَيْفًا وَقَلَمًا ، ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِى جَعَلَ اللَّهُ لَهُ شَرِيعَةً مَازِيَّةً<sup>(١)</sup>  
وَدِينًا قِيَمًا ، وَنَصَّبَ مِنْ أُمَّةٍ أَتْبَاعَهُ كُلَّ عِلْمٍ يَهْدِى أُمَّمًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
صَلَاةً بَاقِيَةً مَا بَقِيَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى الثُّغُورِ بَأَن لا يَزَالَ بِهِ عِلْمٌ مَرْفُوعٌ ، وَعِلْمٌ مَصُونٌ حِجَابُهُ الْمُنُوعُ ،  
وَعَمَلٌ يَمْشِى بِهِ أُمَّةُ الْأُمَّةِ عَلَى طَرِيقِهِ الْمَشْرُوعِ ، ثَغْرُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ - حَمَاهَا اللَّهُ  
تَعَالَى - فَإِنَّهَا مِنْ دَارِ الْمَلِكِ فى أَعَزِّ مَقَامٍ ، وَمِنْ مُجَاوِرَةِ الْبَحْرِ فى مَوْطِنِ جِهَادٍ تَخْفِقُ  
بِهِ الْأَعْلَامُ ؛ وَغَالِبٌ مِنْ فِيهَا إِمَامٌ فَقِيهٌ يَتَمَسَّكُ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فى عُلوِّ عِلْمِهِ ،  
أَوْ رَبٌّ مَالٍ لَهُ وَقُوفٌ بِمَجْلِسِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ يَنْتَصِفُ مِنْ خِصَامِ خُصُومِهِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ  
وُظِيفَةُ الْقَضَاءِ بِهَا أَهْلَةُ الصَّدُورِ ، كَامِلَةُ الْبُدُورِ ، مَتَهَلِّلَةٌ بِمَا لا يَفُوتُ الشَّنْبُ بِكَارِقِ  
الْجَزَعِ إِذَا حَكَى إِيْمَاضُ الثُّغُورِ ؛ وَكَانَ لَهَا مَدَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَنَحْنُ نَفَكِّرُ فِيمَنْ يَكُونُ  
سَدَادًا لثَغْرِهَا ، وَكَافِيًا فِيمَا يُيَسِّرُ فى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَمْرِهَا ؛ وَكَافِلًا مِنْ الْحَقِّ الَّذِى  
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ بِمَا يَبْقَى النَفُوسُ ، وَقَائِمًا فى مَدَارِسِهَا بِمَا يَزِيدُ مَعَالِمَهَا إِشَادَةً فى الدُّرُوسِ ؛  
حَتَّى أَجْمَعَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ عَلَى مَنْ يُحَسِّنُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، وَتُحَسِّمُ بِهِ دَوَاعِى النَّزَاعِ ،  
وَيَحْسُدُ عِلْمَهُ الشَّمْسُ لِمَا عَلا عَنْهَا مِنْ كُرَّةِ الْإِرْتِفَاعِ ؛ وَمَنْ يَتَضَوَّعُ بِنَشْرِ الْعَدْلِ



في يُمنى كفه القلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصده هذا البابُ  
والعلم ؛ وكان المجلس السامى القضاء العلمى الإنسانى الشافعى ، أدام الله علوه هو  
العلم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فاقتضت  
مراستنا المطاعة أن تُناط به من الأحكام الشرعية القضايا ، وأن يسم هذا الثغر  
بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى :  
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -  
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه  
يستنبط عنه فى تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه  
ومعرفته ، ولينتصب فى مجلس الحكم العزيز لمن ينتصف ، وليعمل بما يرضينا من  
مراضى الله تعالى فإن للعيون أن تنظر وللألسنة أن تصف ؛ لينظر فى أمر الشهود  
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل  
الظن يقينا واليقين ظنا ، لينظر فى أمور الأيتام ويتصرف فى أموالهم بالحسنى ؛  
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، وليعول فى العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ  
على إلحاق فى نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه يتهى مفترقه ومجتمعه  
وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سيرى كل  
ما يعملهُ عند الله قريبا ، وتقوى الله هى التى تتخذ معه عليها عهدا مسئولا ، ورجاء  
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنبيائه مقبولا ، ونقله منها على كل مخالف سيفا  
مسئولا ، ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه فى حكمه ، ويعينه على كل ما يُملى من الوصايا  
بما هو ملى به من عمله وعلمه ، والخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد استُحدث بالإسكندرية قاضٍ حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يُولى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدّث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبِهِ خاصّة ، وأمرُ مُودّع الأيتام ونظرُ الأوقاف ، وغير ذلك من متعلّقات قضاء القضاة مختصّ بالمالكى ، ثم صارت بعد ذلك تارة يُولى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغّر منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثُلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

### الوظيفة الثانية

( الحِسبة بثغر الإسكندرية )

ومحتسبها يُمضى تحدّثه فيما يختص به قاضيهما ، وليس له تُواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحِسبة بثغر الإسكندرية .

الحمدُ لله الذى جعل المناصبَ فى أياَمنا الزاهرةِ محفوظةً فى أكفائها ، مضمونةً لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقةً فى مآلها إلى مَنْ زانها بمعرفته الحسنة بحسن ... (١) ... بمن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقرّبها وأحقّ باصطِفائها .

أحمدُه على نِعَمِهِ التى لم تُخَيّب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضَيّع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إنَّ الله لا يُضَيّع أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً هى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تعبّد به

(١) بياض بالأصل . ولعله "بمعرفة الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ" .

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرتب الحسان ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أحل الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعده محافظتهم عليها في أيامه ، صلاة يتوقد سراجها ، ويتأكد بها انتساق السنة وانتساجها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من رجع فيه حق منصبه إلى نصابه ، ورد به واجب رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ، وتقاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت نزاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستعاض به برنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدر به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومهم الطاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكملت العفة معرفته وإنصافه ، وتولت الديانة نظره فيما عدى [به] من مصالح الرعايا خصوصا وعموما ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأقوات بأن جعل لكل منها في الجودة حدا معلوما ، وبأشهر ما فوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حيلة أغر الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تنكر الإضاءة للسراج ، وتشوّفت إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معاج ، فسلك من السير أرضاها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يعرف كلا منهم كيف يكون اكتساء البرية في اكتسابه - ريم أن يستقر ... .. (١)

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصارا في الكتابة .

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فأصابت ، وقاعدته التي دعت له  
عواطف نعمنا فأجابت ، وأنزِد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويُناقش حتى  
يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ، ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر  
صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يُوافقه على ذلك ويُوَاطيه ، ويثمر أموال  
الأحباس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ، وإمضاء مصارفها  
على شروط واقفيها إن علمت ومزية (؟) ما قدم من شكره والثناء عليه ، وملاك  
ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما قدم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه  
من أحسن حلّ معرفته وإنصافه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرنج الواردين إلى الإسكندرية ،  
وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنفق عليهم بمقادير معلومة  
من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر  
«فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» إمام المقام الشريف  
السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من  
فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف بأكرم وإبر وأبر صادر ، وبؤاه من فضلنا المُنيف  
أفضل ميوياً : فتارة تأتم به الملوك وتارة يخطب الكافة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الْوَلَايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَنَقْتَفِيهِ ، وَآثَرْنَا مِنْ أَثَرَةِ  
الْأَبُوَةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الْإِجْتِبَاءِ وَالْوَلَدِ سِرُّ أَبِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَذَلَّ طُغَاةَ الْكُفْرِ بِقَمْعِ آثَانِ كِبَرَائِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ  
يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيَاءِهِمْ فَيُفَرِّقُ فِي ضُعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَائِهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ الَّذِي نَدَّبَ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعَايَةِ الْمُوَدَّةِ لِلْآبَاءِ  
بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَبْرَارٍ يَرْجُلُ أَهْلُ وَدِّ أَبِيهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ عُدِّقَتْ بِهِمْ مَهَمَّاتٌ ، فَقَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوُكِّلَتْ إِلَيْهِمْ جَلَائِلُ الْوَلَايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا  
بِحِمْلِ التَّأْيِيدِ قَصَبَ سَبْقِهَا ، صَلَاةً يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حُكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ  
الزَّمَانِ رَسْمُهَا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فإن من كَرِّمَ سَجَايَانَا الَّتِي جُعِلْنَا عَلَيْهَا ، وَشَرِيفَ شَيْمَانَا الَّتِي يَجْذِبُنَا طَيْبُ  
الْعُنْصُرِ إِلَيْهَا ، أَنْ نَخُصَّ أَخَصَّ الْأَوْلِيَاءِ بِأَسْنَى الْوَلَايَاتِ ، وَنُخَفِّفَ أَصْفَى الْأَصْفِيَاءِ  
بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ، وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهْرُهُ لِلْمُلُوكِ مُحْرَاباً ، وَنُنَوِّهَ بِذِكْرِ مَنْ  
رَغِبَتْ فِيهِ الْوُظَائِفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ سِوَاهِ إِضْرَاباً .

وكان المجلس السامى ، القاضوى ، العالمى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ،  
البارعى ، البليغى ، الماجدى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأثيلى ، العريقى ، الأصيلى ،  
الخطيبى ، الناصرى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ،  
صدر الأعيان ، جمال الخطباء ، جلال النظائر ، صفوة الملوك والسلاطين ، أبو عبد الله  
محمد ، ابن المجلس السامى ، الجمالى ، المرحوم عبد الله الطنّاحى ، إمام المقام الشريف :  
أدام الله تعالى رفعة - قد طالت في المخالصة قُدمته ، ووفرت من صدق الموالاة  
قِسْمَتَهُ ، فُرُغَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ خَبْرُهُ ، وَنُصِبَ عَلَى ... (١) ... تَقْدَمُهُ فَيُحْمَدُ فِي الْإِخْتِيَارِ

(١) بياض بالأصل ، ولعله "المدح أو التعظيم" .

أثره، وكانت وظيفتنا نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشجر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طروق العدو المخدول حياه - من أرفع الوظائف قدرا، وأميزها رتبة وأعلاها ذكرا - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، ونعتمد فى القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء فى كل حين مجدده - أن يستقر المشار إليه فى الوظيفتين المذكورتين عوضا عن كانتا بيده، بما لهما من المعلوم، ويفسح له فى الاستنابة على عادة من تقدمه فى ذلك : استنادا إلى أمانته التى بلغت به من العفة مُنتهاها، وكفايته التى عجز المتكفون عن الوصول إلى مداها، وفصاحته التى أعجزت ببراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التى قضت بالعى على قس إياي وحكمت بالفهامة على سحبان وائل .

فليتلق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الخفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد، عالما أن نظير الصادر يقدمه أهل الشجر على عامة الوظائف مَادَقٌ منها وما جَلَّ، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل، فليحسن النظر فيه وردا وصدرا، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظرا ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الشجر الإسكندري قدرا، وأعظمها فى الأقطار صيتا وأسيرها فى الآفاق ذكرا، يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويلم بخطبته سُكَّان الوهاد والهضب، فليرق منبره رقى من خطبه المنبر بخطبته، وعلم علو مقامه فقابله بعلو رتبته، ويشنف الأسماع بوعظه، ويشج القلوب بلفظه، ويحي العقول بتذكيره، ويبيك العيون بتحذيره، وليعد للجامع ما تعودته من الإسعاد،

ويجدد مدرّس من معالم خطّابته حتّى يقال : هذا ابنُ المُسَيَّرِ قد عاد ؛ وعمادُ الوصايا تقوى الله فهي ملائكةُ الأمور كلّها ، وعليها مدارُ أحوال الدنيا والآخرة في عقدها وحلّها ؛ وهاتان مُقدِّمتا خيرٍ فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يَقْطَعُ بالوقوفِ معهما رجاءه « فأقول الغيث قَطُرٌ ثم يَنْسَكِبُ » ، والأعتمادُ على الخطّ الشريفِ أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجةٌ فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثالث

( من الوظائف التي يكتبُ بها بئغر الإسكندرية المحروس ،  
الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين )

#### الطبقة الأولى

( من يكتبُ له في قَطْعِ الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء  
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبرُ بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل<sup>(١)</sup>  
المقدم ذكره في جملة الوظائف الديوانية بالحضرة )

وموضوعُ هذه الوظيفة التحدّثُ في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصّل من المأخوذ من تجار القرنج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصّرف والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخةُ توقيع بنظر بئغر الإسكندرية ، كُتِبَ به للقاضي «جمال الدين  
آبن بصاصة» وهي :

(١) وهو ناظر الخاص المتحدّث في الأموال السلطانية كما تقدّم .

(١) الحمد لله الذى أضحك الثُّغُور بعد عبوسها ، وردَّ إليها جمَّالها وأُناز أُنُقها بطلوع شُمسها ، وأحيا معالم الحَيْر فيها وقد كادت أن تُشرف على دُروسها ، وأقام لمصالح الأُمّة من يُشرق وجهه الحق ببياض آرائه ، وتلثد الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة وأنبيائه .

نحمده حمد من أُسِغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدر قائليها وتُعليه ، وتُعز جانب متجليها وتُدنيه ، وأن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رابط وجاهد ، وأكرم رسول جنح للسلم بأمر ربه فهادت وعاهد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وأشياعه وحزبه .

وبعد ، فأحق من ماس فى أردية الرياسة عطفنا ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالا ولطفنا ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهماتنا لما رأته خير كافل ، وتنقل فى مراتبها السنية تنقل النيرين فى المنازل (٢) .

ولما كان فلان أدام الله رفعة ممن أشارت إليه هذه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر فى نظر ثغر الإسكندرية المحروس ويباشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ، برأى لا يساهم فيه ولا يُشارك : ليُصبح هذا الثغر بمباشرته باسمًا حاليًا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانياً ، وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر قواعده بعالي همته ، ويجتهد فى تحصيل أمواله وتحسين ذخائره ، وأستخراج زكاته

(١) تقدمت فى صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء بعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناسخ والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف لابساً ، ومن نور الايقان قابساً ، الى غير ذلك من الأوصاف .



وتحمة متاجره ؛ ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودواب الشغور ؛ ومن ألسنتهم يُطلع على ما يُجنه الصدور ، وإذا بذر لهم حب الإحسان نشروا له أجنحة مراكيهم كالطيور ؛ وليعتمد معهم ما تضمنته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم القلق والتظلم والمقت ؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، وليملا الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال [المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتتمى ، وتوجد سحائب فوائدها وتهمى ، وليراع أحوال] <sup>(١)</sup> المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهيمن عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانه ؛ وتتحلى أنامل الأمين بحسن الصيانه ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] <sup>(١)</sup> وليتناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويسدده ؛ بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتتح : «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر ثغر الإسكندرية ، وهى :

أما بعد حمد الله مفوض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه  
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنانه ؛

(١) الزيادة مما تقدم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَمَحَلِّي رَتَب عَلِيَّائِ الشَّرِيفَةِ بَيْنَ أَشْرَقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالَى بِدْرُهُ وَإِنْسَانُهُ ، وَأَيْنَعَتْ  
فِي غُصُونِ الْأُمَانِيِّ قَطْوُفُهُ وَأَفْنَانُهُ ، وَمُبْلَغُ أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بَيْنَ  
تَبَسُّمِ بِجْمِيلِ نَظَرِهِ الثَّغُورِ ، وَتَعْتَصِمِ بِجَمِيدِ خَبْرِهِ وَخَبْرَتِهِ الْأُمُورِ ، وَتُشْرِقُ مِنْ جَمِيلِ  
تَدْيِيرِهِ الْبُدُورِ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى هِمَمِهِ الْأَيَّامُ وَالْدُهُورُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
الْمُهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ، وَالنَّاشِرُ لَوَاءِ الْعَدْلِ بِسَنَنِهِ الْوَاضِحِ وَشَرْعِهِ  
الْقَوِيمِ ، وَالْمُنْجِزُ لِمَنْ أَقْتَنَى سُبُلَهُ أَوْفَى تَكْرِيمٍ ، وَأَوْفَرُ حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
مَا أَهْتَدَى بِهِدْيِهِمْ ذُورُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَأَرْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهِمُ الْمُعْلَمَةُ مُقْتَنَى الْآثَارِ -  
فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ أَسَدَّنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتْبَةً عَزَّ مَا زَالَتْ طَيُورُ الْأَمَالِ عَلَيْهَا تُحُومُ ،  
وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَلِيلِ مَنْصِبَ سَيَادَةِ مَابَرَحَتْ الْأُمَانِيُّ لَهُ تَرْوِمٌ ، وَاعْتَمَدْنَا عَلَى هِمَّتِهِ  
الْعَالِيَةِ فَصَدَّقَ الْخُبْرُ الْخُبَرَ ، وَرَكَّأَ إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ وَأَدَّى النَظَرُ <sup>(١)</sup> .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ يَهْوَى الَّذِي آتَسَقَ فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ الْمَعَالَى ، وَأَنْتَظِمَ بِهِ عَقْدُ هَذِهِ  
الْآلَى ، وَخَوَى بِفَضِيلَةِ اللِّسَانِ وَالْبَيَانِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ الْمُرْهَقَاتُ وَالْعَوَالَى ، فَمَا حَلَّ  
ذِرْوَةَ عَزٍّ إِلَّا وَحَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الْجَلِيلِ ، وَلَا رَقِيَ رُتْبَةَ سَيَادَةٍ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذُرُوتِهَا وَجْهٌ  
صَبَحَهُ الْجَمِيلُ ، وَلَا عُدِقَ بِنَظَرِهِ كِفَايَةُ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ كَفِيلُ .

فَلِذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَنْتَصِي لِلرَّتَبِ الْعَالِيَةِ خَيْرٌ مُنْجِدٌ وَمُجِيرٌ ،  
وَيَمْتَنِي لِلنَّاصِبِ السَّنِيَّةِ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... .. فَإِنَّهُ الْقَوِيُّ  
الْأَمِينُ ، وَالْمَتَمَسِّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِرَاقَبَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمَتِينِ ، وَالْمُسْتَنْدُ بِجَمِيلِ  
كِفَايَتِهِ ، وَحَمِيدِ دِيَانَتِهِ ، إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ ، وَالْمُسْتَدْرِى بِأَصَالَتِهِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى  
الْجُنَّةِ الْوَاقِيَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ، فَلْيَقْدَمْ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَبَاشَرَةِ الْوُضُفَةِ الْمَذْكُورَةِ بِعِزِّ

(١) لم يذكر خبراً إلا وهو معلوم من نظائره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتقى .

لا يَنْبُو، وهمّة لا تَحْبُو، وتدبير يتضاعف على ممر الأيام ويربُو، ونظير لا يعزب عن  
 مباشرة فيه مثقال ذرة إلا وهى من خاطره فى قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لاس  
 [إيها] إلا ويجد من مرهفه ما يكف كفها عن الخيانة بالحق المبين، وليضاعف  
 همته فى مصالح هذه الجهة التى عدقناها بنظره السعيد، وليوفر عزمته فإن الحازم  
 من ألقى السمع وهو شهيد، والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة  
 وهو - وفقه الله - أهدي أن يرشد إليها، والله تعالى يوفقه فى القول والعمل،  
 ويصلح بجمل تدبيره وحيد تأتية كل خل بيمينه وكرمه ! .

### الطبقة الثانية

(من يكتب له فى قطع الثالث بـ «المجلس السامى» بغيرياء  
 أو «مجلس القاضى» وفيها وظيفتان)

### الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السرّ بالأبواب السلطانية  
 فى قراءة المكاتب على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجرى مجرى ذلك .

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله، كاملاً عدله، هاملاً بالإحسان  
 وبه، متصلاً بالجميل حبّه، ملاحظاً بعين العناية للبيت الزاكي فرع الطيب أصله،  
 معلماً نجمه إلى أسنى المراتب التى لا ينبغي أن يكون محلّها إلا محله - أن يستقرّ فلان

فى كتابة الدّرج بشعر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ،  
 بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المعرّقة ، وغصون نسبه  
 المورّقة ، وآدابه الجمّة ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلت المهارق ،  
 وأبدت من الجواهر ما تمّنى لمسه المفارق ، وتذوى لنضارته أزاهر الرّوض النّضير ،  
 وتنفرد فى الحسن فلا تجد [ لها ] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجساد التّرائب ، وتُنشئ  
 كُتبا تغنى عن الكتّاب ، مع ماله من راسة أثبتت معاليه ، ونفاسة أضحت بجواهرها  
 الأوصاف حاليه ، وصدارة توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسن المتواليه ،  
 قد خول فى كرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى  
 فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فأضحى فى الرّفعة بعيدا  
 وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكابره إلى كل فريد فى سُؤدده ، واحد  
 فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومُصرّف  
 عنان بنائه ، ومبرز الحسنات بسفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن استوجب  
 منّا ما يقضى له بالمزيد ، وأستحقّ بالتّباع أصله العالم التّقى إدراك ما يريد ، وتحلّى  
 بمناقبه ومآثره ، ونقل عن عفافه ومفاخره .

فليستمرّ فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه  
 الحميدة ، ومناهجه ومناهج أسلافه السّديدة ، مبرزاً من خطّه ما يُجبل به الطّروس ،  
 ويسرّ بمزايه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [ المشهود ] ،  
 والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمتنانا العميم عنده مستقرا ،  
 ونُغرّ العناية به مفعرا ، بمنّه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

## الوظيفة الثانية

( نظر دار الطراز بـتغر الإسكندرية )

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصالح الدين بن علاء الدين علي بن  
البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب  
الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إثاره ، يُكرم من غدا صلاحه لحلة العلي طرازا ،  
وأختياره ، يقدم للنائب الجليلة من ورث من أبيه نهضة وأحترارا - أن يستقر  
فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرايته المألوفة بركاتها الموفرة وحركاتها  
الموفقة ، وديانته التي منها الأ كابر على ثقته ، وأمانته التي تعتمد الحق مستدعية  
ومنفقة ، وصيانته التي هي للواصل حافظة وعلى الحاصل مشفقة .

فليباشر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكَّام تُضاف ، وللعلماء  
الأعلام عليها نظر وإشراف ، ومنها يُسدل على أوليائنا لباس الإنعام وترسل أجناس  
الإتحاف ، وتُسربل الكعبة البيت الحرام في كل عام بجلبابها المحكم النسج المعلم  
الأطراف ، وليصن ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليرن خزها بتقريب مشوبه وتحرير  
مخضه ، وليبين عن حسن التدبير في إبرام حريرها ونقضه ، وليستجلب رجالها  
وصنائعها ، وليجنب أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقد أكافها  
وبقاعها ، حتى يُظهر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُشكر مباشرته التي هي محمودة الانتهاء  
مسيودة الافتتاح ، والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذن له حيث سلك بإصابة  
الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودار الطراز هذه هى التى تعمل فيها المستعملات السلطانية : مما يحمل إلى خزانة الخاى الشريف من الأقمشة المختلفة الصفات : من الحرير والمقترح الخوص بالذهب ، والتفصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكتان وغيره مما لا يوجد مثله فى قطر من أقطار الأرض ؛ ومنه <sup>(١)</sup> تتخذ الأقمشة التى يلبسها السلطان وأهل دُوره ؛ ومنه تعمل الخلع والتشريف التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ؛ ومنه تبعث الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يكتب لناظر هذه الدار توقيع عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدث فيه كما يتحدث فى سائر أمورها ، ومرجع الكل إلى ناظر الخاى بالأبواب السلطانية .

### الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حضرته مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرّيف)  
والمراد بالرّيف فى أصل اللغة موضع المياه والزّرع .  
وقد تقدم أن ريف الديار المصرية وجهان :

### الوجه الأول

( الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد )

وقد تقدم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه ينقسم إلى صعيد أعلى ، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامة فى الزمن المتقدم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير عائد على ما تقدم من الحرير والكتان .

بـ«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استقرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بغزة فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية «برقوق» وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها يكتب له تقليد نيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين » كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رَحِمَ بتعاهدِ نظيرنا البلاد والعباد ، وحَسَمَ بمواردِ زواجرنا موادَّ الفساد ، وأحمد فى هذا الوجهِ لنا الآثارَ ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجميع المصالح على الجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعيةَ الخيرَ فى استراء من يبدل فى صياتهم الاجتهاد ، وأعلى بنا كلمة العدل فهى تُنشر وتُداع وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُقهر وتُدَاد ، وأجلى بانتقامنا فئة الضلال فلها عن مُلكنا الشريف أندفاع وأنطراد <sup>(١)</sup> .

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد، ونشكره على أن ضمنَ أصطفاءنا حسنَ الارتداد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد، وتُدوم بهجتها ، علماً للإرشاد، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضّل العالم وساده ، وأجزل المكارم وجاده ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برده من حاد ، وأجرى بجوده النفع حيث كان وأبدى بآسائه القمع لمن كاد ، وأخذ بأسيافه الباطل فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام ولجيش مخالفه الإرعاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب الأتجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب إجماد ، وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعت مراعاة السجع الى استعمال الانفعال من طرد ونص أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فتنبه .

وبعد فإن الله تعالى لما أعلیٰ هممنا وأصعدنا ، ووفیٰ عزائمتنا من النصر موعدها ،  
 وأسعف بملكنا الرعية وأسعدنا ، وضاعف بنا لديهم النعمة وجددها ، وأوضح  
 بنا سبل المعدلة وجددها ، وأنجح بسطاننا آمال الخليفة وأنجدنا - لم نُخل من  
 ملاحظتنا أدنى الأقطار ولا أبعدنا ، ولم نُغفل من ممالكنا ناحية إلا نحاهما فضلنا  
 وقصدنا فأقربها الصالحات وخلدنا ، وأثر بها المسامحات وأبدنا ، ونصر الشريعة  
 وأيدنا ، وسد الذريعة بأفعال حرم سددها ، ووطن أهلها ووطدنا ، وأورد من بها  
 موارد الأمن لما وردنا .

ولما واجه إقبالنا فى هذه الأيام الوجه القبلى ، وصعد إلى الصعيد الأعلى ركابنا  
 العلى ، لمنا بلادنا وتعددها ، وتعين ملاحظته وتأكدنا ، وكثرة السالك لسبله ،  
 والملاك لحوله ، والوارد لنهله ، والوفاد من قبله ، وهو منهج التجار فى التوجه  
 من أبوابنا الشريفة والجواز ، وباب اليمن والحجاز ، وفى الحقيقة هذا المجاز يتعين له  
 الحفظ وفيه الاحتراز ، وبه كراسى منها السيادة تمتاز على سواها من البلاد تمتاز ،  
 وبه مراكرز ولاية ينفرد كل منها عن الآخر ويحاز ، وهى : إطفيح ، والبهنسى ،  
 والأشمونين ، ومنفلوط ، وسيوط ، وإنجيم ، وقوص . وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة ،  
 وحدود بعضها ببعض متعلقة ، وبها إقطاعات مقدّمة الألوف والطبلخاناه والممالك  
 والحلقه ، وإليها تردد الركضة والمرترقه ، وربما أخاف المفسدون من بعضها سبله  
 وقطع طرقه ، فاتهم البرى ، وسلم الجرى ، ولبس على من هو عن الخيانة عرى ،  
 فرأينا أن ننصب بهذه الأقاليم وإلى ولاية يحوس بنفسه خلاها ، ويدوس بجيله  
 سهلها وجبالها ، ويفجأ مفسدها ، ويبعث بعثه بها ، ويحمد نفاقها ، ويحمد وفاقها ،  
 وينصف ضعفها ، ويذهب خلافها ، ويزيل شكواها ، ويكف عدواها ، ويصلح

(١) فيه تصحيف ولعله « ويفجأ مفسديها ، ويغت معنديها » .



فسادها ، ويوضح سدادها ، ويوصل حقوقها ، ويستأصل عقوقها ، ويواصل طروقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ، ويمنع باهتمامه ، أهواءها ، ويشفي بحسامه ، أدواءها .

ولما كان المجلس السامي ، الأميري ، الحسامي هو الذي عرف أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها وأعتبرها ، وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته في كل عمل ويقظته في كل ولاية - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حسامه الذي ينبغي أن يرتضى وينتضى لمثلها ، وأن يحل محله إذ اختارناه لأعلى رتب الولاية واجلها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التي كل ولاية فرع لأصلها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تخص الرتب العلية بأهلها ، وتشمل ذوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلي . فليباشر ذلك بهمة تمضي في البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصيها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردين قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلزمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ، أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللنصح باذلا ، وللشريعة معظما ، ولمراقبة الله تعالى مقدما ، وللحق متبعا ، وإلى الخير مسرعا ، وللمؤمنين مؤمنا ، وللمنافقين مؤهنا ، وللرعايا موطنا ، وللزاهة مظهرها ومبطنها ، وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ، وعن الأموال مترها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال <sup>(١)</sup> موجهها . وليغد في الأمور متبنا ، ولذوى

(١) فيه شبه استخدام فالأول بمعنى الجهات والثاني بمعنى الفعل . فتنبه .

الفجور مشتبهاً ، ولسماع حُجج الخصوم منصتاً ، ولا يجعل لُلوله الأقاليم حيناً مؤقتاً ،  
 بل يدخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ، وليبغت بُلُوله هذه النواحي ليعلم ما هم  
 عليه من ترك الفواحش أو فعلها ، وليقيم بكل جهةٍ من يُعلمه بما يحتاج إلى علمه ،  
 ويذكر له بما يفتقر أهل البلاد إلى الستر عنه وكتمه ، وليلاحظ الحارس والأدراك ،  
 وليجعل لكل شاردٍ من بطشه أسرع إدراك . وقد رُسِّمنا لولاية الأعمال المذكورة  
 ومن فيها من نواب الأمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يُثووه ،  
 ولا يُنزِلوا خائناً ولا يُخووه ، ولا يسترُوا محتجباً ولا يُجبوه ، ولا يُخلُّوا نازحاً ولا يُوطَّئوه ،  
 بل يحضروه ولا يؤخروه ، ويمسكوه ولا يتركوه ، ويسلموه ولا يحموه ، ومن خالف  
 هذا المرسوم ، أو اعتمد غير هذه الرسوم ، فهو لنفسه ظُلم ، وقد برئت منه الذمة ،  
 وزالت عنه الحرمة ، وزلت قدمه ، وذهب ماله ودمه ، وقُرئت مراسيمنا بذلك  
 هنالك على منابر الجوامع ، وسمِعها كل سامع ، وهم لك على أمثال أوامرنا مساعِدُونَ ،  
 وعلى اجتناب نواهيها معاضِدُونَ ، ولإصلاح ما استطاءوا مُريدُونَ وقاصِدُونَ ،  
 فلا تمكَّن أحداً من العُربان ولا من الفلاحين أن يركب فرساً ، فإنما يُعدها للخيانة  
 مختلساً ، ولا يكون لها مرتبطاً ولا محتبساً ، وكُنْ لهم مُلاقياً مُراقباً ، فمن فعل ذلك  
 فانتقم منه بما رُسِّمنا معاقباً ، ولا تمكَّنهم من حمل السلاح ولا ابتياعه ، ولا استعارته  
 ولا استيداعه ، وتفقد من بالأقاليم من تُجاره وصنَّاعه ، نخذ بالقيمة ما عند التجَّار ،  
 وأقمع بذلك نفس الفُجَّار ، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار ،  
 وأمر كل فتين متعاديتين بالمصالحة ، وأكف بذلك يد المساكين ، وحلف بعضهم  
 لبعض بعد تحليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة ، وخُذهم في الجنايات  
 بالعدل والمشاحَّة ، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مُسامحة ، وأحملهم على محبة  
 الحق الأبلج والشرعية الواضحة . وإذا رُفعت إليك شكوى فازلها ، أو سُئلت إقالة

عشرة لدى هيئة فأقلها ، أو وجب حد فاقمه لحينه ، أو آرتبت في أمر فتر و حتى تهتدى  
ليقينه ، ولا تعتقل إلا من أجرم جرماً يوجب الاعتقال والحبس ، ولا تسرع  
إلى ما تحشى فيه اللبس ، وأعمل على براءة الذمة ، وأجهد أن لا يكون أمرك عليك  
غمه ، ولا ترجح للهوى على خصم خصمه ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته ، وخف نقمة  
الله فهي أعظم نقمه ، ولا تأخذك على البرى غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك  
في الجرى رافة ولا رحمه ، والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً ، ويمنح لك بالخدمة  
طلباً ، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً ، ويرد بك أمر كل مفسد غيباً ، ويوضح لك  
من الهداية مغيباً ، ويُنزل بك من الخيرات صيباً ، والخط الشريف أعلاه ، حجة  
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالوجه القبلى أيضاً ، من إنشاء الشريف  
شهاب الدين ، كُتب به «لعل الدين المرادى» وهى :

الحمد لله الذى جعل إقبالنا مسفر الوجوه ، ونوالنا مبلغاً كلاً من الأولياء ما يؤمله  
من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه ، وإفضالنا يوفر أقسام النعم لمن وفر دواعيه  
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يعينه ويدعوه ، وإجمالنا يُنجز وعود التقديم لمن تعددت  
خدمه فلا يتجاوز التكريم ولا يعدوه .

نحمده على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه ، ونشكره على أن أقامنا نحق  
الحق فزفعه فیدمغ الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى خير ما ينطق به الإنسان  
ويُفوه ، لا يبرح اللسان يكرر إخلاصها ويتلوه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله ببعثته عن هذه الأمة كل مكروه، وحى بشريعته الدين الحنيف فلا يلزم به التبديل ولا يعرّوه، وأفاض بركاته فى كل وجه ما يؤسع الخير ويُدّرهِ ويمنع الشر ويدّرّوه، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عترته وأقربوه، وصحبه الذين آستمعوا قوله وأتبعوه، صلاة لا يزال وافدها يتبع سبيل الإجابة ويقفوه، ويصل إلى محل القبول ولا يخفّوه، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى لما قرن آراءنا بالسداد، وأحسن بنا النظر فى صلاح البلاد ومصالح العباد، لم نزل نرفع أقدار المخلصين بمزية الاختيار والإرتياد، ونجمعهم فى صعيد الإحسان ونحلّهم رتب الإصعاد، ونُدنى منهم من له تأمّ اهتمام وشادّ اجتهاد، ونميز منهم من حسن حالا بالجمع والإفراد .

والولاية على الولاية بالوجه القبلى من أهم ما يُلَمَح، وأعم ما يختار له من الحق ينصّر وللخلق ينصح، إذ بهذا الوجه عيون البلدان، ووجوه العربان، وكراسى الأقاليم الحسان، ومراكز الولايات التى تُحلّ دائرة السوء بأهل العدوان، وإقطاعات الجند والأمراء، والخواص الشريفة التى على عمارتها إجماع الآراء، وعليه تردّد التجار، وإليه بالميزة يُنَمَّر، ومنه تتعدّد المنافع فيتعيّن أن ندفع عنه المضار، ونلقى أموره لمن يُنتقى حزمه وعزمه ويختار .

ولما كان فلان هو الذى له ولايات اقتضت تقديمه، وسبقت منه سوابق خدَم أجزلت تكريمه، وما زال فى الشام على الهمة حسن الشيمه، وطهر البر من كل فاجر، ورأى أن التقوى أربح المتاجر، وأعذب للرعية من المعدلة الموارد فصدر من أبوابنا إلى أحمد المصادر - اقتضى حسن رأى الشريف أن نجعل له من إقبالنا النصيب الوافر . فلذلك رسم بالأمر الشريف - لأبرح يزيد الأقدار علاء ويظهرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جفن سيفه الذي لم يعرف الوسن ، وليتق الله ربّه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسنّ ، وليجتهد في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه الأقاليم بعزائم السياره ، وليحافظ على سلوك سيرته الساره ، وليستطلع من كل بلد أخباره ، ويتتبع من كل وإل آثاره ، وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله أو حقاً أدا له ، وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ، وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعه ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ، وليستجلب لإيماننا الأدعية النافعة ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعه ، ويراع في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حمايته للأومنين واقية وفكته بالمجرمين واقعه ، وليسع الرعايا بالمعدلة الواسعه ، ويمنع المجترئين بالأخذة الرابية والهيبة الرادعه ، ولا يمكن أحداً من العُربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يقتنيه ، ويكف بذلك الأيدي المعتدية فإن المصلحة لمنهم من ركوبها مقتضيه ، وليقيم الحرمة والمهابه ، وليديم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حدّ عزمه ويمضيه ، ويجرد سيف الانتقام على المفسدين وينتضيه ، ومن وجده من العُربان خالف المرسوم الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشرّ بحاله .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ، وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير

ولا فتور؛ حتى لا تفوت مصالحة عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معاملة بكتبها، وقد حذرنا العربان من مخالفة مارسمنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم، وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمثيل مراسمه، ويتلقى بالقبول قادمه، وليقفوا عنده، ويقفوا رُسده، ويرهبوا من الشر وعيده وليستنجزوا من الخير وعده، وهو - بحمد الله - ما برح مهذباً، وبأكل الآداب مؤدباً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً، والله تعالى يجعله مختاراً مجتنباً، ويوزعه شكر منحنى الذى أجزل له الحبا، وخص به هذا العمل الجليل فضاعف خصبه وأهتر ورَباً، ويُطلعه مباركا ميموناً حيث حلّ قيل له : مرحباً، ويصعد به هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلوه عليه لسان التامين : ﴿ فَيَمُمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضا ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله، وهى :

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعا، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب مسموعا، وموسع نطاق المصرف فى جميع ما تعين أن يكون له مجوعا .

نحمده حمداً يعذب ينبوعا، وينبت بمزيد الشكر زُرُوعا، ويدّر ضروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتزع فُروعا، وتسكن جموعا وتسكت جموعا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان ربوعا، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعاً ، وأغرى القسي بالحنين إليهم ورُوعاً ، وأسقط على  
لباتهم طيور السهام وقُوعاً ، ومهد البلاد بقتلاهم فأمن من خاف وأطعم من تشكّى  
جوعاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تغمّ درع الفجر بشفقها المخلّق صدوعاً ،  
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويُستدام صلاح الجمهور ، إلا بتفقد أحوال  
ولائهم ، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم ، وردّ مجموع كلّ عمل إلى من لا يبيت طرفه  
في مصالحهم مملوءاً من الوسن ، ولا يقتر له في التنقل في مِهْمَاتِهِمْ جَوَادٌ في رَسَن ،  
ولا تهدأ سيوفه في الأغمار ما برقت بارقة قَتَن ، ولا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدم  
ولا يبيت [ إلا ] على دِمَن ، وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا  
الموصوف ، وأكثر اضطراباً إلى ما تُشَامُ له في صلاح رعاياها لوامع سيوف ، والوجه  
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائر من أهل الحضر والبادية  
لكلّ طاعن ومقيم ، قد أمتدّ حتى كاد لا ينتهي إلى آخر ، ولا يلتهي بما يكتفه من برّ  
مُقْفِرٍ وبحرٍ زانح ، قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة  
الجبال ، وتطاول حتى أتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمالي بالشمال ، وحوت  
تجاريه من النيل المبارك [ ما ] مدّ الرزق المتمدّد ، وأمدّ المدّ المبيض على عنبرة تراها  
المسودّ ، وهو الوجه الذي تُعرف في كوثر نيله نضرة النعيم ، ويهزّ حسنا من أول  
قطرة تقع من مرآه الجميل على وسيم ، قد حال فيه الماء مجراً كأنما يشرب ندى ورد  
الحدود ، وحالا كأنما ضرب الضرب في لَمَى ريقه المورود ، وكان لا ينهض بأعبائه ،  
ويردّ بالغَيْظ متقرحة عيون رقبائه ، ويمنع كلّ منسر مُنْسرٍ يُحْذَرُ أن يتهب وذيل<sup>(١)</sup>  
خبائه ، إلا من تقدّمت له دُرْبٌ يتعلّم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل «أن ينه ودبل» .

المُدْرَب، وَيُقْتَدَى فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمُ الْمَجْرَّبُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَتَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنْ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنْ الْأَرْتِجَالُ ؛ وَقَدْ وَلَّى الْأَعْمَالُ الْبَهَنَسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَحُ صُورُهُ ، وَأَبْهَى فِيمَا تَكَثَّرَ مِنْافِعُهُ الْمَشْهُورَةُ ؛ فَأَضْحَى الْمَغْلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَاثَرُ إِقْبَالُهُ وَالْحُلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعَرَفُ سِيْمَاهَا فِي وَجُوهِهَا مِنْ أَثَرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَرِ أَنْحَرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَأْزَرَ ؛ فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُطْلِقَ تَصَرُّفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ نَشْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا ، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ ؛ وَبَرُّهُ وَبَحْرُهُ ، وَعَامِرُهُ وَقَفْرُهُ ؛ وَأَهْلُ حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابُ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِیَأْمَنَ الْمُقِيمُ وَالسَّالِكُ ؛ وَيَجْمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ مَنْ قَبْلَهُ هُنَاكَ ، وَيَنْتَظِمَ عَقَائِدُهُمُ الْمُتَهَالِكُ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرُهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرُهُ ؛ وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَنْفِذْ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا ؛ وَلْيُوَصِّلِ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَلْيَسَهِّلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنِصِفْ لِإِنْصَافَا لَا يُشْتَكَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيُقِمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعْدَى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّائِمَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنْ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْبِئَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِحِجْرِ عَوَالِي صَوَارِيهِ وَمَجْرَى جِيَادِهِ ؛ وَتَقَدُّدٍ قَبْلَ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَأَتْرُكُ عَنْ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيْقَهُ ؛ وَأَقِمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْفِرِ التَّرَاعَ فَإِنَّهَا تُرَاعَى<sup>(١)</sup> ، وَأُسْفِرْ لَهُ

(١) لم نعر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التبعة كغرفة أفراداً وجمعاً .



عن عرائس قرأها المجلوة وجوها كلها قسن له إصبعا يقيس ذراعا؛ وأقطع بإيصال حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصوم، ونبتهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم شرب يوم معلوم؛ ولا تدع [به أحدا] من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوايق الفتن عوائد؛ ومن يتعزز برّب جاه، ومن لا يكون له إلى حماية اتجاه؛ ومن خرج بوجهه للشر مصرّحا، أو لباب عقاب مستفتحاً؛ أو وقف على درب أو قطع طريق، أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق؛ أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال، أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال؛ أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو ترمى إلى عصبة يحمل منهم حدّ سلاحه؛ فسلّ عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضى؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم، وأقم الحدود على متعتهم؛ وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعلق منهم أناساً بحبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم؛ وأصلب منهم على الجذوع من تناوح الرياح بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضى جرائمهم إيصالهم في المقابلة إلى حدّ تلفهم. وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم، وقرر بحسن تلقّيك أنك أول ما قدّمناه لهم من المكارم؛ فهم سمار كل نادى، ورفاق كل ملاح وحادى؛ ولا بد أن يتحدث السمار، وتداول بينهم الأسمار؛ فاجعل شركنا دأب ألسنتهم، ومنننا حلية أعناقهم، ومنحنا سبباً لاستجلاب رفاقهم؛ فهم من مواد الإرفاق، وجواد ما يحمل من طرف الآفاق؛ وقد بقي من بقايا أهل العقائد الفاسدة، والمعاهد البائده؛ من يتعين إقعاد قائمهم، والنيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم. ونحن ننبهك على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقّت الحقائق؛ وطالع أبواننا العالية بما أشكل عليك، ننزل أنوار هدايتنا أقرب من رجع نفسك إليك؛

(١) لعل حرف النفي زيادة من قلم النسخ.

واقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يُضاهى، ووليناك من بلادنا قبلةً  
ترضاها، وتوليناك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح  
الحجاز وأنت في مصر وريقتها العام، والله تعالى يديم منك سيفاً يروع مهزماً، ويؤيد  
بك الدين فإنه بك يقوم جاهه ويدوم عزه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.  
إن شاء الله تعالى .

### الوجه الثانى

( من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى )

وكانوا فى الزمن القديم يخصونه بِاسم الرِّيف، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد.  
(١)  
وأرباب الولايات فيه على ضربين :

### الضرب الأول

( أرباب السيوف )

وتختص الكتابة منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه  
البحرى، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان فى الزمن المتقدم يكتبون فى البحيرة  
بوالىها، وكذلك فى كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى، وفوق الكل ولاية عامة،  
يعبر عن صاحبها بوالى الولاية، وربما [زيد] بالوجه البحرى، وربما عبر عنه  
بالكاشف . ثم استقرت نيابة فى رتبة مقدمة العسكر بغزة فى أيام الظاهر برقوق،  
على ما تقدم ذكره فى المسالك والممالك فى المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى، مما كان كتب به المقر الشمبانى  
ابن فضل الله لوالى الولاية بها، وهى :

(١) لم يذكر الثانى . فتنه .

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسفاً بال كل عدوى ، عارفاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والنجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنة المأوى ، وأشرف به على شرف المثنوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطنهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة ترتوى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سجايا أيماننا أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً ينوع في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة شيئاً يخشى من قربه ، وطيفاً يبيت به طير الكرام تملأ على جنبه ، وخوفاً لبأبه من الخصاص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هى التى لا يحمدها سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها فى جانبها مماثل فى شيئين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضا ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضا ، وأثبتهما وطأة لجرى النيل إذا أقبل فى تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضا ، وهو الوجه المتهلل بشرا ، المتضوع بطيب رياحه نشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه فى مقاصيره قيصر وفى مدائه كسرى ، المتثنى بعروس كل قرية زف بها النيل فى مسرى ، وبه الثغور التى لا تُشام لها بروق ، والمحارس التى ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حازان ، ومن الجانين بر مقفور وريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤْمَنُ مِنْهُ بِاتِّرِهِ، وَلَا يُحْمَدُ بِغَيْرِ مَا يُرَاقُ مِنْ دَمٍ مُفْسِدِيهِمْ ثَائِرُهُ . وكان لا يقوم بها كلّ القيام، ويجمع فرائدها المشدّرة في أكل نظام؛ إلا من تقلّبت الأمور بقلبه كلّ التقلب، وجرّدت النوب عزّمه في النوائب فجردت سيفاً يُجحد في التجريب؛ ولم يزل منذ بلغ الحلم أميراً مطاعاً، ومنسذوباً لا يفرق في المهمّات إذا طارت نفوس الأنظار شعاعاً، وأوقدت الأسنّة سواعاً، وهماً لو أومض البرق ساعة يؤسسه لأرتعدت فرائضه زمعاً لا إزماعاً، أو قابله الرّيح المعتدل عند أحكامه لأطبقت الأمم على أنه لا يمثّله في العدل قطعاً وأجمعت على تفريده إجماعاً .

وكان فلان هو العليّ همما، الجزل مداومة الخزيل ديمّا، الملى بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدفّقاً وهمى الغمام منسججاً، وقد حمّدا له في كلّ ما باشره أثراً، وأنحدنا بحمّل ملاحظته كلّ برّ ضراب، فباشر الوجه القبلى فملاً عين الناظر المتوسّم، وعم سروره حتى غامزه جاره الوجه البحرى ببنائه المخضّب وضاحكه بثغره المتبسّم؛ فلما تنقل فيهما استقرار (؟) الوجهين وما والآهما، وعُرف في وجهه نضرة النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجدّ بهذا كله ثم جدّ بهذا فطاب الواديان كلاهما؛ فأقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليُفارق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختار عليّاً، ويختال كلّ غمام يرتضى له وليّاً - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرداً بأفراده ومجموعه، ومحكماً في قبائله ومجموعه؛ وبعيده وقريبه، وبدعيه وغريبه؛ وكلّ ما هو داخل فيه، عائداً إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على عادة من تقدّم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يذكّر من الأعمال:

(١) لم يتقدّم ما يعود اليه الضمير وإن كان الغرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغربيّة ، الشرقيّة ، البحيرة ، المنوفيّة ، إبيار ، أشمون ، قليوب . ولا أمر  
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجدّدات الأمور مراجع ، ولا أرباب تصريف  
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جدّ ولا حدّ إلا فيه يمضي ويتوقّف ؛ وتقوى  
الله تعالى أوّل ما نوصيه بسببها ، ونوصّله إلى رتبها ، وإقامة الشرع الشريف وإدامة  
مبارّه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكّامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه  
في إيراده وإصداره ، وإعلانه وإسرايره ، والعمل به فإنه ما يضلّ من مشى في ضوء  
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكميل الرىّ وتوطين السكّان وقمع الفساد ؛  
وأعتاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الجراريف التي تعمل ، والترع التي تراعى والحسور  
التي لا يقدر جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرىّ الكامل ، والضامن لحصّب البرّ  
السابل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للحلّ عينا حتى يوارى  
بالرىّ سوءته ، ويخفف بتيسر وصبّ حقّ كلّ مكان إليه وطأته ؛ ولا يدع غالبا  
إلا مستفلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بحر إلا تمتدّ يد النيل إلى زرّجيو به ،  
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرّعائه وكثيبه ، حتى يعمّ الجميع ،  
ويعمّر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلّ الربيع . وعليه بالإنصاف بين  
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق  
الذى نشر الله في أيّامنا الزاهرة عالمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من  
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والاشتباه ، ومن يحتجى  
بصاحب شوكة أو يتمسك برّب جاه ؛ أو ينزل بلد أمير كبير مستظلا بذراه ، أو ملتجئا  
من خوف أو مستطعيا من قرى قرّاه ؛ بجميع هؤلاء نتبع فرقتهم ورفاقهم ، وطهر  
الأرض منهم وأمسخ بالسيوف أعناقهم ؛ وأسجم في قتلاهم ، وأثقل بالقيود أسراهم ،

(١) في الأصل شريب . (٢) لعله وأثخن .

وشدّد وثاقهم وكذلك من حمّاهم ووالاهم ، أو استحسن أو منّ عليهم أو مانع عنهم ، أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلّ أجّرم في الحكم مجّراهم ، وأطل تحت أطباق الثرى ثواهم ، ونبه منهم أناسا على رءوس الجدوع وأنم آخرين نومة لا ينتبهون بها من كراهم ، حتى يتأدّب بهم كلّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلّ من في قلبه مَرَض . وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا لائحا ، والله تعالى يجعلك من المهّدين لأرضه ، القائمين في أنواع الجهاد بفرضه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

### الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

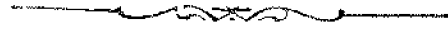
وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدّم يُكتب عن السلطان تقليدٌ لأمر الرّكب في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من الكتابة لأرباب السُّيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يُكتب له من ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الرّكب . وقد جرت العادة أن يُكتب له توقيع في قطع العادة مفتّحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كُتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » رحمه الله في مبدأ أمره ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يُعين على البرّ والتقوى ، ويرتاد لوَفَدَ الله من يتمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر فلان في كذا : لما اختصّ به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته

فى الحق وتصميمه ؛ فإن مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم  
أحق براءة الذّم ، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المتلبس بالإحرام  
والداخل إلى الحرم ، وأحوج إلى الأطلاع على جزاء الصيد فيما جزاء المتعرض إليه  
مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلة التى ترتب أحكام الحج عليها ،  
والحكم فى محظورات الإحرام وما يجب على المتعرض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة  
فى الوقت المشار إليه على عادة من تقدمه فيها ، مجتهداً فى قواعدها التى هو أولى من  
نهض بها وأحق من يوفىها .

قلت : أما شهود السبيل المعبر عنهم بشهود المحمل ، فإنما تكتب لهم مربعات  
شريفة من ديوان الوزارة .



تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

### وأوله القسم الثانى

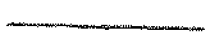
( مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أرباب  
الوظائف بالممالك الشامية )



والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



(المطبعة الأميرية، ٥٠٧٠/١٩١٧/٣٠٠٠)



فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى



صفحة

الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من

الولايات عن الملوك ، وفيه ثلاثة أطراف ... .. ٥

الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ... .. ٥

الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من

الولايات عن الملوك ، وفيه ثلاثة أضرب ... .. ٦

الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦

الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١

الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ... .. ٢٦

الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء

الفاطميين وفيما بعدهم ... ، وفيه أربع حالات ... .. ٢٨

الحالة الأولى — ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء

الدولة الطولونية ... .. ٢٨

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم

إلى آنقراض الدولة الأخشيدية ... .. ٢٩

الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ... .. ٣٢

الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات

ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار

المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف

والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم ، والتفاويض ،

والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاصد ... .. ٧٢

صفحة

- المقصد الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان ... ٧٢
- المهيع الأول — فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيع الثانى — فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى — فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات ، وفيه جملتان ١٠١
- الجملة الأولى — فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ،  
وهى على أربعة أنواع ... ١٠١
- النوع الأول — التقاليد ... ١٠١
- النوع الثانى — المراسيم ، وفيه ضربان ... ١٠٧
- الضرب الأول — المراسيم المكبرة ... ١٠٧
- الضرب الثانى — المراسيم المصغرة ... ١١١
- النوع الثالث — التفاويض ... ١١٢
- النوع الرابع — التواقيع ، وهى على أربع طبقات ... ١١٤
- المقصد الثالث — فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة  
والتفاويض والتواقيع ، وهى على ثلاثة أقسام ... ١٣٣
- القسم الأول — ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين ... ١٣٤
- النوع الأول — الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب ... ١٣٤
- الضرب الأول — ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين ... ١٣٤
- الطبقة الأولى — ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف ... ١٣٤

صفحة

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة ... ١٣٤

الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف ... ١٤٨

الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يعهد بها

كتابة في الزمن القديم ... ١٥٣

الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التوقيع،

وفيها وظائف ... ١٥٦

الوظيفة الأولى — نظر البهارستان لصاحب سيف ... ١٥٦

الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني ... ١٥٩

الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف ... ١٦٣

الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب

الوظائف الدينية، وهو على طبقتين ... ١٧٤

الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالي ... ١٧٤

الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التوقيع،

وتشمل على مراتب ... ٢٠٤

المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف ... ٢٠٤

المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشمل على وظائف ... ٢٠٤

المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير

مفتتحاً برؤسهم بالأصغر الشريف ... ٢٦٨

صفحة

- الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
- الوظائف الديوانية، وهى على طبقتين ... ٢٧٠
- الطبقة الأولى — أرباب التقاليد من يكتب له الجنب العالى،
- وفىها وظيفتان ... ٢٧٠
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
- أصحاب التواقع، وهم على ثلاث درجات ... ٣١٦
- الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف، وتشمل على ثلاث وظائف ٣١٦
- الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث، وتشمل على وظائف ... ٣٣٣
- الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة، وفىها وظائف ... ٣٥١
- الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
- الخواتق، وكلها يكتب بها تواقع ... ٣٧٠
- الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
- أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقع ... ٣٧٧
- الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
- الذمة ... ٣٨٥
- النوع الثانى — ماهو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
- الديار المصرية مما يكتب لأربابها، وهى ثلاث
- جهات ... ٤٠٥

صفحة

- الجهة الأولى — ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين ... ٤١٩
- الطبقة الأولى — من يكتب له فى قطع الثلث بالمجلس السامى بالياء ٤١٩
- الطبقة الثانية — من يكتب له فى قطع الثلث بالمجلس السامى بغير ياء
- أو مجلس القاضى ... ٤٢٣
- الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار
- المصرية بلاد الريف ، وهى وجهان ... ٤٢٦
- الوجه الأول — الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦
- الوجه الثانى — من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ... ٤٣٨
- الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)